إصدارات معهد العلم والعمل (بالوحي نحيا)

أكاديمية المتدبر الصغير (الإيمان قبل القرآن)

أصول التعامل مع الأطفال في ضوء السُنَّة النبوية

أصول عامة في التعامل، وقواعد جامعة في التواصل

إعداد: د. شريف طه يونس

أسعده الله وأهله وأحبابه في الدنيا والآخرة

هاتف نقال وواتس آب وتليجرام: ٠٠٢٠١١٤٢٥٧٣٨٨٠

صفحة الفيس بوك: د. شريف طه يونس.

البريد الإلكتروني: sh.t.younos@gmail.com

يمكنكم التواصل معنا عبر:

- **خدمة بالوحي نحيا على الواتس آب (٠٠٢٠١١١٤١١٦٧٦٠)**
- **قناتنا علي التليجرام (بالوحي نحيا)، د. شريف طه يونس.**
- **صفحتنا علي الفيس بوك (بالوحي نحيا).**
- **حسابنا علي الساوند كلاود (بالوحي نحيا).**
- **قناتنا علي اليوتيوب (بالوحي نحيا القناة الرسمية).**
- **منتدانا على جوجل بلس (بالوحي نحيا).**

رقم الإيداع
٢٠٢٠/٤٦٩٩

الطبعة الأولي تاريخ : ١٤٤١هـ ٢٠٢٠م
مكتبة الرشد – ناشرون
المملكة العربية السعودية – الرياض
الإدارة : العليا فيو – طريق الملك فهد هاتف ٤٦٠٤٨١٨
ص ٠ ب ١٧٥٢٢الرياض ١١٤٩٤ فاكس ٤٦٠٢٤٩٧

Email: info@rushd.com.sa
Website : www.rushd.com.sa
Facebook.com/مكتبة الرشد ناشرون
twitter.com/ALRUSHDBOOKSTOR

فروع المكتبة داخل المملكة

الرياض :المركز الرئيسي:الدائري الغربي بين مخرجي ٢٧ و٢٨ هاتف ٤٣٢٩٣٣٢فاكس ٤٣٢٩٣٧٥
الرياض : فرع طريق عثمان بن عفان هاتف ٢٠٥١٥٠٠فاكس ٢٢٥٣٨٦٤
فرع مكة المكرمة : شارع الطائف هاتف ٥٥٨٥٤٠١ فاكس ٥٥٨٣٥٠٦
فرع المدينة المنورة : شارع أبي ذر الغفاري هاتف ٨٣٤٠٦٠٠ فاكس ٨٣٨٣٤٢٧
فرع جدة : حي الجامعة شارع باخشب هاتف ٦٣٣١١٨٣ فاكس ٦٣٣٠٣١٥
فرع القصيم : بريده – طريق المدينة هاتف ٣٢٤٢٢١٤ فاكس ٣٦٩٥٤٥١
فرع خميس مشيط : شارع الامام بن سعود هاتف ٢٣٧٨١٢٩ فاكس ٢٢١٧٩١٣
فرع الدمام : شارع الخزان هاتف ٨١٥٠٥٥٦ فاكس ٨٤١٨٤٧٣
فرع حائل : هاتف ٥٣٢٢٢٤٦ فاكس ٥٦٦٢٢٤٦
فرع الإحساء : هاتف ٥٨١٣٠٢٨ فاكس ٥٨١٣١١٥
فرع تبوك : هاتف ٤٢٤١٦٤٠ فاكس ٤٢٣٨٩٢٧
فرع المجمعة : هاتف ٦٣٢٠١٩٢ فاكس ٦٣٢٠١٩٢
فرع عرعر: شارع الامير فهد بن جلوي – حي النسيم هاتف ٦٦١٢١٠٠
فرع القاهرة : شارع إبراهيم أبو النجا – مدينة نصر : هاتف ٢٢٧٢٨٩١١ – فاكس ٢٢٧١٢٦٢٥
مكتب القاهرة : مدينة نصر : هاتف ٢٧٤٤٦٠٥ موبايل ٨ ٠٠٢٠١٠٩٨٥٦٢٠٦
موبايل ٠٠٢٠١٠٢٣٩١١٦٦٠ فاكس ٢٢٧١٣٦٢٥

بين يدي
أصول التعامل مع الأطفال

أولاً: قصة هذا الكتاب

ثانياً: منهجية التناول المُثلى

ثالثاً: تنبيهات وتوضيحات

أولاً: قصة هذا الكتاب

كطبيب أطفال كانت عنايتي بالطفل من الناحية البدنية؛ لكن مع تقدمي في تخصصي تأصيلا وتفعيلاً أو تعلماً وتطبيقاً، بدأت عنايتي تزداد بالناحية النفسية والوجدانية، ولقد أفادني ذلك كثيراً مع أولادي بعد ذلك بفضل الله تعالى.

كانت لدي مجموعة من الأصول المتميزة في التعامل مع الطفل كنتُ أفخر بها كثيراً، بل كان معظم – إن لم يكن كل – مَن يراني يُشيد بها والحمد لله.

كانت بعض تلك الأصول (وَهْبية) فطرية، وكانت البقية (كَسْبية)، أكرمني الله بها من خلال تقدمي في تخصصي خصوصاً.

كنتُ أعلم أن النبي (ﷺ) إنسان عظيم، وكنت أتوقع أن يكون تعامله (ﷺ) مع الأطفال تعاملاً راقياً.

لكنني لما انشغلت فترةً بتتبع ما صح في سنته وسيرته (ﷺ) مما يتعلق بالأطفال انبهرت بذلك الرقي وتلك الروعة.

ازداد حبي له (ﷺ) كثيراً، شعرتُ أن كل ما لدي لا يساوي قطرة في بحر ما لديه (ﷺ)، بل صَحَّح لدي الكثير من المفاهيم.

فشعرتُ أن مِن حَقّه (ﷺ) عليّ، ومِن حقوق أطفال المسلمين عليّ، أن أعرض بعض نماذج من تعاملاته (ﷺ) مع الأطفال.

ليُدرك أطفال الدنيا جميعاً رحمة وعظمة النبي (ﷺ)؛ ولِيفخر أطفال المسلمين بنبيهم (ﷺ) ويحبوه حق الحب ويقدروه حق التقدير، وليَعلم كل المسلمين ما ينبغي أن يكون عليه التعامل مع الأطفال، ولِنُقَدِّم بكل فخر واعتزاز للعالم كله أنموذجا فريداً يستحق أن يُدْرَس وأن يُتَّبع في باب التعامل مع الأطفال.

وأرى أن مَن يتعاملون مع الأطفال في العملية التعليمية سواء كانوا معلمين أو معلمات أو آباء أو أمهات أو إخوة أو أخوات، لابد أن يتعرفوا على هذه الأصول لتساعدهم على بناء مهارات أرقى وأسمى في التواصل مع الأطفال في العملية التعليمية؛ لأن إهمالنا لتلك النقطة للأسف الشديد قد أثر تأثيراً سلبياً بالغاً على العملية التعليمية عموماً وعلى عملية التعليم القرآني خصوصاً.

العملية التعليمية في حقيقتها (عملية تواصلية)، يُمَثِّل الطفل أحد طرفيها، لذا من العجيب بل والغريب بل والرهيب أن يتم الشروع في تلك العملية قبل التعرف على قواعد التواصل الأمثل وأصول التعامل الأكمل مع الطفل.

وإن تلك الأصول التعاملية والقواعد التواصلية تمثل جزءً لا يتجزأ من المنهاج النبوي في تعليم القرآن للأطفال؛ وتستمد أهميتها - بل وحتميتها - من أهمية وحتمية التأسي برسول الله (ﷺ) في مباشرة تلك العبودية العظيمة (عبودية تعليم القرآن للأطفال والصبيان)

لذا كان لزاماً علينا أن نستعرض بعض ما يخص الأطفال من أصول التعامل وقواعد التواصل النبوية، سواءً في العملية التعليمية، أو في غيرها من ميادين الحياة اليومية.

ثانياً: منهجية التناول المُثلى

نحن نرى أن ما جاء في السنة الصحيحة في باب أصول التعامل مع الأطفال، طرحٌ فريد، يستحق - بلا أدنى شك - أن يكون في صدارة كل ما يتم الانطلاق منه في باب التعامل مع الأطفال.

✍ الأصول والحقائق والمنهجيات:

ونرى أنه ينبغي أن يتم عرض ما جاء في السنة النبوية بصورةٍ تجعله قابلا للاستنساخ لو صح التعبير؛ لذا فإنه ينبغي أن يتم مراعاة ما يلي:

أولاً: محاولة التركيز على القواعد والأصول، مع الحرص على ألا يكون هناك إهمال للتفريعات والتفاصيل.

ثانياً: الاجتهاد في أن يكون الكلام دائراً حول الثوابت والحقائق، مع الحرص على عدم إهمال الإشارة لبعض المتغيرات والدقائق.

ثالثاً: إيثار تأصيل وتقعيد المنهجيات على الخوض في تفاصيل كثيرة حول آحاد الأفكار والمعلومات.

☒ ولابد من التأكيد على تلك الأمور المنهاجية لأن الواقع يحكي أن **الإغراق في التخوض** في كثيرٍ من **التفاصيل أذهلنا عن** معظم الأصول، فانشغلنا **بالمفضول** على حساب الفاضل، وأغفلنا الفرض والأصل احتفاءً **بالفرع والنفل**.

☒ فَتَخَوَّضْنا في تفاصيل مثلاً متعلقة بمشروعية عملية الضرب (الذي هو حالة استثنائية فرعية) وحاولنا **بتلك التفاصيل التعكير** على الأصول الأخرى الأهم: كالترفق والتعليم قبل المعاقبة والتقويم، وكالعتاب قبل العقاب.

☒ وانشغلنا **بدقائق** مسألة اصطحاب الطفل إلى المسجد (المُختَلَف فيها) عن الحقائق الكبرى الأهم المتعلقة بتمرينه على الصلاة وتحبيبه فيها (المُتَّفَق عليها).

☒ حتى إننا **لم نَعُد** نظر للأمور في **إطارها المقاصدي الكبير**، فأصبحت المسائل يتم تناولها كقضايا **متناثرة مبتورة الصلة** بالقضايا الأخرى التي **تحكمها معها منهجية واحدة.**

✍ المصدرية والمشروعية والمنهجية:

وفي الطريق لاسترداد هويتنا، واستعادة عناوين تَمَيُّزِنا وتَفَرُّدِنا، نحتاج إلى **مكافحة تلك (التنحية الممنهجة)** التي تمت للوحي الشريف في باب (أصول التعامل وقواعد التواصل مع الأطفال)

وذلك بأن **نَرُدَّ للوحي** – في واقعنا – **ما يستحقه من (المركزية)**، بالاجتهاد في الإصلاح في أبواب **(المصدرية والمشروعية والمنهجية).**

أولاً: في باب **(المصدرية)**؛ نتبنى فكرة **(نقاء الاستقاء)**، وأن يكون الوحي **(مخدوماً لا خادماً)**، وننطلق من الوحي وحده **(مصدراً)** لأصول التعامل مع الأطفال، ونجتهد في أن يكون **(البناء)** مرتكزا على مبدأ **(الاستقراء)** منتبذاً لمبدأ **(الانتقاء).**

ثانياً: في باب **(المشروعية)**؛ يتم الانطلاق من مبدأ أن ما جاء به الوحي في باب أصول التعامل مع الأطفال إنما هو **للتنفيذ والإلزام وليس للتخيير والإعلام.**

ثالثاً: في باب **(المنهجية)**؛ يتم التركيز على **هدايات وعطاءات معانيه**، كما يتم التركيز على ألفاظه ومبانيه؛ لكيلا يكون النص بيننا كالحاضر الغائب، ويكون **حاكما على غيره وليس محكوماً عليه.**

وتم التأكيد على تلك الأمور المنهاجية **لأن الإنسان قد يُهدَى إلى الطريق، ولا يُهدَى في داخل الطريق**؛ كما أفاد (ابن القيم) فتجده على مستوى **المزاعم والأقوال** يرى أن خير الهدي هدي محمد (ﷺ) لكن على مستوى **الأعمال والأحوال** يخالف ذلك، وكأنه **ينقض بلسان حاله ما أعلنه بلسان مقاله.**

فتجده مثلاً يرى أنه لا أحد أعلم بالطفل من الله، ويقول أنه بناءً على ذلك يكون أفضل الناس تعاملاً مع الطفل هو رسول الله (ﷺ)، وأن البشر الذين لا ينطلقون من الوحي يقعون في كثير من الأخطاء؛ لأنهم يقومون ببناء آرائهم ونظرياتهم على أمور دائمة التطور والتغيير.

☒ ورغم كل ما سبق تجده على مستوى (المصدرية) يستقي في طرحه **من غير الوحي**، أو **يخلط** بين الوحي وغيره محاولاً **التوفيق بالتلفيق**، بل ربما **أجرم منهاجياً** أكثر من ذلك **فاستعمل الوحي خادماً** لإنتاجات البشر، باستخدامه **لشرعنة** انتاجات البشر وترويجها بين المُعَظِّمين للوحي.

☒ وعلى مستوى (المنهجية)، قد يجمع كل ما جاء في الوحي في ذلك الباب، ويجتهد في تأصيله وتحليله وتعليله، لكنه عند التنزيل والتفعيل **لايرى الوحي (للتنفيذ والإلزام) بل يراه (للتخيير والإعلام)**.

وكأن الأمر (بلغة علماء أصول الفقه) قد أضحت فيه درجة مشروعية نصوص الوحي التي تقتضي منهاجياً (الفْرضية والإيجاب) قد تم نقلها لديه لدرجة (**الإباحة والاستحباب**).

☒ وعلى مستوى (المنهجية)، اجتهد في جمع ما يتعلق بأصول التعامل مع الأطفال على مستوى (المباني)، فهو يحفظ (روايةً) كل ما جاء في ذلك الباب، لكنه **لا يفهم** من ذلك شيئاً، وإن فهمه **لا يُحَلِّله ولا يُعَلِّله** لاستنطاقه واستخراج كنوزه المهجورة والمهدورة، وإن فعل ذلك يقف عند تلك الجهود العلمية **ولا يتخطاها للخطوات العملية التطبيقية تنزيلاً وتفعيلاً** وتمثيلاً.

فيقف عند بوابة الانبهار والإكبار **ولا يتجاوزها** إلى بساتين التأسي والاعتبار، **يكتفي** بالتدبر **بلا** عمل ولا تدبير، والتأثر **بلا** تطهيرٍ أو تطويرٍ أو تأثير.

✍ مراحل إيجاد وتجويد المنتوج الحضاري:

ولذلك فإننا نحتاج لمرحلتين في غاية الأهمية، ليستعيد الوحي ما له من مركزية وحاكمية على مستوى المصدرية والمشروعية والمنهجية:

الأولى: مرحلة الجمع والاستقراء، لكل ما صَحَّ عن النبي (ﷺ) في باب التعامل مع الأطفال مع نقاء الاستقاء، **بلا انتقاء**.

ومن أهم خطوات وأدوات تلك المرحلة (التأصيل والتحليل والتعليل) العلمي السليم لتلك النصوص، في ضوء مجهودات العلماء الربانيين.

الثانية: مرحلة الصياغة والبناء، وذلك بوضع ما تم تأصيله وتحليله وتعليله في قالب تطبيقي، وتقريبه للناس في خطواتٍ عملية تشغيلية ونماذج وأمثلة واقعية.

ومن أهم خطوات وأدوات تلك المرحلة (التنزيل والتفعيل والتمثيل):

- الذي يراعي الواقع الحضاري فَيُخْضِعه **ولا يخضع له**، ويهزمه **ولا ينهزم له**، ويحكم عليه **ولا يُحكَم به**، فيؤثر فيه إيجابياً **ولا يتأثر به سلبياً**.
- والذي يُقَرِّب للعالم كله المنتوج الحضاري الذي جاء به الوحي (في باب التعامل مع الأطفال) في صورة تطبيقية منضبطة بضوابط الوحي وقادرة على المنافسة، ونسخ كل ما سواها.

✍ وتجدر الإشارة إلى أن كل مرحلة من مرحلتي (الجمع والاستقراء والصياغة والبناء) ستمر بطورين:

الأول: هو طور (الوجود)؛ والذي سيتركز الاهتمام على علاج أكبر إشكاليات الغياب والاضطراب (الموجود)، ومكافحة أكبر مظاهر التنحية الممنهجة للوحي، ومحاولة تحصيل أبرز وأهم (المفقود).

والثاني: هو طور (التجويد) والذي سيتركز الاهتمام فيه على التمكين والتحسين والتحصين؛ للوصول إلى (المنشود).

وبذلك يتوفر لدينا من الوحي (المنظور) أنموذج تطبيقي للوحي (المسطور) في غاية (الأمان والاتزان)، نطمئن لمصدريته، ونؤمن بمشروعيته، ونفخر بمنهجيته، وننطلق في سماء المجاهدة في سبيل استعادة مكانته ومركزيته.

وحينها يتبوأ الوحي مكانته اللائقة به، ويسترد دوره المركزي في إنقاذ البشرية من نفسها، وإحيائها بمنهاج بارئها.

✍ الأمنية والمَنِيَّة:

وتَمَنيتُ أن أقوم بتنفيذ ذاك الذي سطرته فيما يتعلق بالمنهجية المثلى لتناول تلك المسائل (الحضارية) والقضايا (البنائية) والعطاءات (المنهاجية) التي جاء بها الوحي الشريف، والتي أصبح الجميع اليوم أحوج ما يكون إليها، ولا أقصد (بالجميع) المسلمين، بل كل البشر ولو كانوا من المخالفين لهذا الدين.

ولقد شرعتُ في ذلك فعلاً؛ لكنني خشيتُ أن أموت وتموت معي تلك الآمال والطموحات التي اتحرق شوقاً لأراها حاضرة في واقع الإنسانية كلها؛ فأرى راية الوحي الشريف عالية خَفَاقَّة في سماء المنتوجات الحضارية، في كافة العلوم والقضايا الإنسانية.

ولذلك آثرتُ أن يخرج هذا الكتاب محتوياً على خريطة إجمالية للخطوات المنهاجية، ومشتملاً على قدرٍ لابأس به من الجُهد اللازم للخطوات الأولى في مرحلة (الجمع والاستقراء).

فقد كان الأمر أقرب لحالة (خيَّاطٍ) استشعر حاجة الناس المَاسَّةِ (لتفصيل ثوبٍ ما)، فَتَمَكَّن مِن تحصيل (الأقمشة والمواد الخام اللازمة) لتفصيل الثوب، واجتهد في تحديد (أمثل طريقة للتفصيل)؛ وشرع في بعض الخطوات، لكنه لم تسعفه الأوقات ولا المجهودات (لإنجاز الثوب في الوقت الذي خطط له).

فخشي (الخَيَّاطُ) أن يَعرِض عارض أو يطرأ طارىء يوقفه تماماً، فجمع الناس، ووضع بين أيديهم ما انتهى إليه حتى تلك اللحظة، وأشعرهم بأهمية (إنتاج ذلك الثوب لهم).

وطلب منهم أن يشرعوا في الانتفاع بما انتهى إليه حتى الآن واستعماله؛ لأن ذلك القدر وإن لم يحقق الري التام الآن، لكنه على الأقل يعصم من الموت عطشاً أو الموت تسمماً بمشروب آخر كان يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً بل وجده **داءً وبلاءً ووباءً**.

وذلك الرِّيُّ الجزئي - الحاصل بما انتهى إليه هو - قد يُعين على أن تبقى في الإنسان قوةٌ تمكنه بذل (الجهود) للانطلاق من (الموجود) والبناء عليه لتحصيل (المفقود) والوصول إلى (المنشود).

وأخبرهم (الخَيَّاط) أنه إن لم يعرض له عارض **يُوقِفُه**، فلن يبرح حتى يبلغ أمله ويحقق حلمه، وإن عرض له ما **يُوهِنُه ويُضْعِفُه**.

كما أخبرهم أنه لو عرض عارض أوقفه تماما؛ فإنه يرجو منهم أن يكملوا ما بدأه هو، ويرجو من الله الشكور الكريم سبحانه وبحمده أن يكتب له بنيته وأمله، ما لم يتمكن من بلوغه بجهده وعمله.

فدونكم ما انتهيتُ إليه حتى هذه اللحظة في هذا الكتاب، وفي المثال الذي ذكرته ما يغني عن التفصيل والإسهاب، وإني لأرجو أن تكونوا جميعاً ممن وصلته الرسالة وكان من أولي الألباب.

ومن المحاور التي أوصي بها لتغطيةٍ متكاملةٍ للموضوع: استعراض ما صَحَّ من النصوص مع التحليل والتعليل، ثم استخراج الأصول بالتفصيل، ثم تحديد أصول الأصول، ثم تحديد أبرز المشكلات والتحديات مع وضع الحلول.

✍ **رحلة الخروج من الصدور إلى السطور:**

(١) تَوفرت الرغبة في الكتابة في الموضوع انطلاقاً مما سبقت الإشارة إليه من حيثيات تسببت في زيادة إدراك الأهمية الشرعية والواقعية للموضوع وزيادة الدافعية للكتابة فيه.

لكن الخطوة الأهم بالنسبة لي دوماً هي ما أُطلق عليه (تسديد النية)؛ للانطلاق في سماء الافتقار لمولاي سبحانه وبحمده والاستعانة به والتوكل عليه؛ لأن (الهِبَات والعطايا تكون على قدر صدق وصفاء وصلاح النوايا).

(٢) وبعد ذلك جاءت مرحلة تحديد وتسديد وتجويد (المنهجية) والتي تمنيتُ فيها تَنَاوُلَ الموضوع تناولاً يليق بالوحي الشريف قدر طاقتي المتواضعة.

ولقد سبق بيان ذلك في تلك المحاولة المتواضعة التي عرضتها تحت عنوان (منهجية التناول المُثلى)، والتي لم تكن كذلك منذ اللحظة الأولى للتفكير في الموضوع؛ وإنما لا زالت تتبلور وتتبلور وتتطور وتتطور حتى استقرت نسبيا على ما هي عليه الآن.

(٣) ثم اجتهدتُ في جمع واستقراء ما صَحَّ من النصوص في هذا الباب، والتزمتُ بألا أُورِد إلا ما يخص (الأطفال)، وما يخص (التعامل والتواصل) على وجه الخصوص، ولذلك أزعم أنكم ستجدون - بفضل الله - في هذا الكتاب ما تناثر في غيره، وكثيراً مما لا يوجد فيه غيره من أشباهه.

(٤) اجتهدتُ في تتبع الروايات الصحيحة لتلك النصوص؛ لأن بعض الروايات يكون فيها من البيان والإشارات الصحيحة ما لايكون في غيرها.

(٥) أقبلتُ على شروحات العلماء لتلك النصوص؛ للتأكد مما فهمته من دلالاتها وإشاراتها، وتقويمه، واقتناص إشارات جديدة.

(٦) شرعتُ في محاولة ترتيب وتبويب النصوص ترتيباً عملياً تطبيقياً منطقياً قدر الإمكان، وكانت تلك الخطوة من أكثر الخطوات إرهاقاً، وسيأتي الحديث عن بعض تفاصيلها وضوابطها.

(٧) تناولتُ تلك النصوص بالشرح والتحليل والتعليل في مجالس تعليمية وحلقات تلفيزيونية؛ وفي كل مرة كانت تتكشف لي أمور، لعل أبرزها مقدار الحاجة المَاسَّةِ لمعرفة تلك النصوص ولو بدون شرح وتحليل وتفصيل؛ كما تيقنتُ مما كنتُ أكره كثيراً مِن أنه (ليس شيء أوقع في النفوس من النصوص)، وأقصد نصوص الوحي طبعاً.

(٨) كنتُ قد انتويتُ أن أتناول تلك النصوص تناولاً متكاملاً شاملاً وفق ما أسلفتُ؛ لكن ما وجدته من الحاجة المَاسَّةِ لها، والفراغ الكبير الذي خَلَّفه غيابها جعلني (أُعَجِّل) بإخراجها للناس، بالإضافة طبعاً لما ذكرته من حيثيات (التعجيل) سابقاً تحت عنوان (الأُمْنِيَّةُ والمَنِيَّة)

(٩) شرعتُ في إعداد (ما قمتُ به من عمل سابق) للنشر، وما يتطلبه من توثيق وتنسيق، وحاولتُ أن أضع من العناوين والتعليقات القصيرة جداً في بعض المواطن ما يُعين على الانتفاع بالنصوص ولا يزاحمها.

(١٠) كانت عندي مقالات مهمة تتعلق بنظرات علمية وواقعية لمسائل تخص (التعامل مع الأطفال)، رأيتُ أن أدعم بها الكتاب، لكنني أوردتها منفصلة في نهاية ما لها علاقة به من النصوص تحت عنوان (استراحة).

ثالثاً: تنبيهات وتوضيحات

سأشرع تحت هذا العنوان في عرض نصوص أنفقتُ وقتاً كبيراً في تجميعها والتأكد من صحتها وترتيبها وتبويبها بعد مطالعة شروحها ووعي دلالتها.

✍ لا يخفى أن الأوصاف والمواقف العامة للنبي (ﷺ) في باب المعاملة يدخل فيها الأطفال وغيرهم، لكنني هنا اشترطتُ على نفسي أن أقتصر على ما يخص الأطفال مباشرة، ولم أورد (العَامَّ) إلا للاستئناس أو التوضيح.

✍ وأؤكد على أنني اجتهدت في ألا أورد هنا إلا حديثاً صحيحاً أو حسناً، ولا يخفى أن بعض الأحاديث يكون فيها اختلاف، لكنني لم أستعمل رأيي أو رأي غير المتخصصين في هذا الأمر، بل لا تجد حديثاً إلا وقد حَكَم بتصحيحه أو تحسينه أحد أساطين هذا الفن كالعلماء: الألباني وأحمد شاكر والأرنؤوط وغيرهم رحمة الله على الجميع.

✍ ولم ألتزم بإيراد النص مرة واحدة، وإنما اعتمدتُ طريقة المثاني، فقد تتكرر بعض النصوص تحت عناوين مختلفة؛ لأن في النص الواحد إشارة واضحة لأكثر من أصل من أصول التعامل مع الأطفال، فلم أجد بُدّاً من تكرار ذلك النص في مكان آخر.

✍ وأؤثر إيراد النص كاملاً؛ لتتم فائدته في موضعه، وأحيانا أقتصر على موطن الشاهد أو أُحيل على موضع الحديث، وربما أؤخر إيراد الحديث المكرر تحت عنوانٍ ما وأُورِد غيره قبله؛ لأن غيره نص جديد يرد للمرة الأولى.

✍ أما فيما يتعلق بالترتيب، فحاولت جمع الأصول الصغرى في مجموعات (كبرى)، وذلك بإيراد الأصول القريبة من بعضها متتابعة؛ لأنها يمكن أن يتم جمعها تحت عنوان واحدٍ جامع.

أصول تعامل (عامّة) مع الأطفال

أولاً: الرحمة بهم شفقةً وترفقاً وحناناً

ثانياً: الرحمة بهم إسعاداً وإبهاجاً وإكراماً وإحساناً.

ثالثاً: تقدير طفولتهم وحاجتهم للعب واللهو والممازحة

رابعاً: العدل ومنع الظلم

خامساً: التشجيع وصناعة الطموح

سادساً: الاحترام والتقدير

سابعاً: معالجة الأخطاء بالرفق والحكمة

بين يدي تلك الأصول (العامة)

لابد لي أن أعترف أن ترتيب وتبويب النصوص المتعلقة (بأصول التعامل مع الأطفال) قد أرهقني جداً؛ ووجه الإرهاق فيه إنما كان في الرغبة في أن يكون التبويب عملياً تطبيقياً بصورة منطقية، وفي ذات الوقت لا يهدر شيئاً من دلالات وإشارات تلك النصوص التي أذهلتني بثرائها وكثرتها.

ومن التحديات التي واجهتني الرغبة في أن يأتي النص في مكانه كاملاً بكل مشتملاته الدلالية وعلاقاتها ببعضها، لكن تلك الرغبة كان يُعَكِّرِ عليها دوماً رغبة أخرى في إيثار الاختصار، والفرار من التكرار، والاقتصار على موطن الشاهد، لكن الرغبة في أن يكون البيان كاملاً شاملاً كانت تغلب.

وفي الأخير استقر الأمر على النظر لتلك الأصول من زاويتين:

الأولى: زاوية الأصول (العامة) التي يجب مراعاتها مع كل الأطفال، واستلزمت تلك الزاوية، استعراض النصوص بطريقة موضوعية (أفقية)، وكأننا نأخذ من كل نص (شريحة) تناسب الموضوع الذي نتحدث عنه؛ لكننا نورد النص كله وليس الشريحة فقط؛ لأنه أوقع في الانتفاع الكامل بالنص في هذه النقطة؛ لأن السياق والتشابكات الدلالية يؤثران ولاشك في الانتفاع بالنص.

وتم تقسيم تلك الأصول إلى كبرى (أصول الأصول) تنتظم أخرى صغرى، تربطها بها علاقة واضحة تختلف نوعيتها باختلاف المجموعات.

والثانية: زاوية الأصول (الخاصة) التي يجب مراعاتها مع فئات (مخصوصة) من الأطفال كالبنات والأيتام والخُدَّام، واستلزمت تلك الزاوية استعراض النصوص بطريقة (رأسية)، فنأخذ النصوص التي تخص فئة معينة ونوردها متتابعة بترتيب عملي مُعين.

أولاً: الرحمة بهم شفقةً وترفقاً وحناناً

(١) التأثر بموتهم والحزن على فراقهم.

- وَعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) مِنْ أَرْحَمِ النَّاسِ بِالصِّبْيَانِ وَالْعِيَالِ"[١].

- قال أنس بن مالك ﷺ: "مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، كَانَ إِبْرَاهِيمُ مُسْتَرْضِعًا لَهُ فِي عَوَالِي الْمَدِينَةِ، فَكَانَ يَنْطَلِقُ وَنَحْنُ مَعَهُ فَيَدْخُلُ الْبَيْتَ وَإِنَّهُ لَيُدَّخَنُ، وَكَانَ ظِئْرُهُ قَيْنًا، فَيَأْخُذُهُ فَيُقَبِّلُهُ، ثُمَّ يَرْجِعُ"[٢].

- وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أيضاً، قَالَ: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) عَلَى أَبِي سَيْفٍ القَيْنِ، وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) إِبْرَاهِيمَ، فَقَبَّلَهُ، وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، (وفي رواية: فَدَعَا النَّبِيُّ (ﷺ) بِالصَّبِيّ، فَضَمَّهُ إِلَيْهِ، وَقَالَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ)، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) تَذْرِفَانِ.

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ﷺ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

فَقَالَ: «يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ».

ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ (ﷺ): «إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ»[٣]

وفي رواية أنه قال: "تَدْمَعُ الْعَيْنُ، وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ، وَلَا نَقُولُ مَا يُسْخِطُ الرَّبَّ، لَوْلَا أَنَّهُ وَعْدٌ صَادِقٌ، وَمَوْعُودٌ جَامِعٌ، وَأَنَّ الْآخِرَ تَابِعٌ لِلْأَوَّلِ، لَوَجَدْنَا عَلَيْكَ يَا إِبْرَاهِيمُ أَفْضَلَ مِمَّا وَجَدْنَا، وَإِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ"[٤]

---

[١] تاريخ دمشق (٤/ ٨٨)، وانظر: صَحِيح الْجَامِع (٤٧٩٧)

[٢] رواه مسلم (٢٣١٦)، وأحمد (١٢١٢٣)، وابن حبان (٦٩٥٠)، وأبو يعلى (٤١٩٢).

[٣] صحيح البخاري (١٣٠٣)، صحيح مسلم: ٦٢ - (٢٣١٥)

[٤] سنن ابن ماجة (١٥٨٩)، وحسنه الألباني، وعند أبي داوود (٣١٨٧) عن عائشة ﷺ أن عمره كان (١٨ شهرا).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، صَاحَ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): "لَيْسَ هَذَا مِنَّا، لَيْسَ لِصَارِخٍ حَظٌّ، الْقَلْبُ يَحْزَنُ، وَالْعَيْنُ تَدْمَعُ، وَلَا نَقُولُ مَا يُغْضِبُ الرَّبَّ"[1]

(٢) تقدير واحترام آلامهم وأوجاعهم وتضجرهم وبكائهم

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: جَوَّزَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) ذَاتَ يَوْمٍ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ، فَقَرَأَ بِأَقْصَرِ سُورَتَيْنِ فِي الْقُرْآنِ.

فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ جَوَّزْتَ؟

قَالَ: "سَمِعْتُ بُكَاءَ صَبِيٍّ، فَظَنَنْتُ أَنَّ أُمَّهُ مَعَنَا تُصَلِّي، فَأَرَدْتُ أَنْ أُفْرِغَ لَهُ أُمَّهُ"[2]

وقال (ﷺ): "إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ وَأَنَا أُرِيدُ إِطَالَتَهَا فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ"[3]

وبلغ من رحمته (ﷺ) بالصغار أنه قَالَ عن الغامدية ﷺ: «لَا نَرْجُمُهَا وَنَدَعُ وَلَدَهَا صَغِيرًا لَيْسَ لَهُ مَنْ يُرْضِعُهُ»، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: إِلَيَّ رَضَاعُهُ يَا نَبِيَّ اللهِ، قَالَ: فَرَجَمَهَا[4].

وفي رواية أنه (ﷺ) قَالَ لها: "فَاذْهَبِي حَتَّى تَلِدِي"، فَلَمَّا وَلَدَتْ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي خِرْقَةٍ، قَالَتْ: هَذَا قَدْ وَلَدْتُهُ.

قَالَ: "اذْهَبِي فَأَرْضِعِيهِ حَتَّى تَفْطِمِيهِ"، فَلَمَّا فَطَمَتْهُ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي يَدِهِ كِسْرَةُ خُبْزٍ، فَقَالَتْ: هَذَا يَا نَبِيَّ اللهِ قَدْ فَطَمْتُهُ، وَقَدْ أَكَلَ الطَّعَامَ[5].

---

[1] صحيح ابن حبان (٣١٦٠)، وحسنه الألباني

[2] رواه أحمد (١٣٧٢٦) في المسند، وصححه الأرناؤوط، انظر: صفة الصلاة (١/ ٣٩١)

[3] البخاري (٦٧٧)، وابن ماجة (٩٨٩)، وابن خزيمة (١٦١٠)، وابن حبان (٢١٣٩).

[4] صحيح مسلم: ٢٢ - (١٦٩٥)

[5] صحيح مسلم: ٢٣ - (١٦٩٥)

(٣) تقدير أحزانهم ومشاركتهم وجدانيا ومواساتهم

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) **أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا**، إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) **لَيُلَاطِفُنَا كَثِيرًا**، وَكَانَ **يَدْخُلُ عَلَيْنَا** (وفي رواية: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) **يُخَالِطُنَا**). وَلِي أَخٌ صَغِيرٌ (فَطِيمًا)، يُكْنَى: أَبَا عُمَيْرٍ، فَكَانَ النَّبِيُّ (ﷺ) **يُضَاحِكُهُ (وفي رواية: يُمَازِحُهُ)**، وَكَانَ لَهُ نُغَرٌ[١] يَلْعَبُ بِهِ، وَكَانَ (ﷺ) إِذَا جَاءَ قَالَ: «**يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟**».

فَمَاتَ (أَي: النُغَر)، فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) ذَاتَ يَوْمٍ فَرَآهُ حَزِينًا، فَقَالَ: مَا شَأْنُهُ؟، قَالُوا: مَاتَ نُغَرُهُ، فَقَالَ: "**يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟**".

وَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَنَضَحْنَا بُسَاطًا لَنَا، **فَصَلَّى عَلَيْهِ وَصَفَفْنَا خَلْفَهُ**[٢].

وَعَنْ بَشِيرِ بْنِ عَقْرَبَةَ رضي الله عنه قَالَ: اسْتُشْهِدَ أَبِي مَعَ النَّبِيِّ (ﷺ) فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ، فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللهِ (ﷺ) وَأَنَا أَبْكِي، فَقَالَ لِيَ: "**اسْكُنْ، أَمَا تَرْضَى أَنْ أَكُونَ أَنَا أَبُوكَ وَعَائِشَةُ أُمُّكَ؟**"، قُلْتُ: بَلَى بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ[٣].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) أَمْهَلَ آلَ جَعْفَرٍ ثَلَاثًا أَنْ يَأْتِيَهُمْ، ثُمَّ أَتَاهُمْ، فَقَالَ: "**لَا تَبْكُوا عَلَى أَخِي بَعْدَ الْيَوْمِ**"، ثُمَّ قَالَ: "**ادْعُوا لِي بَنِي أَخِي**"، فَجِيءَ بِنَا كَأَنَّا أَفْرُخٌ، فَقَالَ: "**ادْعُوا لِي الْحَلَّاقَ**"، **فَأَمَرَهُ فَحَلَقَ رُءُوسَنَا**.

ثُمَّ قَالَ: "أَمَّا مُحَمَّدٌ فَشَبِيهُ عَمِّنَا أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ فَشَبِيهُ خَلْقِي وَخُلُقِي" **ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَأَشَالَهَا، فَقَالَ: "اللَّهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَرًا فِي أَهْلِهِ، وَبَارِكْ لِعَبْدِ اللَّهِ فِي صَفْقَةِ يَمِينِهِ"، قَالَهَا ثَلَاثَ مِرَارٍ.**

---

[١] قال في عون المعبود (١١/٢): "طَائِر يُشْبِه الْعُصْفُور، أَحْمَر الْمِنْقَار ... أَهْل الْمَدِينَة يُسَمُّونَهُ الْبُلْبُل"

[٢] البخاري (٥٨٥٠)، مسلم: ٣٠ - (٢١٥٠)، أبو داوود (٤٩٦٩)، الترمذي (٣٣٣)، أحمد (١٢١٣٧).

[٣] انظر: السلسلة الصَّحِيحَة (٣٢٤٩).

قَالَ: فَجَاءَتِ أُمُّنَا فَذَكَرَتْ لَهُ يُتْمَنَا، وَجَعَلَتْ تُفْرِحُ لَهُ، فَقَالَ: "الْعَيْلَةَ تَخَافِينَ عَلَيْهِمْ وَأَنَا وَلِيُّهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ"[1]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ رضي الله عنهما، قَالَ: لَمَّا جَاءَ نَعْيُ جَعْفَرٍ حِينَ قُتِلَ، قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): "اصْنَعُوا لِآلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا، فَقَدْ أَتَاهُمْ أَمْرٌ يَشْغَلُهُمْ (أَوْ أَتَاهُمْ مَا يَشْغَلُهُمْ)"[2]

وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما، قال: لَوْ رَأَيْتَنِي وَقُثَمَ وَعُبَيْدَ اللَّهِ ابْنَيْ عَبَّاسٍ، وَنَحْنُ صِبْيَانٌ نَلْعَبُ، إِذْ مَرَّ النَّبِيُّ (ﷺ) عَلَى دَابَّةٍ، فَقَالَ: "ارْفَعُوا هَذَا إِلَيَّ" قَالَ: فَحَمَلَنِي أَمَامَهُ، وَقَالَ لِقُثَمَ: "ارْفَعُوا هَذَا إِلَيَّ" فَجَعَلَهُ وَرَاءَهُ، وَكَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ أَحَبَّ إِلَى عَبَّاسٍ مِنْ قُثَمَ، فَمَا اسْتَحَى مِنْ عَمِّهِ أَنْ حَمَلَ قُثَمًا وَتَرَكَهُ، قَالَ: ثُمَّ مَسَحَ عَلَى رَأْسِي ثَلَاثًا، وَقَالَ كُلَّمَا مَسَحَ: "اللَّهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَرًا فِي وَلَدِهِ"[3].

(٤) حسن العناية بهم والتفاعل المتكامل معهم في مرضهم

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَت: دَخَلَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) فَسَمِعَ صَوْتَ صَبِيٍّ يَبْكِي، فَقَالَ: "مَا لِصَبِيِّكُمْ هَذَا يَبْكِي؟ هَلَّا اسْتَرْقَيْتُمْ لَهُ مِنْ الْعَيْنِ؟"[4]

وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) رَأَى فِي بَيْتِهَا جَارِيَةً فِي وَجْهِهَا سَفْعَةٌ (أي: صفرة وشحوب)، فَقَالَ: «اسْتَرْقُوا لَهَا، فَإِنَّ بِهَا النَّظْرَةَ»[5]

وقَالَ النبي (ﷺ) لأَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ رضي الله عنها (زوج جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه): «مَا لِى أَرَى أَجْسَامَ بَنِى أَخِى ضَارِعَةً (أي: نحيفة)! تُصِيبُهُمُ الْحَاجَةُ؟» قَالَتْ: لاَ وَلَكِنِ الْعَيْنُ تُسْرِعُ إِلَيْهِمْ. قَالَ: «ارْقِيهِمْ». قَالَتْ فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: «ارْقِيهِمْ»[6].

---

[1] سنن أبي داوود (٤١٩٢)، مسند أحمد (١٧٥٠، ١٧٥١)، وصححه شاكر والألباني

[2] مسند أحمد (١٧٥٠، ١٧٥١)، وصححه شاكر والألباني

[3] مسند أحمد (١٧٦٠)، وانظر: صحيح الأدب المفرد (ص: ٧٥)

[4] مسند أحمد (٢٤٤٤٢)، وانظر: الصَّحِيحَة (١٠٤٨)

[5] صحيح البخاري (٥٧٣٩)، وصحيح مسلم: ٥٩ - (٢١٩٧)

[6] صحيح مسلم: ٦٠ - (٢١٩٨)

عَنِ الجُعَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، رَأَيْتُ السَّائِبَ بْنَ يَزِيدَ ﷺ، ابْنَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ، جَلْدًا مُعْتَدِلًا، فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتُ: مَا مُتِّعْتُ بِهِ سَمْعِي وَبَصَرِي إِلَّا بِدُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، إِنَّ خَالَتِي ذَهَبَتْ بِي إِلَيْهِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، **إِنَّ ابْنَ أُخْتِي شَاكٍ** (وفي رواية: **وَجِعٌ**)، فَادْعُ اللَّهَ لَهُ، قَالَ: «**فَمَسَحَ رَأْسِي، وَدَعَا لِي بِالْبَرَكَةِ** ... ثُمَّ قُمْتُ خَلْفَ ظَهْرِهِ، فَنَظَرْتُ إِلَى خَاتَمِ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، مِثْلَ زِرِّ الحَجَلَةِ»[1].

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَاطِبٍ ﷺ، قَالَ: تَنَاوَلْتُ قِدْرًا لِأُمِّي، فَاحْتَرَقَتْ يَدِي (وفي رواية: انْصَبَّتْ عَلَى يَدَيْ مَرَقَةٌ، فَأَحْرَقَتْهَا)، فَذَهَبَتْ بِي أُمِّي إِلَى النَّبِيِّ (ﷺ)، **فَجَعَلَ يَمْسَحُ يَدِي**، وَلَا أَدْرِي مَا يَقُولُ، أَنَا أَصْغَرُ مِنْ ذَاكَ، فَسَأَلْتُ أُمِّي، فَقَالَتْ: كَانَ يَقُولُ: «**أَذْهِبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ**»[2]

بل وصل الأمر إلى أن **يعود (غلاماً يهودياً) شفقةً عليه، وينصحه بكل ترفق؛** فَعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: كَانَ غُلَامٌ مِنَ الْيَهُودِ يَخْدُمُ النَّبِيَّ (ﷺ) **فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) يَعُودُهُ وَهُوَ بِالْمَوْتِ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَدَعَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ،** فَنَظَرَ الْغُلَامُ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ: أَطِعْ أَبَا القاسِم، فَأَسْلَمَ ثُمَّ مَاتَ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) مِنْ عِنْدِهِ وَهُوَ يَقُولُ: "الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ بِي مِنَ النَّارِ"، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) لِأَصْحَابِهِ: "صَلُّوا عَلَى أَخِيكُمْ"[3]

(٥) يقدر ظروفهم ويتحملهم ولا يتضجر منهم

وربما حمل الرسول محمد (ﷺ) الطفل الصغير **فيبول على ثوبه،** فيدعو بماء فينضَح ثوبه به، ولا يغسله.

[1] صحيح البخاري (١٩٠، ٣٥٤٠)، صحيح مسلم (٢٣٤٥)

[2] مسند أحمد (١٨٢٧٦)، وصححه الألباني والأرنؤوط

[3] صحيح البخاري (١٢٩٠)، ومسند أحمد (١٣٣٩٩، ١٣٧٢٦)، وفي صحيح ابن حبان (٢٩٦٠) وصححه الألباني رواية: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) لِأَصْحَابِهِ: "**اذْهَبُوا بِنَا إِلَيْهِ نَعُودُهُ**" فَأَتَوْهُ.

وقد تكررت مواقف بول الأطفال الصغار على ثيابه وفي حجره (ﷺ) من كثرة حبّه لهم وحمله لهم، ولم يقتصر حمله على الصبيان بل والبنات أيضًا.

تقول أم كرز الخزاعية رضي الله عنها: «أُتِيَ النبي (ﷺ) بغلام **فبال عليه**، فأمر به فنضح، وأتي بجارية **فبالت عليه** فأمر به فغُسل»[1].

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: «كَانَ النَّبِيُّ (ﷺ) يُؤْتَى بِالصِّبْيَانِ فَيَدْعُو لَهُمْ، **فَأُتِيَ بِصَبِيٍّ فَبَالَ عَلَى ثَوْبِهِ، فَدَعَا بِمَاءٍ فَأَتْبَعَهُ إِيَّاهُ، وَلَمْ يَغْسِلْهُ**»[2]

وعَنْ أُمِّ قَيْسٍ بِنْتِ مِحْصَنٍ رضي الله عنها، أَنَّهَا «أَتَتْ بِابْنٍ لَهَا صَغِيرٍ، لَمْ يَأْكُلِ الطَّعَامَ، إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، **فَأَجْلَسَهُ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) فِي حَجْرِهِ، فَبَالَ عَلَى ثَوْبِهِ، فَدَعَا بِمَاءٍ، فَنَضَحَهُ وَلَمْ يَغْسِلْهُ**»[3]

(٦) يخاف عليهم، ويظهر الشفقة بهم

وَعَنْ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) يَخْطُبُنَا، إِذْ جَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ رضي الله عنهما، عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ، يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) مِنْ الْمِنْبَرِ، فَقَطَعَ كَلَامَهُ، **فَحَمَلَهُمَا ثُمَّ عَادَ إِلَى الْمِنْبَرِ، وَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ**، ثُمَّ قَالَ: "صَدَقَ اللهُ {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ}، فَنَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصَّبِيَّيْنِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ فِي قَمِيصَيْهِمَا، **فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ حَدِيثِي وَرَفَعْتُهُمَا**"[4]

وكان **يخشى عليهم من الإيذاء النفسي أو البدني**؛ فلا يُعرضهم للقتال ولو اشتدت رغبتهم في ذلك؛ **لئلاً يزج بهم في تجارب غير مأمونة العواقب.**

---

[1] رواه أحمد (٢٦٨٣٤) وصححه الأرناؤوط.

[2] صحيح البخاري (٦٣٥٥)، صحيح مسلم: ١٠١ - (٢٨٦)

[3] صحيح البخاري (١/ ٥٤)

[4] الترمذي (٣٧٧٤)، أبو داوود (١١٠٩)، وأحمد (٢٣٠٤٥)، انظر: صحيح الجامع (٣٧٥٧).

لأنه كان يراهم (مخزوناً استراتيجيا) لا ينبغي أن يتعرض للإهدار، وإنما يُستثمر أحسن استثمار.

ولذلك لَمَّا جاءه الكثير من أطفال الصحابة يوم أُحُدٍ يريدون الخروج معه للقتال، رَدَّهم لصغر سنهم، وكان منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب، وأسامة بن زيد، وأسيد بن ظهير، وزيد بن ثابت، وزيد بن أرقم، وعرابة بن أوس، وعمرو بن حزم، وأبو سعيد الخدري، وسعد بن حبة، وغيرهم[١].

[١] الرحيق المختوم (ص: ٢٢٨).

ثانياً: الرحمة بهم إسعاداً وإبهاجاً وإكراماً وإحساناً

(١) تقبيلهم والتودد إليهم والإنكار على مَن يستنكف عن ذلك.

قَبَّلَ (ﷺ) الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ رضي الله عنهما وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ، فَقَالَ الْأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ، مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) ثُمَّ قَالَ: "مَا أَمْلِكُ إِنْ كَانَ اللهُ عز وجل نَزَعَ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ؟ مَنْ لَا يَرْحَمُ، لَا يُرْحَمُ"[١]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) يُدْلِعُ لِسَانَهُ لِلْحُسَيْنِ، فَيَرَى الصَّبِيُّ حُمْرَةَ لِسَانِهِ، فَيَهَشُّ (أي: يفرح ويرتاح ويخف) إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ بَدْرٍ: أَلَا أَرَى تَصْنَعُ هَذَا بِهَذَا، وَاللَّهِ لَيَكُونُ لِيَ الِابْنُ قَدْ خَرَجَ وَجْهُهُ وَمَا قَبَّلْتُهُ قَطُّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): "مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ"[٢]

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَدِمَ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ عَلَى رَسُولِ اللهِ (ﷺ) فَقَالُوا: أَتُقَبِّلُونَ صِبْيَانَكُمْ؟ قَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ: لَكِنَّا وَاللهِ مَا نُقَبِّلُهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): "أَوَأَمْلِكُ أَنْ كَانَ اللهُ قَدْ نَزَعَ مِنْكُمْ الرَّحْمَةَ؟"[٣]

وقَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): "لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ (وفي رواية: وَيُوَقِّرْ) كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ"[٤]

(٢) يكفل للبنت حقها في قُبْلَةِ الوالد وملاطفته، ويطالب بالعدل معها

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) رَجُلٌ، فَجَاءَ ابْنٌ لَهُ، فَقَبَّلَهُ وَأَجْلَسَهُ عَلَى فَخِذِهِ، ثُمَّ جَاءَتْ بِنْتٌ لَهُ، ، قَالَ: "فَهَلَّا عَدَلْتَ بَيْنَهُمَا؟"[٥].

---

[١] البخاري (٥٦٥١)، ومسلم (٢٣١٨)، وأبو داود (٥٢١٨)، والترمذي (١٩١١)، وأحمد (٧١٢١).

[٢] رواه ابن حبان (٥٥٩٦، ٦٩٧٥)، وصححه الألباني، وحسنه الأرنؤوط، وانظر: الصحيحة (٧٠).

[٣] البخاري (٥٩٩٨)، ومسلم (٢٣١٧).

[٤] رواه أحمد (٢٢٨٠٧)، والترمذي (١٩١٩)، وانظر: صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب (١٠١)

[٥] رواه الطحاوي (٥٨٤٧)، والبيهقي (١١٠٢٢)، وانظر: الصَّحِيحَة (٢٨٨٣، ٢٩٩٤)

وَكَانَتْ فاطمة رضي الله عنها إِذَا دَخَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ (ﷺ) **قَامَ إِلَيْهَا، فَرَحَّبَ بِهَا وَقَبَّلَهَا، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهَا فَجَاءَ بِهَا حَتَّى يُجْلِسَهَا فِي مَكَانِهِ**، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) إِذَا دَخل عَلَيْهَا قَامَتْ إِلَيْهِ فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ، فَرَحَّبَتْ بِهِ وَقَبَّلَتْهُ، وَأَجْلَسَتْهُ فِي مَجْلِسِهَا، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ فِي مَرَضِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ، فَرَحَّبَ بِهَا (في صحيح البخاري [٣٦٢٣]: أنه ﷺ قال: «مَرْحَبًا بِابْنَتِي») وَقَبَّلَهَا[١].

وعلى الدرب سار الصحابة رضي الله عنهم فعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه عَلَى أَهْلِهِ أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَإِذَا عَائِشَةُ ابْنَتُهُ رضي الله عنها مُضْطَجِعَةٌ قَدْ أَصَابَتْهَا حُمَّى، فَأَتَاهَا أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ لَهَا: **كَيْفَ أَنْتِ يَا بُنَيَّةُ؟ وَقَبَّلَ خَدَّهَا**[٢].

(٣) لا يستنكف مِن حَمْلهم وإظهار محبتهم أمام الناس

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) وَمَعَهُ حَسَنٌ وَحُسَيْنٌ رضي الله عنهما **هَذَا عَلَى عَاتِقِهِ، وَهَذَا عَلَى عَاتِقِهِ، وَهُوَ يَلْثِمُ هَذَا مَرَّةً، وَيَلْثِمُ هَذَا مَرَّةً**، حَتَّى انْتَهَى إِلَيْنَا، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ تُحِبُّهُمَا، فَقَالَ: «مَنْ أَحَبَّهُمَا فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَنِي»[٣]

وَعَنْ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) يَخْطُبُنَا، إِذْ جَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ رضي الله عنهما، عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ، يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) مِنْ الْمِنْبَرِ، فَقَطَعَ كَلَامَهُ، **فَحَمَلَهُمَا ثُمَّ عَادَ إِلَى الْمِنْبَرِ، وَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ**، ثُمَّ قَالَ: "صَدَقَ اللهُ {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ}، فَنَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصَّبِيَّيْنِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ فِي قَمِيصَيْهِمَا، **فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ حَدِيثِي وَرَفَعْتُهُمَا**"[٤]

---

[١] رواه البخاري في الأدب المفرد (٩٤٧، ٩٧١)، وأبو داوود (٥٢١٧)، وصححه الألباني

[٢] صحيح البخاري (٣٧٠٤)، سنن أبي داوود (٥٢٢٢)

[٣] مسند أحمد (٩٦٧٣)

[٤] الترمذي (٣٧٧٤)، أبو داوود (١١٠٩)، وأحمد (٢٣٠٤٥)، انظر: صحيح الجامع (٣٧٥٧).

وعلى الدرب سار الصحابة ﷺ في عدم الاستنكاف من حمل الأطفال على العاتق مع الممازحة أمام الناس، فعَنْ عُقْبَةَ بْنِ الحَارِثِ ﷺ، قَالَ: صَلَّى أَبُو بَكْرٍ ﷺ العَصْرَ، ثُمَّ خَرَجَ يَمْشِي، فَرَأَى الحَسَنَ ﷺ يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ، فَحَمَلَهُ عَلَى عَاتِقِهِ، وَقَالَ: بِأَبِي، شَبِيهٌ بِالنَّبِيِّ لاَ شَبِيهٌ بِعَلِيٍّ. وَعَلِيٌّ يَضْحَكُ[1]

(٤) لا يستنكف من إدخال السرور عليهم، ومراعاة مشاعرهم

وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ فِي الْمَسْجِدِ، نَنْتَظِرُ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) لِلصَلَاةِ فِي الظُّهْرِ أَوْ الْعَصْرِ، وَقَدْ دَعَاهُ بِلَالٌ لِلصَلَاةِ، إِذْ خَرَجَ إِلَيْنَا يَحْمِلُ أُمَامَةَ بِنْتَ أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ - وَأُمُّهَا زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) - وَهِيَ صَبِيَّةٌ يَحْمِلُهَا عَلَى عَاتِقِهِ، (وفي رواية: عَلَى عُنُقِهِ).

فَقَامَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) فِي مُصَلَّاهُ، وَقُمْنَا خَلْفَهُ، وَهِيَ فِي مَكَانِهَا الَّذِي هِيَ فِيهِ، قَالَ: فَكَبَّرَ، فَكَبَّرْنَا، حَتَّى إِذَا أَرَادَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) أَنْ يَرْكَعَ، أَخَذَهَا فَوَضَعَهَا، ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ سُجُودِهِ ثُمَّ قَامَ، أَخَذَهَا فَرَدَّهَا فِي مَكَانِهَا، فَمَا زَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) يَصْنَعُ بِهَا ذَلِكَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، حَتَّى فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ[2].

(٥) يجلسهم على فخذه ويحتفي بهم

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ، قَالَ: أُتِيَ بِالْمُنْذِرِ بْنِ أَبِي أُسَيْدٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ (ﷺ)، حِينَ وُلِدَ فَوَضَعَهُ النَّبِيُّ (ﷺ) عَلَى فَخِذِهِ، وَأَبُو أُسَيْدٍ جَالِسٌ، فَلَهِيَ النَّبِيُّ (ﷺ) بِشَيْءٍ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَأَمَرَ أَبُو أُسَيْدٍ بِابْنِهِ فَاحْتُمِلَ مِنْ عَلَى فَخِذِ رَسُولِ اللهِ (ﷺ)، فَأَقْلَبُوهُ، فَاسْتَفَاقَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ)، فَقَالَ: «أَيْنَ الصَّبِيُّ» فَقَالَ: أَبُو أُسَيْدٍ أَقْلَبْنَاهُ، يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «مَا اسْمُهُ؟» قَالَ: فُلَانٌ، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «لَا، وَلَكِنِ اسْمُهُ الْمُنْذِرُ» فَسَمَّاهُ يَوْمَئِذٍ الْمُنْذِرَ[3].

---

[1] صحيح البخاري (٣٥٤٢)

[2] البخاري (٤٩٤، ٥٦٥٠)، مسلم: ٤١، ٤٢ - (٥٤٣)، أبو داوود (٩١٨، ٩٢٠)، أحمد (٢٢٦٣٧).

[3] البخاري (٥٨٣٨)، ومسلم: ٢٩ - (٢١٤٩)

(٦) الضم والملاطفة والتواصل الجسدي الحنون

عَنْ أَبِي بَكَرَةَ ﷺ، قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) ذَاتَ يَوْمٍ يَخْطُبُ، إِذْ جَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ﷺ فَصَعِدَ إِلَيْهِ الْمِنْبَرَ، **فَضَمَّهُ** النَّبِيُّ (ﷺ) إِلَيْهِ **وَمَسَحَ عَلَى رَأْسِهِ،** وَقَالَ: «ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ عَلَى يَدَيْهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»[١]

عَنْ يَعْلَى بْنِ مُرَّةَ الْعَامِرِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ﷺ يَسْعَيَانِ إِلَى النَّبِيِّ (ﷺ)، **فَضَمَّهُمَا إِلَيْهِ،** وَقَالَ: "إِنَّ الْوَلَدَ مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ، مَجْهَلَةٌ مَحْزَنَةٌ"[٢]

ويقول أسامة بن زيد ﷺ: كان رسول الله (ﷺ) يأخذني **فيُقعِدني على فخذه ويُقعِد الحسنَ** ﷺ **على فخذه الآخر ثم يضمهما،** ثم يقول: **"اللَّهُمَّ ارْحَمْهُمَا فَإِنِّي أَرْحَمُهُمَا"**[٣].

(٧) يستقبلهم أحسن استقبال

عَنْ إِيَاسِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: "لَقَدْ قُدْتُ بِنَبِيِّ اللهِ (ﷺ) وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ ﷺ، بَغْلَتَهُ الشَّهْبَاءَ، حَتَّى أَدْخَلْتُهُمْ حُجْرَةَ النَّبِيِّ (ﷺ) **هَذَا قُدَّامَهُ وَهَذَا خَلْفَهُ**"[٤]

يقول عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ﷺ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، **تُلُقِّيَ بِصِبْيَانِ أَهْلِ بَيْتِهِ** ... وَإِنَّهُ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، فَسُبِقَ بِي إِلَيْهِ، **فَحَمَلَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ،** ثُمَّ جِيءَ بِأَحَدِ ابْنَيْ فَاطِمَةَ، **فَأَرْدَفَهُ خَلْفَهُ** ... فَأُدْخِلْنَا الْمَدِينَةَ ثَلَاثَةً عَلَى دَابَّةٍ[٥].

---

[١] سنن أبي داود (٤٦٦٣)، مسند أحمد (٢٠٤٩٩)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٦٢٣٣)

[٢] سنن ابن ماجة (٣٦٦٦)، ومسند أحمد (١٧٥٩٨)، ومستدرك الحاكم (٥٢٨٤)، وصححه الألباني

٣ البخاري (٥٦٥٧)، وأحمد (٢١٨٣٥)، وابن حبان (٦٩٦١)، والنسائي في سننه الكبرى (٨١٨٤).

[٤] صحيح مسلم: ٦٠ - (٢٤٢٣)

٥ مسلم (٢٤٢٨)، والنسائي في سننه الكبرى (٤٢٤٦).

يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ مَكَّةَ اسْتَقْبَلَتْهُ أُغَيْلِمَةُ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَحَمَلَ وَاحِدًا بَيْنَ يَدَيْهِ وَآخَرَ خَلْفَهُ[1].

عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: قَالَ السَّائِبُ بْنُ يَزِيدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ذَهَبْنَا نَتَلَقَّى رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) مَعَ الصِّبْيَانِ إِلَى ثَنِيَّةِ الوَدَاعِ»[2]

(٨) يسلم عليهم (كدعاء لهم)

عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ مَعَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه فَمَرَّ عَلَى صِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ أنس رضي الله عنه: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) فَمَرَّ عَلَى صِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: "السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا صِبْيَانُ"[3]

عَنْ سَيَّارٍ رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ رضي الله عنه، فَمَرَّ بِصِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وَحَدَّثَ ثَابِتٌ رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ يَمْشِي مَعَ أَنَسٍ رضي الله عنه، فَمَرَّ بِصِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وَحَدَّثَ أَنَسٌ رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ يَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) «فَمَرَّ بِصِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ»[4]

قال أنسٌ رضي الله عنه: أتى رسولُ الله (ﷺ) على غلمانٍ يلعبُونَ، فسلَّم عليهم[5].

قال أنسٌ رضي الله عنه: انتهى إلينا رسولُ الله (ﷺ) وأنا غلام في الغِلْمَانِ، فسَلَّم علينا، ثم أخذَ بيدي، فأرسلني برسالةٍ، وقعد في ظلِّ جِدارٍ -أو قال: إلى جدارٍ- حتى رجعتُ إليهِ[6].

---

١ البخاري (١٧٠٤)، وأبو داود (١٩٤٠)، والنسائي (٣٠٦٤)، وابن ماجة (٣٠٢٥).

٢ صحيح البخاري (٣٠٨٣)

٣ البخاري (٥٨٩٣)، ومسلم: ١٤ - (٢١٦٨)، وأحمد (١٢٩١٩)، وانظر: الصحيحة (٢٩٥٠)

٤ صحيح مسلم (٤/ ١٧٠٨)

٥ سنن أبي داود (٧/ ٤٩٦) وصححه الأرنؤوط

٦ سنن أبي داود (٧/ ٤٩٦) وصححه الأرنؤوط

وعلى الدرب سار الصحب الكرام؛ فعن عنبسة [هو ابن عمار] قَالَ: "رَأَيْتُ ابْنَ عُمَرَ يُسَلِّمُ عَلَى الصِّبْيَانِ فِي الْكُتَّابِ"[1].

وعَنْ عُثْمَانَ بنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: "رَأَيْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، وَأَبَا أُسَيْدٍ، وَأَبَا قَتَادَةَ، وَابْنَ عُمَرَ، يَمُرُّوْنَ بِنَا، وَنَحْنُ فِي الكُتَّابِ، فَنَجِدُ مِنْهُم رِيْحَ العَبِيْرِ، وَهُوَ الخَلُوْقُ، يُصَفِّرُوْنَ بِهِ لِحَاهُمْ"[2].

(٩) يمسح خدودهم تبسطا معهم

قال جابر بن سمُرة رضي الله عنه: صلَّيتُ مع رسول الله (ﷺ) صلاة الأولى، ثُمَّ خرج إلى أهلِه وخرجتُ معه، فاستقبله ولدان فجَعَل يَمسح خدَّيْ أحدِهم، واحدًا واحدًا، قال: وأمَّا أنا، فمسح خدَّيَّ، فوجدتُ لِيده بردًا أو ريحًا، كأنَّما أخرجَها من جؤنة عطَّار[3].

(١٠) يدعو لهم، ويمسح على رؤوسهم ويعتني بهم

عن أنس رضي الله عنه أنَّه قال: "كان النَّبيُّ (ﷺ) يَزُورُ الْأَنْصَارَ، وَيُسَلِّمُ عَلَى صِبْيَانِهِمْ، وَيَمْسَحُ رُءُوسَهُمْ، ويدعو لهم"[4]

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) يُؤْتَى بِالصِّبْيَانِ، فَيَدْعُو لَهُمْ بِالْبَرَكَةِ وَيُحَنِّكُهُمْ"[5]

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: "وُلِدَ لِي غُلَامٌ ، فَأَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ (ﷺ) فَسَمَّاهُ إِبْرَاهِيمَ، وَحَنَّكَهُ بِتَمْرَةٍ، وَدَعَا لَهُ بِالْبَرَكَةِ، وَدَفَعَهُ إِلَيَّ"[6]

---

[1] صحيح الأدب المفرد (ص: ٣٩٨)

[2] سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٢/ ٥٣٩)، وصحح الأرنؤوط إسناده

[3] مسلم (٢٣٢٩).

[4] رواه ابن حبان (٤٥٩)، وانظر: الصحيحة (١٢٧٨).

[5] صحيح البخاري (٥٩٤٤)، وصحيح مسلم: ٢٧ - (٢١٤٧)، وسنن أبي داوود (٥١٠٦)

[6] متفق عليه: البخاري (٥١٥٠)، ومسلم: ٢٤ - (٢١٤٥)

عَنْ يُوسُفَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ ﷺ قَالَ: سَمَّانِي رَسُولُ اللهِ (ﷺ) يُوسُفَ، وَمَسَحَ عَلَى رَأْسِي، وَأَجْلَسَنِي فِي حَجْرِهِ[١].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هِشَامٍ ﷺ، وَكَانَ قَدْ أَدْرَكَ النَّبِيَّ (ﷺ) وَذَهَبَتْ بِهِ أُمُّهُ زَيْنَبُ بِنْتُ حُمَيْدٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَايِعْهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): «هُوَ صَغِيرٌ» فَمَسَحَ رَأْسَهُ، وَدَعَا لَهُ[٢].

وَعَنْ أَبِي إِيَاسٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ (ﷺ) فَدَعَا لَهُ، وَمَسَحَ رَأْسَهُ[٣].

(١١) يخالطهم ويتبسط معهم في الأكل والشرب والسفر وغيرها

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَرْجِسَ ﷺ، قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ (ﷺ) وَأَكَلْتُ مَعَهُ خُبْزًا وَلَحْمًا، أَوْ قَالَ ثَرِيدًا ... ثُمَّ دُرْتُ خَلْفَهُ فَنَظَرْتُ إِلَى خَاتَمِ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ[٤].

وفي مسند أحمد (٢٠٧٧٠): "كَلَّمْتُ نَبِيَّ اللَّهِ (ﷺ)، وَأَكَلْتُ مَعَهُ، وَرَأَيْتُ الْعَلَامَةَ الَّتِي بَيْنَ كَتِفَيْهِ"، وفي المسند أيضاً (٢٠٧٧٨، ٢٠٧٨٠): "أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) فَأَكَلْتُ مَعَهُ مِنْ طَعَامِهِ، وَشَرِبْتُ مِنْ شَرَابِهِ"

عَنْ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيّ (ﷺ) فِي سَفَرٍ، فَكُنْتُ عَلَى بَكْرٍ (أي: وَلَدُ النَّاقَةِ أَوَّلَ مَا يُرْكَبُ) صَعْبٍ (أي: نَفُور) لِعُمَرَ، فَكَانَ يَغْلِبُنِي، فَيَتَقَدَّمُ أَمَامَ النَّبِيّ (ﷺ) فَيَزْجُرُهُ عُمَرُ، وَيَرُدُّهُ، ثُمَّ يَتَقَدَّمُ، فَيَزْجُرُهُ عُمَرُ وَيَرُدُّهُ (وفي رواية: فَيَقُولُ أَبُوهُ: يَا عَبْدَ اللهِ، لَا يَتَقَدَّمُ النَّبِيَّ ﷺ أَحَدٌ)، فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) لِعُمَرَ: "بِعْنِيهِ"، قَالَ: هُوَ لَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: "بِعْنِيهِ"، فَبَاعَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): "هُوَ لَكَ يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ، تَصْنَعُ بِهِ مَا شِئْتَ"[٥]

---

[١] مسند أحمد (٢٣٨٨٧)، وصححه الأرنؤوط

[٢] صحيح البخاري (٩/ ٧٩)

[٣] مسند أحمد (١٥٦٢١)، وصححه الأرنؤوط

[٤] صحيح مسلم: ١١٢ - (٢٣٤٦)

[٥] صحيح البخاري (٢٠٠٩، ٢٤٦٨)، صحيح ابن حبان (٧٠٧٣)، ومسند الحميدي (٦٧٤)

عَنْ أَنَسٍ ﵁، دَخَلَ النَّبِيُّ (ﷺ)، عَلَى أُمِّ سُلَيْمٍ ﵂، فَأَتَتْهُ بِتَمْرٍ وَسَمْنٍ، قَالَ: «أَعِيدُوا سَمْنَكُمْ فِي سِقَائِهِ، وَتَمْرَكُمْ فِي وِعَائِهِ، فَإِنِّي صَائِمٌ».

ثُمَّ قَامَ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ البَيْتِ، [فَقَالَ: «قُومُوا فَلِأُصَلِّي لَكُمْ»]، [فَأَقَامَ أُمَّ حَرَامٍ، وَأُمَّ سُلَيْمٍ خَلْفَنَا، وَأَقَامَنِي عَنْ يَمِينِهِ]، فَصَلَّى غَيْرَ المَكْتُوبَةِ، [فَصَلَّيْنَا بِصَلَاتِهِ]، **فَدَعَا لِأُمِّ سُلَيْمٍ وَأَهْلِ بَيْتِهَا** [بِكُلِّ خَيْرٍ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ]، فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ ﵂: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي خُوَيْصَّةً، قَالَ: «مَا هِيَ؟»، قَالَتْ: خَادِمُكَ أَنَسٌ، فَمَا تَرَكَ خَيْرَ آخِرَةٍ وَلاَ دُنْيَا إِلَّا دَعَا لِي بِهِ، وَكَانَ فِي آخِرِ مَا دَعَا لِي بِهِ أَنْ قَالَ: «**اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ مَالًا وَوَلَدًا، وَبَارِكْ لَهُ فِيهِ** (وفي رواية: اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ، وَوَلَدَهُ، وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتَهُ)»، فَإِنِّي لَمِنْ أَكْثَرِ الأَنْصَارِ مَالًا، وَحَدَّثَتْنِي ابْنَتِي أُمَيْنَةُ: أَنَّهُ دُفِنَ لِصُلْبِي مَقْدَمَ حَجَّاجٍ البَصْرَةَ بِضْعٌ وَعِشْرُونَ وَمِائَةٌ[1].

عن أَبِي زَيْدٍ عَمْرُو بْن أَخْطَب الْأَنْصَارِيُّ ﵁، قَالَ: اسْتَسْقَى رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) مَاءً، فَأَتَيْتُهُ بِقَدَحٍ فِيهِ مَاءٌ، فَكَانَتْ فِيهِ شَعَرَةٌ فَرَفَعْتُهَا، ثُمَّ نَاوَلْتُهُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «ادْنُ مِنِّي»، قَالَ: فَمَسَحَ بِيَدِهِ عَلَى رَأْسِهِ، وَلِحْيَتِهِ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ جَمِّلْهُ، وَأَدِمْ جَمَالَهُ**»، فَلَقَدْ بَلَغَ بِضْعًا، وَمِائَةَ سَنَةٍ وَمَا فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ بَيَاضٌ، إِلَّا نَبْذٌ يَسِيرٌ، وَلَقَدْ كَانَ مُنْبَسِطَ الْوَجْهِ، وَلَمْ يَنْقَبِضْ وَجْهُهُ حَتَّى مَاتَ[2].

(١٢) يسأل عنهم ويتفقدهم ويدعو لهم.

عن أنس ﵁ أنَّه قال: "كان النَّبيُّ (ﷺ) **يزورُ الأنصار**، ويسلِّم على صبيانِهم، ويَمسح رؤوسهم، ويدعو لهم"[3]

[1] البخاري (١٩٨٢، ٦٣٣٤)، ومسلم: ١٤٢ – (٢٤٨١)، مسند أحمد (١٢٩٣٥، ١٣٠١٣، ١٣٥٩٤)

[2] مسند أحمد (٢٠٧٣٣، ٢٢٨٨١، ٢٢٨٨٣)، وصححه الألباني

[3] رواه ابن حبان (٤٥٩)، وانظر: الصحيحة (٣/ ٢٧٤).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: مَا رَأَيْتُ حَسَنًا قَطُّ إِلَّا فَاضَتْ عَيْنَايَ دُمُوعًا، وَذَلِكَ أَنِّي خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) فِي طَائِفَةٍ مِنَ النَّهَارِ، لَا يُكَلِّمُنِي وَلَا أُكَلِّمُهُ، حَتَّى جَاءَ سُوقَ بَنِي قَيْنُقَاعَ مُتَّكِئًا عَلَى يَدِي، فَطَافَ فِيهَا، ثُمَّ انْصَرَفَ حَتَّى أَتَى خِبَاءَ[1] فَاطِمَةَ، فَجَلَسَ بِفِنَاءِ بَيْتِهَا، فَاحْتَبَى.

فَقَالَ: **"أَيْنَ لُكَعٌ؟[2] ادْعُ لِي لُكَعًا** (وفي رواية: أَيْنَ لَكَاعٌ؟ ادْعُوا لِي لَكَاعًا)، **ادْعُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ"**، فَحَبَسَتْهُ أُمُّهُ شَيْئًا، فَظَنَنْتُ أَنَّهَا تَحْبِسُهُ لِأَنْ تُغَسِّلَهُ وَتُلْبِسَهُ سِخَابًا[3].

فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَ يَسْعَى وَفِي عُنُقِهِ السِّخَابُ (وفي رواية: فَقَامَ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يَمْشِي وَفِي عُنُقِهِ السِّخَابُ)، **فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) بِيَدِهِ هَكَذَا، فَقَالَ الْحَسَنُ بِيَدِهِ هَكَذَا، حَتَّى عَانَقَهُ، وَضَمَّهُ إِلَى صَدْرِهِ، وَقَبَّلَهُ، ثُمَّ جَعَلَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) يَفْتَحُ فَاهُ، فَيُدْخِلُ فَاهُ فِي فِيهِ.**

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): **"اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ، وَأَحْبِبْ مَنْ يُحِبُّهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ"**. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بَعْدَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) مَا قَالَ[4].

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) **أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا**، إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) **لَيُلَاطِفُنَا كَثِيرًا**، وَكَانَ **يَدْخُلُ عَلَيْنَا** (وفي رواية: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) **يُخَالِطُنَا**)، وَلِي أَخٌ صَغِيرٌ (فَطِيمًا)، يُكْنَى: أَبَا عُمَيْرٍ، فَكَانَ النَّبِيُّ (ﷺ)

---

[1] الخباء: الخيمة ، والمقصود هنا بيتها.

[2] لُكَعٌ: لفظ يُطْلق على الصغير، فإنْ أُطْلِق على الكبير، أُريد به الصَّغيرُ العِلْم والعَقْل. النهاية (٤/ ٥٤٦)

[3] السِّخَاب: خَيطٌ يُنْظم فيه خَرَز، ويلْبَسه الصِّبيان والجَوَاري، وقيل: هو قِلادَة تُتَّخذ من قَرَنفُل، ومَحْلب، وَسُكّ ونحوه، وليس فيها من اللُّؤْلؤ والجوهر شيءٌ. النهاية (٢/٨٨٤)

[4] صحيح البخاري (٢٠١٦، ٥٥٤٥، ٥٨٨٤)، وصحيح مسلم: ٥٧ - (٢٤٢١)، وسنن ابن ماجة (١٤٢)، ومسند أحمد (٨٣٦٢، ١٠٨٩١، ١٠٩٠٤)

يُضَاحِكُهُ (وفي رواية: يُمَازِحُهُ)، وَكَانَ لَهُ نُغَرٌ[1] يَلْعَبُ بِهِ، وَكَانَ (ﷺ) إِذَا جَاءَ قَالَ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟»، فَمَاتَ (أي: النُغر)، فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) ذَاتَ يَوْمٍ فَرَآهُ حَزِينًا، فَقَالَ: مَا شَأْنُهُ؟، قَالُوا: مَاتَ نُغَرُهُ، فَقَالَ: "يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟"، وَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَنَضَحْنَا بُسَاطًا لَنَا، فَصَلَّى عَلَيْهِ وَصَفَفْنَا خَلْفَهُ[2].

- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) أَمْهَلَ آلَ جَعْفَرٍ ثَلَاثًا أَنْ يَأْتِيَهُمْ، ثُمَّ أَتَاهُمْ، فَقَالَ: "لَا تَبْكُوا عَلَى أَخِي بَعْدَ الْيَوْمِ"، ثُمَّ قَالَ: "ادْعُوا لِي بَنِي أَخِي"، فَجِيءَ بِنَا كَأَنَّا أَفْرُخٌ، فَقَالَ: "ادْعُوا لِي الْحَلَّاقَ"، فَأَمَرَهُ فَحَلَقَ رُءُوسَنَا.
- ثُمَّ قَالَ: "أَمَّا مُحَمَّدٌ فَشَبِيهُ عَمِّنَا أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ فَشَبِيهُ خَلْقِي وَخُلُقِي" ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَأَشَالَهَا، فَقَالَ: "اللَّهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَرًا فِي أَهْلِهِ، وَبَارِكْ لِعَبْدِ اللَّهِ فِي صَفْقَةِ يَمِينِهِ"، قَالَهَا ثَلَاثَ مِرَارٍ.
- قَالَ: فَجَاءَتِ أُمُّنَا فَذَكَرَتْ لَهُ يُتْمَنَا، وَجَعَلَتْ تُفْرِحُ لَهُ، فَقَالَ: "الْعَيْلَةَ تَخَافِينَ عَلَيْهِمْ وَأَنَا وَلِيُّهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ"[3]
- وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي (ﷺ) قَالَ لأَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ (زوج جعفر بن أبي طالب) رضي الله عنهما: «مَا لِى أَرَى أَجْسَامَ بَنِى أَخِى ضَارِعَةً (أي: نحيفة)! تُصِيبُهُمُ الْحَاجَةُ؟» قَالَتْ: لاَ وَلَكِنِ الْعَيْنُ تُسْرِعُ إِلَيْهِمْ. قَالَ: «ارْقِيهِمْ». قَالَتْ فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: «ارْقِيهِمْ»[4].

---

[1] قال في عون المعبود (١١/٢): "طَائِر يُشْبِه الْعُصْفُور، أَحْمَر الْمِنْقَار ... أَهْل الْمَدِينَة يُسَمُّونَهُ الْبُلْبُل"
[2] البخاري (٥٨٥٠)، مسلم: ٣٠ - (٢١٥٠)، أبو داوود (٤٩٦٩)، الترمذي (٣٣٣)، أحمد (١٢١٣٧).
[3] سنن أبي داوود (٤١٩٢)، مسند أحمد (١٧٥٠، ١٧٥١)، وصححه شاكر والألباني
[4] صحيح مسلم: ٦٠ - (٢١٩٨)

(١٣) الإهداء ومراعاة حبهم للجمال والزينة

أَهْدَى النَّجَاشِيُّ إِلَى رَسُول اللهِ (ﷺ) حِلْيَةً فِيهَا خَاتَمُ مِنْ ذَهَبٍ، فِيهِ فَصٌّ حَبَشِيٌّ، قَالَتْ: فَأَخَذَهُ رَسُول اللهِ (ﷺ) بِعُودٍ، أَوْ بِبَعْضِ أَصَابِعِهِ، وَإِنَّهُ لَمُعْرِضٌ عَنْهُ، ثُمَّ دَعَا بِابْنَةِ ابْنَتِهِ زَيْنَبَ (أُمَامَةَ بِنْتِ أَبِي الْعَاصِ)، فَقَالَ: "تَحَلِّي بِهَذَا يَا بُنَيَّةُ"[١]

عَنْ أُمِّ خَالِدٍ، قالت: أُتِيَ النَّبِيُّ (ﷺ) بِثِيَابٍ فِيهَا خَمِيصَةٌ سَوْدَاءُ صَغِيرَةٌ، فَقَالَ: «مَنْ تَرَوْنَ أَنْ نَكْسُوَ هَذِهِ» فَسَكَتَ القَوْمُ، قَالَ: «ائْتُونِي بِأُمِّ خَالِدٍ» فَأُتِيَ بِهَا تُحْمَلُ، فَأَخَذَ الخَمِيصَةَ فَأَلْبَسَنِيهَا بِيَدِهِ، وَقَالَ: «أَبْلِي وَأَخْلِقِي» مرتين، وَكَانَ فِيهَا عَلَمٌ أَخْضَرُ أَوْ أَصْفَرُ، مَرَّتَيْنِ، فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى عَلَمِ الخَمِيصَةِ، وَيُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَيَّ، وَيَقُولُ: «يَا أُمَّ خَالِدٍ هَذَا سَنَا، وَيَا أُمَّ خَالِدٍ هَذَا سَنَا [أي: حسن]»[٢].

وعَنْ أُمِّ خَالِدٍ بِنْتِ خَالِدٍ، قَالَتْ: قَدِمْتُ مِنْ أَرْضِ الحَبَشَةِ، وَأَنَا جُوَيْرِيَةٌ، فَكَسَانِي رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) خَمِيصَةً لَهَا أَعْلاَمٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) يَمْسَحُ الأَعْلاَمَ بِيَدِهِ وَيَقُولُ: «سَنَاهْ سَنَاهْ» قَالَ الحُمَيْدِيُّ: «يَعْنِي حَسَنٌ، حَسَنٌ»[٣]

(١٤) الثناء عليهم بما يشغلهم ويسعدهم من المُباح

عَنْ أُمِّ خَالِدٍ بِنْتِ خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ، قَالَتْ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) مَعَ أَبِي وَعَلَيَّ قَمِيصٌ أَصْفَرُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «سَنَهْ سَنَهْ» - قَالَ عَبْدُ اللَّهِ (أحد الرواة): وَهِيَ بِالحَبَشِيَّةِ حَسَنَةٌ - قَالَتْ: فَذَهَبْتُ أَلْعَبُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ، فَزَبَرَنِي أَبِي، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «دَعْهَا»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «أَبْلِي وَأَخْلِفِي ثُمَّ، أَبْلِي وَأَخْلِفِي، ثُمَّ أَبْلِي وَأَخْلِفِي»، وفي رواية: «أَبْلِي وَأَخْلِقِي، ثُمَّ أَبْلِي وَأَخْلِقِي، ثُمَّ أَبْلِي وَأَخْلِقِي» قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَبَقِيَتْ حَتَّى ذَكَرَ، يَعْنِي مِنْ بَقَائِهَا[٤].

---

[١] أخرجه أبو داود (٤٢٣٥)، وابن ماجه (٣٦٤٤)، وأحمد (٢٤٣٥٩)، وحسنه الألباني والأرنؤوط.

[٢] صحيح البخاري (٥٨٢٣، ٥٨٤٥)، وفيه: "وَالسَّنَا بِلِسَانِ الحَبَشِيَّةِ الحَسَنُ"

[٣] صحيح البخاري (٣٨٧٤)

[٤] صحيح البخاري: (٣٠٧١، ٥٩٩٣)

(١٥) لا يخجل من إشاعة محبته لهم وإعلانها بين الناس

♥ ضَمَّ (ﷺ) إليه الحسن والحسين رضي الله عنهما، ثم قال: "اللهمَّ **إني أُحِبُّهما** فأَحِبَّهما"[١]

♥ وقال (ﷺ) عن فاطمة رضي الله عنها: "فاطِمَةُ **بَضْعَةٌ مِنّي،** فمَن أغْضَبَها أغْضَبَنِي (يُرِيبُنِي ما أرابَها، ويُؤْذِينِي ما آذاها)"[٢]، وفي السلسلة الصحيحة (١٩٩٥): "يقبِضُني ما يقبِضُها، **ويُبسطني ما يُبْسِطُها**"

♥ وقال (ﷺ) لَمَّا سُئِل عن **أحب الناس إليه:** "عائشة"[٣] رضي الله عنها.

♥ وقال (ﷺ) عن زيد بن حارثة رضي الله عنه: "إن كان **لَمِن أحبِّ الناس إليَّ**"[٤]

♥ وقال (ﷺ) عن ابنه أسامة رضي الله عنه: "وإن هذا **لمن أحبِّ الناس إليَّ بعده**"[٥].

♥ ورَأى النبيُّ (ﷺ) **صِبْيانًا** وَنساءً مُقْبِلِينَ مِن عُرْسٍ، **فَقامَ نَبِيُّ اللهِ (ﷺ) مُمْثِلًا،** فَقالَ: "اللَّهُمَّ **أَنْتُمْ مِن أَحَبِّ النّاسِ إلَيَّ،** اللَّهُمَّ أَنْتُمْ مِن أَحَبِّ النّاسِ إلَيَّ" يَعْنِي الأنْصارَ رضي الله عنهم (ثلاث مرار)[٦].

♥ وجاءَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الأنْصارِ إلى رَسولِ اللَّهِ (ﷺ) **ومعها صَبِيٌّ لَها،** فَكَلَّمَها رَسولُ اللَّهِ (ﷺ)، فَقالَ: "والذي نَفْسِي بيَدِهِ، **إنَّكُمْ أَحَبُّ النّاسِ إلَيَّ**" مَرَّتَيْنِ[٧].

---

[١] السلسلة الصحيحة (٦/٦٨٥)

[٢] صحيح البخاري (٣٧١٤، ٥٢٣٠)

[٣] صحيح البخاري (٣٦٦٢)

[٤] صحيح البخاري (٦٦٢٧) واللفظ له، وصحيح مسلم (٢٤٢٦)

[٥] صحيح البخاري (٦٦٢٧) واللفظ له، وصحيح مسلم (٢٤٢٦)

[٦] صحيح البخاري (٣٧٨٥)، صحيح مسلم (٢٥٠٨)

[٧] صحيح البخاري (٣٧٨٦)

الاستراحة الأولى: إشاعة الحب

لا تخجل من إعلان حبك (المشروع)

واعمل على إشاعة الحب ورأسك مرفوع

طالما تَجَنَّبْتَ المُحرَّم والممنوع

(١)

فلقد أثنى ربنا سبحانه على أولئك الذين يشيعون المحبة ولوازمها بينهم، فقال سبحانه وبحمده: {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر : ٩]

لم يثنِ الله عليهم فقط بما كان من الإيثار والحدب، بل أثنى عليهم أولاً بما كان من الوداد والحب.

لقد أعطانا ربنا وصفا دقيقا لذلك المجتمع من الناحية الوجدانية الودادية، التي تجلت فيها المحبة والألفة القلبية، والموالاة والإخوة الإيمانية، فقال: {هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ} [الأنفال : ٦٢-٦٣].

الألفة باختصار: نعمة من مولانا سبحانه وبحمده ومحض فضل وامتنان منه تعالى (إيجاداً وإعداداً وإمداداً).

وقال سبحانه: {وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا} [آل عمران : ١٠٣]. فهل ذكرتَ تلك النعمة قلبياً أو قولياً؟

إن المحبة والألفة فعلاً (رزق)، والرزقُ الذي يُبهج القلوب، أعظم من ذاك الذي يشحن الجيوب. وللأسف أننا لا ندرك قَدْر ذلك النعيم، إلا حين يُولي دفء (الألفة) وتستولي علينا الهموم والغموم.

(٢)

ولقد أوصانا حبيبنا (ﷺ) بذلك (قوليا):

♥ فقال (ﷺ): "إذا أحبَّ أحدُكُم صاحبَهُ **فَلْيَأْتِه في منزلِه، فَلْيُخْبِرْهُ** أَنَّهُ يحبُّهُ للهِ عزَّ وجل"[١]

♥ وقال (ﷺ): "إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فِي اللهِ، **فَلْيُعْلِمْهُ** (وفي رواية: فليبيّنْ له)، فَإِنَّهُ أَبْقَى (وفي رواية: خيرٌ) فِي الْأُلْفَةِ، وَأَثْبَتُ (وفي رواية: وأبقى) فِي الْمَوَدَّةِ"[٢].

♥ ومَرَّ رجُلٌ بالنَّبيِّ (ﷺ) وعِندَ النَّبيِّ (ﷺ) رجُلٌ جالِسٌ، فقال الرَّجُلُ: واللهِ يا رسولَ اللهِ، إنِّي لَأُحِبُّ هذا في اللهِ، فقال رسولُ اللهِ (ﷺ): **أخبَرْتَه بذلك؟** قال: لا، قال: **قُمْ فأخبِرْهُ؛ تَثْبُتِ المَودَّةُ بيْنكما.** فقام إليه فأخبَرَه، فقال: إنِّي أُحِبُّك في اللهِ، أو قال: أُحِبُّك للهِ، فقال الرَّجُلُ: أَحَبَّك الذي أحبَبْتَني فيه[٣].

♥ وأخبرنا (ﷺ) أنَّ رَجُلًا زارَ أخًا له في قَرْيَةٍ أُخْرى، فأرْصَدَ اللَّهُ له، على مَدْرَجَتِهِ، مَلَكًا فَلَمّا أتى عليه، قالَ: أيْنَ تُرِيدُ؟ قالَ: أُرِيدُ أخًا لي في هذِه القَرْيَةِ، قالَ: هلْ لكَ عليه مِن نِعْمَةٍ تَرُبُّها؟ قالَ: لا، **غيرَ أنِّي أحْبَبْتُهُ في اللهِ عزَّ وجلَّ**، قالَ: فإنِّي رَسولُ اللهِ إلَيْكَ، **بأنَّ اللَّهَ قدْ أحَبَّكَ كما أحْبَبْتَهُ فِيهِ**[٤].

♥ وأوصانا (ﷺ) بإفشاء السلام، **كوسيلة من وسائل إشاعة الحب والوئام**، فقال: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، **أَفَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**"[٥]. ولا يقتصر إفشاء السلام على الأقوال، وإنما **يتضمن أيضا الأعمال والأحوال.**

---

[١] السلسلة الصحيحة (٧٩٧)

[٢] ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان (ص: ١٢٠)، وانظر: صحيح الجامع (٢٨٠)، الصحيحة (١١٩٩)

[٣] مسند أحمد (١٣٥٣٥)، وصححه الألباني والأرنؤوط

[٤] صحيح مسلم (٢٥٦٧)

[٥] صحيح مسلم (٥٤)، سنن الترمذي (٢٦٨٨).

♥ وأخبرنا (ﷺ) أن الله أوجب على نفسه أن يحب أولئك الذين يشيعون من براهين المحبة ما يحب، فيقول: "قال اللهُ تباركَ وتعالى: وجَبَتْ مَحَبَّتِي للمُتَحابِّينَ فِيَّ، وللمتجالسين فِيَّ، وللمتزاورين فِيَّ، وللمتباذلين فِيَّ"[١]

وأوصانا (ﷺ) بذلك (عمليا بأفعاله وأحواله)، فقد كانت حياته (ﷺ) زاخرة بتصرفات ومواقف عملية يُشيع بها حبه (المشروع) لمن حوله من أهله وأصحابه، ويُعلنه على مرأى ومسمع من الجميع.

فبالإضافة لما سبق ذكره من إشاعته (ﷺ) لمحبته للأطفال وللمؤنسات الغاليات، قال (ﷺ) عن خديجة رضي الله عنها: "إنِّي قدْ رُزِقْتُ حُبَّها"[٢]

ولَمَّا سُئِل (ﷺ) عن أحب الرجال إليه، قال: "أبو بكر" رضي الله عنه، ولَمَّا سُئِل (ﷺ) عن أحب الرجال إليه بعد أبي بكر رضي الله عنه، قال: "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه[٣].

ولم يقتصر (ﷺ) على إعلان حبه للبشر، بل أعلن حبه للحجر، فقال (ﷺ): "هذا أُحُدٌ، جَبَلٌ يُحِبُّنا ونُحِبُّهُ"[٤]، وقالَ (ﷺ) لمكَّةَ: "ما أطيبَكِ من بلدٍ وأحبَّكِ إليَّ، ولولا أنَّ قومي أخرجوني منكِ ما سَكَنتُ غيرَكِ"[٥]

لقد كان (ﷺ) يظهر من رقة القلب، وإشاعة الوداد والحب، واستعمال الكلام الرائق العذب، ما يدهش اللب. ولم تكن تلك الرقة فقط لمن يستحقون شكرا وعرفانا، بل كان هناك حظ وافر منها لمن لم يلق منهم إحسانا.

---

[١] صحيح الترغيب (٣٠١٨)، وجاء في مسند أحمد أن معاذ بن جبل أخبر بهذا الحديث أبا إدريس الخولاني لما قال له أبو إدريس "واللهِ إنّي لأُحِبُّكَ لله".

[٢] صحيح مسلم (٢٤٣٥)

[٣] صحيح البخاري (٣٦٦٢)

[٤] صحيح البخاري (٤٤٢٢) واللفظ له، وصحيح مسلم (١٣٩٢)

[٥] صحيح سنن الترمذي (٣٩٢٦)

لقد وَصَلَنا من أخباره (ﷺ) القولية والعملية ما يفوح منه شذا طراز فريدٍ من رقة القلب، يشعل فتيل محبته (ﷺ) في قلوبنا ويذيبها شوقا إليه. فكيف كانت يا ترى مساحة محبة وشوق مَن رأى بعينيه وسمع بأذنيه شواهد رقة قلبه (ﷺ)؟

حُقَّ لهم أن يحبوه وأن يطيعوه، وأن يروا أن المدينة لما دخلها أضاء منها كل شيء، فلما مات **أظلم منها كل شيء**، كما قال أنس رضي الله عنه.

(٣)

ولم يكن الصحابة رضي الله عنهم يتحرجون من (إشاعة الحب)، والأمثلة من واقع الصحابة كثيرة، لكننا نختار منهم عمر رضي الله عنه؛ لأن أصحاب الغلظة (المُشَرعَنة) يزعمون أنهم يسلكون فجه، وينسجون على منواله.

دخل عمر رضي الله عنه على رسول الله (ﷺ) وأبي بكر رضي الله عنه فوجدهما يبكيان، فقال: "يا رَسولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي مِن أَيِّ شيءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ؟ فإنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ، وإنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا"[1]

ويروي عنه الحسن أنه كان يذكر الرجل من إخوانه، فيقول رضي الله عنه: "يا طولها من ليلة"، فإذا أصبح غدا عليه، فإذا رآه اعتنقه[2].

ورُوي أنه رضي الله عنه صلى بالناس الفجر، ثم التفت فقال : أين معاذ؟ فقال: ها أنذا يا أمير المؤمنين! قال: "لقد تذكرتك البارحة، فبقيت أتقلب على فراشي حباً وشوقاً إليك"، فتعانقا وتباكيا.

(٤)

لقد تجاوزت حالة (الجمود والغلظة) تعامل بعض الناس مع بعضهم البعض، وصبغت **أيضا تعاملهم مع الله**.

---

[1] صحيح مسلم (١٧٦٣)

[2] تاريخ بغداد (٨/١٦٢)

فالدخول على الله يكون: من بوابة الشوق والمحبة (التحبيب والتقريب)، وبوابة الرجاء والرغبة (الترغيب)، وبوابة الخشية والرهبة (الترهيب).

ورغم ذلك لا نكاد نراهم يستعملون البوابة الأولى (الشوق والمحبة) في الدخول على الله أو في **إدخال أحد على الله**، فلا يتحرك قلبه بأنسام حُبِّه، ولا تعمل كلمات المحبة عملها في قَلْبِه.

بل يعملون على **تصدير صورةٍ عن الله**، وكأنه سبحانه وبحمده أمثالهم، في محاولة منهم (**لشرعنة**) ما هم عليه من غلظةٍ وفظاظةٍ، **يحاولون تجميلها** بوصفها بأنها حزم أو جدية أو احتشام.

يصفون غلظتهم بأنها (صراحة)، رغم أنها في الحقيقة **فظاظة** (**ووقاحة**)، ويصفون شدتهم بأنها (قوة وحزم)، رغم أنها في الحقيقة (**ضعف وعجز**) عن مجاهدة النفس وحملها على الترفق والحلم.

لقد قال الله لنبينا (ﷺ): {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} [آل عمران : ١٥٩]، فلولا الرحمة من الله، لانفض من حول العبد كل من أحبه ووالاه.

ويؤكد ربنا سبحانه وبحمده أنه **لا يعيب المرء ما يصدر منه من الرقة واللين،** طالما استهدف بذلك المؤمنين والمقربين.

كما يؤكد ربنا سبحانه وبحمده أن **غياب تلك الرقة، وذلك اللين المزدان بالرحمة؛** قد يتسبب في انفضاض الناس من حولك ولو كانوا من أقرب المقربين، في **دعوة صريحة لضرورة ترقيق الطبع ومراعاة تلك السنة الإنسانية** من سنن الله في البشرية التي لا تتبدل ولا تتحول ولا تحابي أحدا، ولو كان أحب خلق الله إلى الله.

وليس المقصود فقط - والله أعلم - أنه (ﷺ) كان (رقيق القلب) في تعامله **مع الواحد ممن حوله** أو في استيعابه لأخطائهم. وإنما المقصود الإشارة إلى أن (رقة القلب) كانت **(حالة) وصفة ملازمة له** (ﷺ) في أقواله وأفعاله وأحواله **مع (الخلق) ومِن قَبْلهم (الخالق)** سبحانه وبحمده.

(٥)

☜ **نقطة اتزان:**

أؤكد أن **كلامي ليس لأولئك الذين ابتذلوا كلمة (الحب) ودنسوها** بإطلاقها على مشاعرهم الآثمة التي **يتجاوزون بها الحدود** التي حَدَّها مولانا سبحانه وبحمده.

بل كلامي **محاولة لاسترداد تلك الكلمة الرقراقة** التي تم السطو عليها واحتلالها، حتى أصبح أهل الطهر والعفاف والبراءة **يتحرجون من استعمالها**.

ويتوجه كلامي تحديدا لأولئك الذين **يتحرجون من إظهار أشواقهم وإعلان محبتهم (المشروعة)** لأزواجهم أو أمهاتهم أو أطفالهم أو إخوانهم، ويعتبرون ذلك لونا من (**الميوعة والتفسخ**) لا ينبغي أن يصدر أمام الناس.

وكأن الواحد منهم حين يعلن أنه يحب زوجته أو ابنته كأنه يتحدث عن عشيقته التي ربطته بها علاقة آثمة.

بل يصل الأمر إلى **التحرج من إشاعة محبته لزوجته أمام أولاده**، **ولا يدرك حاجة زوجته الوجدانية لذلك بل حاجة أولاده النفسية لرؤية ذلك** في المكان الذي يعيشون فيه.

وصدور تلك السلوكيات من أولئك الناس لا يكون دوما سببه (**العجز والقصور**)، بل كثيرا ما يكون السبب هو (**التكاسل والإهمال والتقصير**).

إنهم **لا يدركون أن الحاجات البشرية ليست منحصرة فقط في الحاجات المادية**، وأن **الحاجات الوجدانية والنفسية والعاطفية (في نطاقها المشروع) أهم للإنسان** من الحاجات المادية.

ومن الحاجات الوجدانية، حاجة الإنسان لأن يشعر بأنه **(محبوب)**، وبأنه **(مرغوب)**، وبأن هناك شخص ما **(يفتخر بمحبته)**، ولا يتحرج من **(إعلانها وإشاعتها)** بأقواله وأفعاله وأحواله.

لا تتخيلوا أن القضية هامشية أو ثانوية؛ لأن ما نراه اليوم من تجاوز للحدود الشرعية في مسألة (الحب والتعلق) ليؤكد أن **منع الإنسان حقه (المشروع) يجعله أكثر عرضة للوقوع في** (الممنوع)

أزواج وزوجات وأبناء وبنات، عزف للأسف بعض شياطين الإنس والجن على وتر **ما يعانونه في باب (المحبة) من الاحتياجات**، التي تسببت في إحداث فتورٍ كبير في العلاقات، فاستدرجوهم لمستنقعات المنكرات، وربما وصلوا بهم إلى قعر آبار الموبقات.

بل إن تلك المشكلة، **تسببت في تشويه صورة الدين**، وتنفير كثير من الناس منه، وتسببت في وضع حواجز بين كثير من الناس وبين التدين، بل وضعت حواجز بينهم وبين الله عزوجل، وبينهم وبين الرسول (ﷺ)؛ لتوهمهم أن تلك الغلظة والفظاظة والصلابة هي نتيجة حتمية للتدين.

لماذا أضحى التدين في واقع البعض قسيم الغلظة والقسوة؟!!

وباتت الرقة كأنها سُبَّة؟!!

أو كأنها تتنافى مع الحزم والحشمة؟!!!

إن الصورة المتزنة لما ينبغي أن يكون عليه المؤمن، تجعله يضع كل شيء في موضعه، فيضع الرقة واللطافة في موضعهما، ويضع الحزم والحشمة في موضعهما، فيكون حزمه بلا عنف، ويكون رفقه ولِينه بلا ضعف.

إن تلك الصورة المتزنة باختصار هي ما أخبر الله عزوجل عنه بقوله: {فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ} [المائدة : ٥٤]

- فاللهم إنا نسألك حبك، وحب من ينفعنا حبه عندك، اللهم ما رزقتنا مما نحب، فاجعله شغلا لنا فيما تحب، وما زويت عنا مما نحب، فاجعله فراغا لنا فيما تحب.
- نسألك يا مولانا حبك، وحب من يحبك، وحب كل عمل يقربنا إلى حبك.
- اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها، لا يصرف عنا سيئها إلا أنت.
- اللهم إنا نعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء.
- اللهم ألهمنا رشدنا، وأعذنا من شرور أنفسنا.



الاستراحة الثانية: بَثُّ الأشواق

لا تتحرج من بث الأشواق

ولا تخجل من أن تعلن أنك تَوَّاق

ولا تخش من أن تُظهِر أنه يَشقُّ عليك الفراق

وأن نفسك العطشى تهفو للارتواء من نهر التلاق

المهم ألا تتجاوز النطاق

وألا تنقض العهد والميثاق

يقول ربنا سبحانه وبحمده: {وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [المائدة : ٧]

(١)

- نبينا (ﷺ) لم يتحرج من إعلان **شوقه إلى الله**، فكان يدعو في دبر الصلاة، التي تُهيج أشواقه إلى مولاه: "وأسأُلكَ لذَّةَ النَّظرِ إلى وجْهكَ **والشَّوقَ إلى لقائِكَ** في غيرِ ضرّاءَ مضرَّةٍ ولاَ فتنةٍ مضلَّةٍ"[١]
- ولم يكن يستنكف (ﷺ) من أن **يباشر أعمال المشتاقين** أمام أعين الناظرين؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: أَصابَنا وَنَحْنُ مع رَسولِ اللهِ (ﷺ) مَطَرٌ، قالَ: فَحَسَرَ رَسولُ اللهِ (ﷺ) ثَوْبَهُ، حتّى أَصابَهُ مِنَ المَطَرِ، فَقُلْنا: يا رَسولَ اللهِ، لِمَ صَنَعْتَ هذا؟ قالَ: لأنَّهُ **حَديثُ عَهْدٍ برَبِّهِ تَعالى**[٢].
- ولما حضرته (ﷺ) الوفاة، **لم يستطع مكاتمة أشواقه أكثر من ذلك**، فسمعوه يسأل الله **"الرَّفِيقَ الْأَعْلَى"**، فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ)، إِذَا

[١] صحيح سنن النسائي (١٣٠٤)

[٢] صحيح مسلم (٨٩٨)

اشْتَكَى مِنَّا إِنْسَانٌ، مَسَحَهُ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ قَالَ: "أَذْهِبِ الْبَاسَ، رَبَّ النَّاسِ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا" فَلَمَّا مَرِضَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) وَثَقُلَ، أَخَذْتُ بِيَدِهِ لِأَصْنَعَ بِهِ نَحْوَ مَا كَانَ يَصْنَعُ، فَانْتَزَعَ يَدَهُ مِنْ يَدِي، ثُمَّ قَالَ: "اللهُمَّ اغْفِرْ لِي [وارحمني] وَاجْعَلْنِي **مَعَ الرَّفِيقِ الْأَعْلَى**" قَالَتْ: فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ، فَإِذَا هُوَ قَدْ قَضَى[1].

- وعن عائشة رضي الله عنها أيضاً قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ)، وَهُوَ صَحِيحٌ يَقُولُ: "إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ، ثُمَّ يُحَيَّا أَوْ يُخَيَّرَ"، فَلَمَّا اشْتَكَى وَحَضَرَهُ القَبْضُ وَرَأْسُهُ عَلَى فَخِذِ عَائِشَةَ غُشِيَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ شَخَصَ بَصَرُهُ نَحْوَ سَقْفِ البَيْتِ، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى**» فَقُلْتُ: إِذًا لاَ يُجَاوِرُنَا (وفي رواية: **إِذًا لاَ يَخْتَارُنَا**)، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ حَدِيثُهُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا وَهُوَ صَحِيحٌ. فَكَانَتْ آخِرَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا: «**اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الأَعْلَى**»[2].
- **ولقد أشار النبي (ﷺ) تلميحا لِما ذكره عند وفاته تصريحا**، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) جَلَسَ عَلَى المِنْبَرِ فَقَالَ: «إِنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، **فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ**» فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه وَقَالَ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، فَعَجِبْنَا لَهُ، وَقَالَ النَّاسُ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ، يُخْبِرُ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) عَنْ عَبْدٍ خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) هُوَ المُخَيَّرَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه هُوَ أَعْلَمَنَا بِهِ[3].

---

[1] صحيح مسلم: ٤٦ - (٢١٩١)

[2] صحيح البخاري (٤٤٣٧، ٤٤٦٣)، صحيح مسلم: ٨٧ - (٢٤٤٤)

[3] صحيح البخاري (٣٩٠٤)، صحيح مسلم: ٢ - (٢٣٨٢)

(٢)

ولم تكن أشواق نبينا (ﷺ) لربه عزوجل فقط، **بل كان لخلق الله - في الإطار الذي شرعه الله - نصيب منها.**

♥ فيُعلن (ﷺ) **أشواقه لأناس من أمته لم يأتوا من بعد،** فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) أَتَى الْمَقْبُرَةَ، فَقَالَ: "السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، **وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا**" قَالُوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: "أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ"[1]

♥ **ولم يعلن (ﷺ) أشواقه مرةً واحدة؛** فَفي مرةٍ قَالَ: "**وَدِدْتُ أَنِّي لَقِيتُ إِخْوَانِي**"، فَقَالَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ (ﷺ): أَوَلَيْسَ نَحْنُ إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ ، قَالَ: "أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَلَكِنْ إِخْوَانِي الَّذِينَ آمَنُوا بِي وَلَمْ يَرَوْنِي"[2]

وقد كان نبينا (ﷺ) - في ضوء ما أخبره به ربنا سبحانه وبحمده - يعلم حجم الأشواق التي تسكن قلوب أولئك الذين اشتاق لهم؛ فَقَالَ (ﷺ): "مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي، **يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ**"[3]

(٣)

ولقد كان (ﷺ) يراعي ذلك النوع من الأشواق المشروعة عند غيره.

فعَنْ مَالِكِ بْنِ الحُوَيْرِثِ رضي الله عنه، أَتَيْتُ النَّبِيَّ (ﷺ) فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِي، وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، وَكَانَ رَحِيمًا رَفِيقًا.

فَلَمَّا رَأَى شَوْقَنَا إِلَى أَهَالِينَا، (وفي رواية: فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّا قَدِ اشْتَهَيْنَا أَهْلَنَا أَوْ قَدِ اشْتَقْنَا) سَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا بَعْدَنَا، فَأَخْبَرْنَاهُ.

---

[1] صحيح مسلم: ٣٩ - (٢٤٩)

[2] مسند أحمد (١٢٦٠١)، وانظر: الصَّحِيحَة (٢٨٨٨)

[3] صحيح مسلم (٢٨٣٢)

قَالَ: «ارْجِعُوا فَكُونُوا فِيهِمْ، وَعَلِّمُوهُمْ، وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ»[1]

والصحابي يعلن أشواقه له فيقول: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ لأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، وَإِنَّكَ لأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِي، وَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ وَلَدِي، **وَإِنِّي لأَكُونُ فِي الْبَيْتِ فَأَذْكُرُكَ، فَمَا أَصْبِرُ حَتَّى آتِيكَ فَأَنْظُرُ إِلَيْكَ، وَإِذَا ذَكَرْتُ مَوْتِي وَموتَك،** عَرَفْتُ أَنَّكَ إِذَا دَخَلْتَ الْجَنَّةَ رُفِعْتَ مَعَ النَّبِيِّينَ، وَأَنِّي إِذَا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ خَشِيتُ أَنْ لَا أَرَاكَ.

فَلَمْ يَرُدَّ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) شَيْئًا، حَتَّى نَزَلَ جِبْرِيلُ عليه السلام بِهَذِهِ الْآيَة: {وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} [النساء: ٦٩][2].

وعن مسروق قال: قال أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) أو من شاء الله منهم: يا رسول الله، **ما ينبغي لنا أن نفارقك في الدنيا، فإنك لو مت رُفعت فوقنا فلم نرك،** فأنزل الله: {وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}[3].

وعن السدي، قال: قال ناس من الأنصار: يا رسول الله، إذا أدخلك الله الجنة فكنت في أعلاها، **ونحن نشتاق إليك، فكيف نصنع؟** فأنزل الله {ومن يطع الله والرسول ...}[4].

(٤)

وهاهُم الصحابة رضي الله عنهم ومَن تبعهم بإحسان يبوحون بأشواقهم أيضاً:

[1] صحيح البخاري (٦٢٨، ٦٣١)، صحيح مسلم: ٢٩٢ - (٦٧٤)

[2] المعجم الأوسط (٤٧٧)، وانظر: الصَّحِيحَة (٢٩٣٣).

[3] مصنف ابن أبي شيبة (١١٨٢٣) وقال الحميدان في تحقيق أسباب النزول (ص: ١٦٥): وهو مرسل صحيح الإسناد.

[4] تفسير الطبري (٨/ ٥٣٤)

يشتاق أبو بكر ﵁ وعمر ﵁ لرسول الله (ﷺ)، فيذهبا لأم أيمن ﵂ لعلهما يَشْتَّما عندها مِن عَبَق أنسام أخبار الحبيب (ﷺ) ما يُسَكِّن أشواقهما.

فعَنْ أَنَسٍ ﵁، قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﵁، بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) لِعُمَرَ ﵁: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ نَزُورُهَا، كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) يَزُورُهَا، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا بَكَتْ، فَقَالَا لَهَا: مَا يُبْكِيكِ؟ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ (ﷺ).

فَقَالَتْ: مَا أَبْكِي أَنْ لَا أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ (ﷺ)، وَلَكِنْ أَبْكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ، فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ. فَجَعَلَا يَبْكِيَانِ مَعَهَا[1].

وكانوا ينظرون إلى كثير من العبادات من زاوية (الشوق)، فها هو ذا عمر ﵁ تهفو نفسه لعقد مجلس تشويق؛ فيقول لأبي موسى ﵁: "شَوِّقنا إلى ربنا"، فقرأ. فقالوا: الصلاة. فقال عمر ﵁: "أولسنا في صلاة"[2]

وعمار ﵁ لا يستطيع كتمان نيران الشوق التي اضطرمت في قلبه فيقول وهو في لحظاته الأخيرة: "اليوم ألقى الأحبة محمداً وحزبه"[3]

ولم يكن عمار ﵁ وحده؛ فقد قَالَ بِلالٌ ﵁ أيضاً، حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ: "غَدًا نَلْقَى الأَحِبَّةَ، مُحَمَّدًا وَحِزْبَهُ"، تَقُولُ امْرَأَتُهُ: وَاوَيْلاهُ! وهو يَقُولُ: "وَافَرْحَاهُ!"[4].

ويُروى أن بلالاً ﵁ قد أَذَّنَ بعد وفاة رسول الله (ﷺ)، فضَجَّ الناس بالبكاء عند قوله "أشهد أن محمداً رسول الله"، شوقاً لرسول الله (ﷺ)[5].

وأبرحُ ما يكون الشوق يوماً   إذا دنت الخيام من الخيام

---

[1] صحيح مسلم: ١٠٣ - (٢٤٥٤)

[2] كنز العمال (٢/ ٢٨٥)

[3] مجمع الزوائد (١٥٦٢٥)

[4] المحتضرين لابن أبي الدنيا (٢٨٥)

[5] تاريخ دمشق (٧/ ١٣٧)، البداية والنهاية (٧/ ١٠٢)، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية (٥/ ٧١)

(٥)

وأنا إنما كتبتُ في هذا الموضوع؛ **إحياءً لهذه العبادة المهجورة**، التي أصبحت معالمها (السليمة) مطمورة.

فقد كان الحَسَنُ إذَا حَدَّثَ بحديث "حنين الجذع إلى رسول الله (ﷺ)"، يَبْكِي، ثُمَّ يقول: "يَا عِبَادَ اللهِ، الخَشَبَةُ تَحِنُّ إِلَى رَسُوْلِ اللهِ (ﷺ) شَوْقاً إِلَيْهِ، **فَأَنْتُم أَحَقُّ أَنْ تَشْتَاقُوا إِلَى لِقَائِهِ**"[1]

ونطمع في أن نكون ممن قال رسول الله (ﷺ) عنهم: "أَشَدُّ أَمَّتِي لِي حُبّاً قَوْمٌ يَكونونَ بَعْدِي **يَوَدُّ أحدُهُمْ أَنّهُ فَقَدَ أَهْلَهُ ومالَهُ وأَنّهُ رآني**"[2]

وكتبتُ في هذا الموضوع أيضاً؛ لأن بعض الفضلاء والفضليات **يتوهم أن بث أشواقه المشروعة يعتبر ضعفاً**، ولا يليق بالإنسان الجاد الحازم، فَحَرَّم ما أحله الله له ولغيره، وحَرَم نفسه ومَن حوله من تلك المشاعر التي جعلها الله سبباً في إسعاد القلوب وإدخال السرور على النفوس.

بل المشكلة الأكبر في رأيي أنه **ربما اضطر مَن حوله** - في لحظات ضعفهم - إلى تسول تلك المشاعر من غيره، ولربما كان ذلك (الغير) من أهل الشر، والبقية لا تخفى عليكم.

ومشكلةٌ أخرى لا تقل خطورةً عن سابقتها، ألا وهي تصدير صورةٍ خاطئة عن الدين والمتدينين، لا سيما لو كان ذلك الذي يظهر الجمود والصلابة ممن يتصدرون لأمرٍ من أمور الدين، **ويبلغ الأمر مداه في البشاعة** حين يحاول ذلك الجامد الصلب شرعنة ما هو عليه، وتبريره بالزعم أنه هو ما يدعو إليه الدين.

---

[1] سير أعلام النبلاء (٤/٥٧٠)

[2] صحيح الجامع (١٠٠٣)

مرحباً بذلك الجمود وتلك الصلابة في مواجهة المحرمات والمنكرات، وفي قطع دابر الفتن والشهوات.

لكن المشكلة أن البعض تجده مع أهله وأحبابه في المواطن المشروعة يكون جامداً صلباً، **ومع غيرهم في المواطن الممنوعة** يكون على العكس تماماً.

حتى إن مَن حوله مِن الأهل والأحباب، ليتمنون أن يناولوا ولو قسطاً مما يناله الأصحاب والأغراب.

أَحرامٌ على بلابله الدوح   حلالٌ للطير من كل جنس؟

ثالثاً: تقدير طفولتهم وحاجتهم للعب واللهو والممازحة

(السماح بالمُتاح من المُباح)

(١) يُقَدِّر حاجتهم للعب، ويسمح لهم، ولا يُكَدِّر عليهم سعادتهم

وَعَنْ شَدَّادِ بْنِ الْهَادِ ﷺ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ (ﷺ) فِي إِحْدَى صَلَاتَيْ الْعِشَاءِ، وَهُوَ حَامِلٌ حَسَنًا أَوْ حُسَيْنًا، فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) فَوَضَعَهُ، ثُمَّ كَبَّرَ لِلصَلَاةِ فَصَلَّى. فَسَجَدَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ صَلَاتِهِ سَجْدَةً أَطَالَهَا، فَرَفَعْتُ رَأسِي، وَإِذَا الصَّبِيُّ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) وَهُوَ سَاجِدٌ، فَرَجَعْتُ إِلَى سُجُودِي.

فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ (ﷺ) الصَّلَاةَ، قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ سَجَدْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ صَلَاتِكَ سَجْدَةً أَطَلْتَهَا، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ، أَوْ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْكَ. فَقَالَ (ﷺ): "كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ، وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي، فَكَرِهْتُ أَنْ أُعْجِلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ"[١]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) يُصَلِّي، فَإِذَا سَجَدَ وَثَبَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَى ظَهْرِهِ، فَإِذَا مَنَعُوهُمَا أَشَارَ إِلَيْهِمْ أَنْ دَعُوهُمَا، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ وَضَعَهُمَا فِي حِجْرِهِ، فَقَالَ: "مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيُحِبَّ هَذَيْنِ"[٢]

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَرْجِسَ ﷺ، قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ (ﷺ) وَأَكَلْتُ مَعَهُ خُبْزًا وَلَحْمًا، أَوْ قَالَ ثَرِيدًا ... ثُمَّ دُرْتُ خَلْفَهُ فَنَظَرْتُ إِلَى خَاتَمِ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ[٣].

عَنْ أُمِّ خَالِدٍ بِنْتِ خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ، قَالَتْ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) مَعَ أَبِي وَعَلَيَّ قَمِيصٌ أَصْفَرُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «سَنَهْ سَنَهْ» - قَالَ عَبْدُ اللَّهِ (أحد الرواة): وَهِيَ بِالحَبَشِيَّةِ حَسَنَةٌ - قَالَتْ: فَذَهَبْتُ أَلْعَبُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ، فَزَبَرَنِي أَبِي، قَالَ

---

[١] أحمد (١٦٠٧٦)، والحاكم (٤٧٧٥)، وصححه الألباني والأرنؤوط انظر: صفة الصلاة (ص ١٤٨)

[٢] صحيح ابن خزيمة (٨٨٧)، وحسنه الألباني

[٣] صحيح مسلم: ١١٢ - (٢٣٤٦)

رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «دَعْهَا»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «أَبْلِي وَأَخْلِفِي ثُمَّ، أَبْلِي وَأَخْلِفِي، ثُمَّ أَبْلِي وَأَخْلِفِي»، وفي رواية: «أَبْلِي وَأَخْلِقِي، ثُمَّ أَبْلِي وَأَخْلِقِي، ثُمَّ أَبْلِي وَأَخْلِقِي» قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَبَقِيَتْ حَتَّى ذَكَرَ، يَعْنِي مِنْ بَقَائِهَا[١].

وَعَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ ﵁، عَنْ أَنَسٍ ﵁ قَالَ: "أَتَى عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَسَلَّمَ عَلَيْنَا، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَأَرْسَلَنِي بِرِسَالَةٍ، وَقَعَدَ فِي ظِلِّ جِدَارٍ حَتَّى رَجَعْتُ إِلَيْهِ. فَبَلَّغْتُ الرِّسَالَةَ الَّتِي بَعَثَنِي فِيهَا، فَأَبْطَأْتُ عَلَى أُمِّي، فَلَمَّا جِئْتُ قَالَتْ: مَا حَبَسَكَ؟، قُلْتُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ (ﷺ) لِحَاجَةٍ، قَالَتْ: مَا حَاجَتُهُ؟، قُلْتُ: إِنَّهَا سِرٌّ، قَالَتْ: لَا تُحَدِّثَنَّ بِسِرِّ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) أَحَدًا[٢].

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: كَانَ الْحَبَشُ يَلْعَبُونَ بِالدَّرَقِ (أي: التُّرس إذا كانت من جلد ليس فيه خشب ولا عصب) وَالْحِرَابِ، يَوْمَ عِيدٍ، فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) وَأَنَا جَارِيَةٌ، فَزَجَرَهُمْ عُمَرُ، فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): «دَعْهُمْ أَمْنًا بَنِي أَرْفِدَةَ» يَعْنِي مِنَ الأَمْنِ.

فَدَعَانِي رَسُولُ اللهِ (ﷺ)، فَقَالَ: "يا حميراء! تَشْتَهِينَ تَنْظُرِينَ؟"، فَقُلْتُ: نَعَمْ.

فَجِئْتُ أَنْظُرُ، فَأَقَامَنِي وَرَاءَهُ عَلَى الْبَابِ، فَطَأْطَأَ لِي رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) مَنْكِبَيْهِ، خَدِّي عَلَى خَدِّهِ، ذَقْنِي عَلَى مَنْكِبَيْهِ، وَسَتَرَنِي بِرِدَائِهِ، يَقُومُ مِنْ أَجْلِي، حَتَّى أَكُونَ أَنَا الَّتِي أَنْصَرِفُ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى لَعِبِهِمْ.

فَمَا زِلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، حَتَّى إِذَا مَلِلْتُ قَالَ (ﷺ): "حَسْبُكِ؟"، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: "فَاذْهَبِي"، (وفي رواية: ولقد رأيته يرواح بين قدميه، فجعل يقول: "يا عائشة! ما شبعت؟" فأقول: لا، لأنظر منزلتي عنده، ما بي حب النظر إليهم ولكن أحببت أن يبلغ النساء مقامه لي ومكاني منه)

[١] صحيح البخاري: (٣٠٧١، ٥٩٩٣)

[٢] والحديث بمجموع رواياته في: البخاري (٥٩٣١)، مسلم: (٢٤٨٢)، وأحمد (١٢٠٧٩، ١٣٠٥٤، ١٣٤٠٤)، وعن أبي داوود (٤٩٦/٧): أتى رسولُ الله (ﷺ) على غلمانٍ يلعبُونَ، فسلَّم عليهم.

فَاقْدُرُوا قَدْرَ الْجَارِيَةِ الْعَرِبَةِ الْحَدِيثَةِ السِّنِّ، الْحَرِيصَةِ عَلَى اللَّهْوِ[1].

قَالَتْ عائشة ﵂: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) يَوْمَئِذٍ: "لِتَعْلَمَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى أَنَّ فِي دِينِنَا فُسْحَةً، إِنِّي أُرْسِلْتُ بِحَنِيفِيَّةٍ سَمْحَةٍ"[2]

وبَيْنَا الحَبَشَةُ يَلْعَبُونَ عِنْدَ النَّبِيِّ (ﷺ) بِحِرَابِهِمْ فِي المَسْجِدِ، دَخَلَ عُمَرُ ﵁ فَأَهْوَى إِلَى الحَصَى فَحَصَبَهُمْ بِهَا، فَقَالَ (ﷺ): «دَعْهُمْ يَا عُمَرُ»[3]

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ قَالَ: كَانَتْ الْحَبَشَةُ يَزْفِنُونَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) وَيَرْقُصُونَ، وَيَتَكَلَّمُونَ بِكَلَامٍ لَا يَفْهَمُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): "مَا يَقُولُونَ؟"، قَالُوا: يَقُولُونَ: مُحَمَّدٌ عَبْدٌ صَالِحٌ[4].

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ، - وَهُنَّ اللُّعَبُ - عِنْدَ النَّبِيِّ (ﷺ) وَكَانَتْ لِي صَوَاحِبُ يَلْعَبْنَ مَعِي، فَرُبَّمَا دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) وَعِنْدِي الْجَوَارِي، فَإِذَا رَأَيْنَ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) تَعَمَّقْنَ مِنْهُ (أي: اختفين حياءً وهيبة)، فَإِذَا دَخَلَ خَرَجْنَ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) يَأْخُذُهُنَّ فَيَرُدُّهُنَّ إِلَيَّ، فَيَلْعَبْنَ مَعِي[5].

(٢) يراعي حبهم للفرح والمرح

وَعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ﵄، عَنْ عَائِشَةَ ﵂ أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) قَالَ: "مَا فَعَلَتْ فُلَانَةُ؟"، لِيَتِيمَةٍ كَانَتْ عِنْدَهَا.

فَقُلْتُ: أَهْدَيْنَاهَا إِلَى زَوْجِهَا.

---

[1] صحيح البخاري: (٩٠٧، ٩٤٤، ٢٧٥٠، ٤٨٩٤)، صحيح مسلم: ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠ - (٨٩٢)، مسند أحمد (٢٤٨٥٤، ٢٤٨٥٥)، وانظر: آداب الزفاف للألباني (ص: ٢٧٤)

[2] مسند أحمد (٢٤٨٩٩، ٢٦٠٠٤)، وانظر: الصحيحة (١٨٢٩)

[3] متفق عليه: صحيح البخاري (٢٩٠١)، صحيح مسلم: ٢٢ - (٨٩٣)

[4] مسند أحمد (١٢٥٦٢)، وصحيح ابن حبان (٥٨٧٠)، وصححه الألباني والأرنؤوط

[5] رواه البخاري (٥٧٧٩)، ومسلم (٢٤٤٠)، وأبو داوود (٤٩٣١)، وأحمد (٢٥٣٧٣)

قَالَ: "**فَهَلْ بَعَثْتُمْ مَعهَا بِجَارِيَةٍ تَضْرِبُ بِالدُّفِّ وَتُغَنِّي؟**".

قُلْتُ: تَقُولُ مَاذَا؟

قَالَ: "تَقُولُ: أَتَيْنَاكُمْ أَتَيْنَاكُمْ ... فَحَيُّونَا نُحَيِّيكُمْ

وَلَوْلَا الذَّهَبُ الأَحْمَرُ ... مَا حَلَّتْ بِوَادِيكُمْ

وَلَوْلا الْحَبَّةُ السَّمْرَاءُ ... مَا سَمِنَتْ عَذَارِيكُمْ"[1]

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) فِي أَيَّامِ مِنًى - وَرَسُولُ اللهِ (ﷺ) يَوْمَئِذٍ بِالْمَدِينَةِ - وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ مِنْ جَوَارِي الْأَنْصَارِ - وَلَيْسَتَا بِمُغَنِّيَتَيْنِ - **تَضْرِبَانِ بِدُفَّيْنِ، وَتُغَنِّيَانِ بِمَا تَقَاوَلَتْ بِهِ الْأَنْصَارُ يَوْمَ بُعَاث**، يَوْمٌ قُتِلَ فِيهِ صَنَادِيدُ (أي: السادة والزعماء) الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ، فَاضْطَجَعَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) عَلَى الْفِرَاشِ، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ، وَتَسَجَّى (أي: غطَّى وجهه) بِثَوْبِهِ.

فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ ﵁ فَانْتَهَرَهُمَا، وَقَالَ: أَمَزَامِيرُ الشَّيْطَانِ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللهِ (ﷺ)؟ فَكَشَفَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) عَنْ وَجْهِهِ وَقَالَ: "**دَعْهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّهَا أَيَّامُ عِيدٍ، إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا ، وَهَذَا عِيدُنَا**"

قَالَتْ ﵂: فَلَمَّا غَفَلَ، غَمَزْتُهُمَا فَخَرَجَتَا[2].

وعن خَالِدِ بْن ذَكْوَانَ، عَنِ الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ ﵂، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ (ﷺ) غَدَاةَ بُنِيَ عَلَيَّ، فَجَلَسَ عَلَى فِرَاشِي كَمَجْلِسِكَ مِنِّي، **وَجُوَيْرِيَاتٌ يَضْرِبْنَ بِالدُّفِّ**، يَنْدُبْنَ مَنْ قُتِلَ مِنْ آبَائِهِنَّ يَوْمَ بَدْرٍ، حَتَّى قَالَتْ جَارِيَةٌ: وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): «لاَ تَقُولِي هَكَذَا، وَقُولِي مَا كُنْتِ تَقُولِينَ»[3]

---

[1] رواه أحمد (١٥٢٤٦)، وحسنه الألباني في الإرواء (١٩٩٥)، وآداب الزفاف (ص: ١٠٩)

[2] صحيح البخاري: (٩٠٧، ٩٠٩، ٩٤٤، ٩٨٨، ٢٧٥٠)، صحيح مسلم: ١٦، ١٧ - (٨٩٢)، سنن النسائي (١٥٩٧)، مسند أحمد (٢٥٠٧٢)

[3] صحيح البخاري (٥/ ٨٢)

عَنْ أَبِي الْحُسَيْنِ خالدٍ الْمَدَنِيِّ، قَالَ: كُنَّا بِالْمَدِينَةِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَالْجَوَارِي يَضْرِبْنَ بِالدُّفِّ، وَيَتَغَنَّيْنَ، فَدَخَلْنَا عَلَى الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ، فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهَا، فَقَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) صَبِيحَةَ عُرْسِي، وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ يَتَغَنَّيَانِ، وَتَنْدُبَانِ آبَائِي الَّذِينَ قُتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ، وَتَقُولَانِ، فِيمَا تَقُولَانِ: وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ، فَقَالَ: "أَمَّا هَذَا فَلَا تَقُولُوهُ، مَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللَّهُ"[1]

(٣) التغاضي عن الأخطاء التي كان سببها التعلق الشديد باللعب

وعَنْ ابْن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قال: مَرَّ بِي رَسُولُ اللهِ (ﷺ) وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَاخْتَبَأْتُ مِنْهُ خَلْفَ بَابٍ، فَدَعَانِي فَحَطَأَنِي حَطْأَةً، ثُمَّ بَعَثَ بِي إِلَى مُعَاوِيَةَ[2].

قال أنس رضي الله عنه: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا. أَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ ... فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ.

فَإِذَا رَسُولُ اللهِ (ﷺ) قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي. فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: "يَا أُنَيْسُ، أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟" فَقُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ يَا رَسُولَ اللهِ[3].

(٤) يلاعبهم ويمازحهم بنفسه

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) يُدْلِعُ لِسَانَهُ لِلْحُسَيْنِ، فَيَرَى الصَّبِيُّ حُمْرَةَ لِسَانِهِ، فَيَهَشُّ (أي: يفرح ويرتاح ويخف) إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ بَدْرٍ: أَلَا أَرَى تَصْنَعُ هَذَا بِهَذَا، وَاللَّهِ لَيَكُونُ لِيَ الِابْنُ قَدْ خَرَجَ وَجْهُهُ وَمَا قَبَّلْتُهُ قَطُّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): "مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ"[4]

---

[1] سنن ابن ماجة (١٨٩٧)، وصححه الألباني

[2] مسند أحمد (٢/ ٥٤٥)، وصححه شاكر، وحسنه الأرنؤوط، ومعنى (فَحَطَأَنِي حَطْأَةً)، أي: مازحني بضربة خفيفة في ظهري.

[3] نفس المراجع في الهامش السابق.

[4] رواه ابن حبان (٥٥٩٦، ٦٩٧٥)، وصححه الألباني، وحسنه الأرنؤوط، وانظر: الصحيحة (٧٠).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) **يُدْلِعُ لِسَانَهُ** (يخرجه حتى ترى حمرته) **لِلْحَسَنِ** بْنِ عَلِيٍّ، فَيَرَى الصَّبِيُّ حُمْرَةَ لِسَانِهِ، فَيَبْهَشُ (أي: يُسْرِعُ معجباً) إِلَيْهِ[1].

عَنْ يَعْلَى بْنِ مُرَّةَ ﷺ، أَنَّهُمْ خَرَجُوا مَعَ النَّبِيِّ (ﷺ) إِلَى طَعَامٍ دُعُوا لَهُ، فَإِذَا حُسَيْنٌ يَلْعَبُ فِي السِّكَّةِ، قَالَ: **فَتَقَدَّمَ النَّبِيُّ (ﷺ) أَمَامَ الْقَوْمِ، وَبَسَطَ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ الْغُلَامُ يَفِرُّ هَاهُنَا وَهَاهُنَا، وَيُضَاحِكُهُ النَّبِيُّ (ﷺ) حَتَّى أَخَذَهُ، فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ تَحْتَ ذَقْنِهِ، وَالْأُخْرَى فِي فَأْسِ رَأْسِهِ فَقَبَّلَهُ**، وَقَالَ: "حُسَيْنٌ مِنِّي، وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ، أَحَبَّ اللهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا، حُسَيْنٌ سِبْطٌ مِنَ الْأَسْبَاطِ"[2]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: مَا رَأَيْتُ حَسَنًا قَطُّ إِلَّا فَاضَتْ عَيْنَايَ دُمُوعًا، وَذَلِكَ أَنِّي خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) فِي طَائِفَةٍ مِنْ النَّهَارِ، لَا يُكَلِّمُنِي وَلَا أُكَلِّمُهُ، حَتَّى جَاءَ سُوقَ بَنِي قَيْنُقَاعَ مُتَّكِئًا عَلَى يَدِي، فَطَافَ فِيهَا، ثُمَّ انْصَرَفَ حَتَّى أَتَى خِبَاءَ[3] فَاطِمَةَ، فَجَلَسَ بِفِنَاءِ بَيْتِهَا، فَاحْتَبَى، فَقَالَ: **"أَيْنَ لُكَعٌ؟[4] ادْعُ لِي لُكَعًا** (وفي رواية: **أَيْنَ لَكَاعُ؟ ادْعُوا لِي لَكَاعًا**)، **ادْعُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ"**، فَحَبَسَتْهُ أُمُّهُ شَيْئًا، فَظَنَنْتُ أَنَّهَا تَحْبِسُهُ لِأَنْ تُغَسِّلَهُ وَتُلْبِسَهُ سِخَابًا[5]. فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَ يَسْعَى وَفِي عُنُقِهِ السِّخَابُ (وفي رواية: **فَقَامَ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يَمْشِي** وَفِي عُنُقِهِ السِّخَابُ)، **فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) بِيَدِهِ هَكَذَا، فَقَالَ الْحَسَنُ بِيَدِهِ هَكَذَا، حَتَّى عَانَقَهُ، وَضَمَّهُ إِلَى صَدْرِهِ، وَقَبَّلَهُ، ثُمَّ جَعَلَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) يَفْتَحُ فَاهُ، فَيُدْخِلُ فَاهُ فِي فِيهِ.**

---

[1] رواه أبو الشيخ في كتاب أخلاق النبي (ﷺ) وآدابه (ص: ٧٨)، وانظر: الصَّحِيحَة (٧٠)

[2] سنن ابن ماجة (١٤٤) وحسنه الألباني والأرنؤوط، وانظر: الصحيحة (١٢٢٧)، قوله: "فاس رأسه"، قال السندي: هو طرف مؤخَّرِه المنتشر على القفا. وقوله: "سِبط من الأسباط"، قيل: يُطلق السبط على القبيلة وهو المراد ها هنا، والمقصود الإخبار ببقائه وكثرة أولاده.

[3] الخباء: الخيمة ، والمقصود هنا بيتها.

[4] لُكَعٌ: لفظ يُطْلق على الصغير، فإنْ أُطْلِق على الكبير، أُرِيد به الصَّغيرُ العِلْم والعَقْل. النهاية (٤/ ٥٤٦)

[5] السِّخَاب: خَيطٌ يُنْظم فيه خَرَز، ويلْبَسه الصِّبيان والجَوَاري، وقيل: هو قِلادَة تُتَّخذ من قَرَنفُل، ومَحْلب، وَسُكّ ونحوه، وليس فيها من اللُّؤْلؤ والجوهر شيءٌ. النهاية (٢/٨٤٤)

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): "اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ، وَأَحْبِبْ مَنْ يُحِبُّهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ". قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بَعْدَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) مَا قَالَ[1].

- ويقول محمود بن الربيع رضي الله عنه: «عَقَلْتُ مِنَ النَّبِيِّ (ﷺ) مَجَّةً مَجَّهَا فِي وَجْهِي وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ مِنْ دَلْوٍ فِي دَارِنَا»[2].
- وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: رُبَّمَا قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ (ﷺ): "يَا ذَا الْأُذُنَيْنِ"، قَالَ أَبُو أُسَامَةَ (أحد الرواة): يَعْنِي: يُمَازِحُهُ[3].
- وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ (ﷺ) يُلاعِبُ زَيْنَبَ بِنْتَ أُمِّ سَلَمَةَ، وَهُوَ يَقُولُ: "يَا زُوَيْنِبُ، يَا زُوَيْنِبُ" مِرارًا[4].
- وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَتْ عِنْدَ أُمِّ سُلَيْمٍ رضي الله عنها يَتِيمَةٌ، فَرَأَى رَسُولُ اللهِ (ﷺ) الْيَتِيمَةَ ، فَقَالَ: "أَأَنْتِ هِيَهْ؟، لَقَدْ كَبِرْتِ لَا كَبِرَ سِنُّكِ".

فَرَجَعَتِ الْيَتِيمَةُ إِلَى أُمِّ سُلَيْمٍ تَبْكِي، فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: مَا لَكِ يَا بُنَيَّةُ؟ ، فَقَالَتِ الْجَارِيَةُ: دَعَا عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) أَنْ لَا يَكْبَرَ سِنِّي، فَالْآنَ لَا يَكْبُرُ سِنِّي أَبَدًا. فَخَرَجَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ مُسْتَعْجِلَةً تَلُوثُ خِمَارَهَا[5] حَتَّى لَقِيَتْ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ (ﷺ): "مَا لَكِ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ؟".

فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللهِ ، أَدَعَوْتَ عَلَى يَتِيمَتِي؟ قَالَ: "وَمَا ذَاكِ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ؟"، قَالَتْ: زَعَمَتْ أَنَّكَ دَعَوْتَ أَنْ لَا يَكْبَرَ سِنُّهَا.

---

[1] صحيح البخاري (٢٠١٦، ٥٥٤٥، ٥٨٨٤)، وصحيح مسلم: ٥٧ - (٢٤٢١)، وسنن ابن ماجة (١٤٢)، ومسند أحمد (٨٣٦٢، ١٠٨٩١، ١٠٩٠٤)

[2] متفق عليه: صحيح البخاري (٧٧، ٨٣٩، ٦٤٢٣)، صحيح مسلم: ٢٦٥ - (٣٣)

[3] الترمذي (٣٨٢٨)، وأبو داوود (٥٠٠٢)، وحسنه الألباني في مختصر الشمائل (٢٠٠).

[4] الضياء (١٧٣٣)، انظر: صَحِيح الْجَامِع (٥٠٢٥)، الصَّحِيحَة (٢١٤١)

[5] أَيْ: تُدِيرهُ عَلَى رَاسِهَا.

فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) ثُمَّ قَالَ: "يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، أَمَا تَعْلَمِينَ أَنِّي اشْتَرَطْتُ عَلَى رَبِّي فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَرْضَى كَمَا يَرْضَى الْبَشَرُ، وَأَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ، وَإِنِّي قَدْ اتَّخَذْتُ عِنْدَكَ عَهْدًا لَنْ تُخْلِفَنِيهِ، فَأَيُّمَا أَحَدٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ سَبَبْتُهُ، أَوْ شَتَمْتُهُ، أَوْ لَعَنْتُهُ، أَوْ آذَيْتُهُ، أَوْ جَلَدْتُهُ، أَوْ دَعَوْتُ عَلَيْهِ بِدَعْوَةٍ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ، أَنْ تَجْعَلَهَا لَهُ طَهُورًا، وَزَكَاةً، وَرَحْمَةً وَقُرْبَةً تُقَرِّبُهُ بِهَا مِنْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[1]

- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، **إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا (أي: تمازحنا)**، قَالَ: "إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا"[2]

- عَنْ أُمِّ خَالِدٍ بِنْتِ خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ، قَالَتْ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) مَعَ أَبِي وَعَلَيَّ قَمِيصٌ أَصْفَرُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «**سَنَهْ سَنَهْ**» - قَالَ عَبْدُ اللَّهِ (أحد الرواة): وَهِيَ بِالحَبَشِيَّةِ **حَسَنَةٌ** - قَالَتْ: فَذَهَبْتُ أَلْعَبُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ، فَزَبَرَنِي أَبِي، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «**دَعْهَا**»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «**أَبْلِي وَأَخْلِفِي ثُمَّ، أَبْلِي وَأَخْلِفِي، ثُمَّ أَبْلِي وَأَخْلِفِي**»، وفي رواية: «**أَبْلِي وَأَخْلِقِي، ثُمَّ أَبْلِي وَأَخْلِقِي، ثُمَّ أَبْلِي وَأَخْلِقِي**» قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَبَقِيَتْ حَتَّى ذَكَرَ، يَعْنِي مِنْ بَقَائِهَا[3].

- عَنْ أُمِّ خَالِدٍ بِنْتِ خَالِدٍ، قَالَتْ: قَدِمْتُ مِنْ أَرْضِ الحَبَشَةِ، وَأَنَا جُوَيْرِيَةٌ، فَكَسَانِي رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) خَمِيصَةً لَهَا أَعْلاَمٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) **يَمْسَحُ الأَعْلاَمَ بِيَدِهِ وَيَقُولُ:** «**سَنَاهْ سَنَاهْ**» قَالَ الحُمَيْدِيُّ: «يَعْنِي حَسَنٌ، حَسَنٌ»[4]

- عَنْ أُمِّ خَالِدٍ بِنْتِ خَالِدٍ: أُتِيَ النَّبِيُّ (ﷺ) بِثِيَابٍ فِيهَا خَمِيصَةٌ سَوْدَاءُ صَغِيرَةٌ، فَقَالَ: «مَنْ تَرَوْنَ أَنْ نَكْسُوَ هَذِهِ» فَسَكَتَ القَوْمُ، قَالَ: «**ائْتُونِي بِأُمِّ خَالِدٍ**» فَأُتِيَ

[1] صحيح البخاري (٦٠٠٠)، مسلم (٢٦٠١، ٢٦٠٣)
[2] الترمذي (١٩٩٠)، أحمد (٨٤٦٢)، صحيح الجامع (٢٥٠٩).
[3] صحيح البخاري: (٣٠٧١، ٥٩٩٣)
[4] صحيح البخاري (٣٨٧٤)

بِهَا تُحْمَلُ، فَأَخَذَ الخَمِيصَةَ فَأَلْبَسَنِيهَا بِيَدِهِ، وَقَالَ: «أَبْلِي وَأَخْلِقِي» مرتين، وَكَانَ فِيهَا عَلَمٌ أَخْضَرُ أَوْ أَصْفَرُ، مَرَّتَيْنِ، فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى عَلَمِ الخَمِيصَةِ، وَيُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَيَّ، وَيَقُولُ: «يَا أُمَّ خَالِدٍ هَذَا سَنَا، وَيَا أُمَّ خَالِدٍ هَذَا سَنَا» وَالسَّنَا بِلِسَانِ الحَبَشِيَّةِ الحَسَنُ[1].

- وعلى الدرب سار الصحابة ﷺ فعَنْ عُقْبَةَ بْنِ الحَارِثِ ﷺ، قَالَ: صَلَّى أَبُو بَكْرٍ ﷺ العَصْرَ، ثُمَّ خَرَجَ يَمْشِي، فَرَأَى الحَسَنَ ﷺ يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ، فَحَمَلَهُ عَلَى عَاتِقِهِ، وَقَالَ: بِأَبِي، شَبِيهٌ بِالنَّبِيِّ لاَ شَبِيهٌ بِعَلِيٍّ. وَعَلِيٌّ يَضْحَكُ[2]
- عَنِ الْحَسَنِ، أَنَّهُ دَخَلَ مَنْزِلَهُ وَصِبْيَانٌ يَلْعَبُونَ فَوْقَ الْبَيْتِ، وَمَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُهُ فَنَهَاهُمْ، فَقَالَ الْحَسَنُ: "دَعْهُمْ فَإِنَّ اللَّعِبَ رَبِيعُهُمْ"[3]
- وعَنْ زَيْدِ بْنِ السَّائِبِ، قَالَ: رَأَيْتُ الصِّبْيَانَ يَلْعَبُونَ بِالْجَوْزِ وَالْعَكَامَةِ وَخَارِجَةُ بْنُ زَيْدٍ يَنْظُرُ وَلَا يَنْهَاهُمْ[4].
- وعَنْ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: «كَانُوا يُرَخِّصُونَ لِلصِّبْيَانِ فِي اللَّعِبِ كُلِّهِ إِلَّا بِالْكِلَابِ»[5]

---

[1] صحيح البخاري (٥٨٢٣، ٥٨٤٥)
[2] صحيح البخاري (٣٥٤٢)
[3] النفقة على العيال لابن أبي الدنيا (٢/ ٧٩١)
[4] النفقة على العيال لابن أبي الدنيا (٢/ ٧٩٣)
[5] النفقة على العيال لابن أبي الدنيا (٢/ ٧٩٨)



الاستراحة الثالثة: الله محبة

(١)

تلك عبارة يصف بها النصارى الرب **عندهم**؛ أو بالتحديد يصفون بها "**عيسى الإله**، بأقانيمه الثلاثة" عند **الأرثوذكس** (نصارى الشرق)، أو "**الآلهة الثلاثة**: الآب والابن والروح القدس" عند **الكاثوليك** (نصارى الغرب).

ويزعمون انطلاقاً من تلك العبارة أنهم (أهل تسامح ومحبة) **رغم أن واقع معظمهم يحكي عكس ذلك**؛ وخصوصا في النظرة لغيرهم أو التعامل معهم.

لكنهم يحاولون إشاعة ذلك؛ **حتى في تنصير أطفال المسلمين**؛ فيخبرونهم أن (الله محبة) وأن (يسوع يحبهم ويجلب لهم الأشياء الجميلة).

في الوقت الذي نجد للأسف بعض المسلمين؛ لا يدخرون وسعاً في أن يزرعوا في وجدان أطفال المسلمين أن (**الله بينه وبينهم ثأر شخصي**)؛ حاشاه سبحانه وبحمده، وتعالى عن ذلك علوا كبيرا.

فلا يكاد الأطفال يعرفون عن الله، إلا أنه (**سيعذبهم وسيعاقبهم وسيأخذ منهم وسينتقم منهم**)، لا يكاد الواحد منهم يسمع اسم الله إلا مقرونا بالغضب والمعاقبة والتنكيل والانتقام.

فيرسمون للرب سبحانه صورة ذهنية فاسدة، **ويشوهون اعتقاد الأطفال في الله**، دون أن يشعروا، **توهماً منهم** أن الأوقع في نفوس الأطفال هو (الترهيب) وأن ذلك أدعى لأن يعظموا الله، ويحرصوا على رضاه.

رغم أن **المُحَرِّكات القلبية للأطفال**، يأتي (الخوف والرهبة) **في ذيل قائمتها**، بنسبة (٥%)، مقارنة (بالرجاء والرغبة) الذي يمثل (١٥%)، (والشوق والمحبة) الذي يمثل (٨٠%).

(٢)

وليتَ الأمر يقتصر على ذلك، بل يحاول بعض الآباء والأمهات، وبعض المعلمين والمعلمات يصوروا للأطفال تلميحاً وتصريحاً، وبلسان الحال والمقال، أن الله يحابيهم، وأنه سيثأر لهم من الطفل، إن خالف أمرهم؛ وكأن الله طوع أمرهم أو يسارع في هواهم. تعالى الله عما يقولون ويتصورون علوا كبيرا.

فيهدد الواحد منهم الطفل بأنه إن لم يطع أو يتابع الوالد أو الوالدة أو المعلم أو المعلمة في الشيء الفلاني، فإن الله سيعذبه، وسينتقم منه، ولربما كان الأمر المطلوب من الطفل ليس هو الأرضى لله أصلاً.

وكأنها صورة جديدة (للثيوقراطية) أو (سوء استخدام السلطة أو المكانة الشرعية) التي أعطاها الله للآباء والأمهات والمعلمين والمعلمات، كالزوج الذي يستخدم (القوامة) التي منحه الله إياها في ممارسة الاستبداد مع زوجته.

(٣)

وأسوأ من ذلك (**أن يتم استخدام الدين والعلاقة بالله مطية، لتحقيق المآرب الشخصية**)؛ فيكون لدى الأب أو الأم أو المعلم أو المعلمة حلمٌ ما، لم يتمكن من تحقيقه هو بنفسه؛ ليرفع به مكانته عند الناس.

فيتخذ الطفل قنطرة لتحقيق ذلك الحلم، فيكون انشغاله بإبراز تميزه (هو) من خلال نجاحه في تحقيق إنجازات علمية ما، متمثلة فيما وصل إليه طفله من تميز وتفوق، غير عابىء بما يتعرض له الطفل من ضغوط أو حرمان من حقوقه الطبيعية.

كمن كان يحلم بأن يكون ملاكماً مشهوراً، لكنه بدأ الملاكمة في سنٍ متأخرة، كان جسده فيها لا يتوافق مع متطلبات اللعبة، فتخلى عن حلمه مؤقتاً، في انتظار طفله القادم ليحقق من خلاله حلمه غير عابىء بالطفل.

ولعلك تقول: وما المشكلة في ذلك؟! ما المشكلة في أن نحرص على أن يكون أطفالنا أفضل منا، وأن يحققوا الأحلام التي تمنيناها ونراها مميزة لنا ولهم؟

أقول: المشكلة في أن البعض؛ ليتمكن من ترغيب ولده في تحقيق ذلك الحلم، يوهمه أنه يختار له الأحب إلى الله والأرضى له سبحانه، ويوهم ولده أنه يختار له تلك الأحلام لأجله (هو)، وأنه كأب أو كمُعَلِّم ليس له أي غرض من وراء ذلك الأمر، ويتوهم الوالد أو المعلم أن الطفل لا يفهم وقد صَدَّق ما سمعه.

لكن الطفل يكبر ويفهم، ويعلم أن ذلك لم يكن الأحب إلى الله، وإنما كان الأحب للوالد أو المعلم.

ويدرك أنه تم استعماله كقنطرة يحقق الوالد أو المعلم من خلاله أحلامهما دون اكتراث به، ويضيق بسلوك الذين استعملوا معلوماتهم عن الله مطية، لتحقيق مآربهم الشخصية.

(٤)

حين أستحضر تلك الصور، أقول: سبحان الملك! ما أعجب حالهم!

وكأنهم لم يقرأوا تحريم الله لذلك الأمر بقوله سبحانه: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [الأعراف: ٣٣]

وكأنهم لم يقرأوا إنكار الله على اليهود بقوله: {أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة: ٨٠]، وإنكاره عليهم بقوله: {أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ} [الأعراف: ١٦٩].

وكأنهم لم يطالعوا تحذيره سبحانه لأهل الكتاب بقوله: {يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ} [النساء: ١٧١].

وكأنهم لم يقرأوا إنكار الله على الذين قالوا (اتخذ الله ولدا)، بقوله: {إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [يونس: ٦٨]

وكأنهم لم يقرأوا إنكار الله على العصاة والمشركين بقوله: {قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [الأعراف: ٢٨]

وكأنهم لم ينتبهوا لتحذير الله لهم، حين قال: {وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة: ١٦٨، ١٦٩]

وكأنهم لم يتفكروا يوماً في عاقبة الذين يقولون على الله ما لا يعلمون، فقد قال سبحانه: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ} [الأنعام: ٩٣]

وكأنهم لم يطالعوا كلام موسى (ﷺ) لفرعون وقومه وهو يحدثهم عن الله، ولم يتأملوا في حرصه على ألا يقول على الله إلا الحق {وَقَالَ مُوسَى يَافِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٤) حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ} [الأعراف: ١٠٤، ١٠٥]

وكأني بك تقول: رويدك يا صاحبي! كيف تُسقط علي آيات نزلت في الكفار؟

فأقول: أنا أحدثك عن تلك الصفة السيئة التي أنكرها الله عليهم، وحذرنا منها، وأدعوك للتطهر من أي قدر من مشابهة غيرك في هذه الصفة المذمومة؛ وأريد أن أبرز لك أن المسألة ليست هينة، وإنما هي عند الله عظيمة.

وأدعوك لأن تنتبه جيداً وأنتَ تتحدث عن الله، وتستحضر أن الله يسمعك، وتحرص على أن يكون مصدرك في الحديث عن الله هو كلام الله، لا كلامك أنت.

الله سبحانه وبحمده يقول: {نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ} [الحجر: ٤٩، ٥٠]، والبعض يأبى إلا أن يُحدث الناس عن الله انطلاقاً من الآية الثانية، **ويترك الأولى كأن الله لم يتحدث بها.**

لقد وصف ربنا سبحانه كتابه بأنه (نذارة)؛ والنذارة (تخويف بعد إعلام) أو (إعلام بالمخوفات)، يهدف إلى اتقاء المخالفات، والارتقاء في معارج المكرمات.

ورغم ذلك نجد البعض:

- يستعمل آيات (الترهيب) في القرآن بطريقة تستجلب (**الترعيب**)، رغم أنها تهدف إلى (الإصلاح والتهذيب).
- ويستعمل آيات (التخويف) بطريقة تستجلب (**اليأس والإحباط**)، رغم أنها تهدف إلى بعث (النشاط).
- ويستعمل آيات (الإنذار) بطريقة تستجلب (**الترويع والتفزيع**)، رغم أنها تهدف إلى (التنبيه والتشجيع).

☜ **أيها السادة!!! أيتها السيدات!!!**

✍ طالعوا (القرآن)؛ لتعرفوا كيف يتحدث الله سبحانه عن نفسه؟ وكيف يريد لعباده أن يعرفوه؟

✍ طالعوا (السُّنَّة)؛ لتعرفوا كيف يتحدث رسولنا (ﷺ) عن ربنا؟ وكيف يعرفنا به؟

✍ تابعوا كلمة "الحب" و"المحبة" ومشتقاتهما في القرآن والسنة؛ لتعرفوا حجم عناية الوحي بهذه المسألة.

✍ تابعوا كلمات "الرحمة" و"البر" و"العطاء" و"الإحسان" و"الوداد"، وغيرها لتدركوا الأمر على حقيقته باتزان.

رابعاً: العدل ومنع الظلم

(١) بين الأبناء جميعاً.

عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﵁ قَالَ: سَأَلَتْ أُمِّي عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ ﵄ أَبِي بَعْضَ الْمَوْهِبَةِ لِي مِنْ مَالِهِ، فَالْتَوَى بِهَا سَنَةً (أَيْ: تَثَاقَلَ وَأَخَّرَ ذَلِكَ سَنَةً) ثُمَّ بَدَا لَهُ فَوَهَبَهَا لِي، فَقَالَتْ: لَا وَاللهِ، **لَا أَرْضَى، حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) عَلَى مَا وَهَبْتَ لِابْنِي.**

فَأَخَذَ أَبِي بِيَدِي، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ، فَأَتَى رَسُولَ اللهِ (ﷺ) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي نَحَلْتُ (النِّحْلَة: الْعَطِيَّة بِغَيْرِ عِوَض) ابْنِي هَذَا غُلَامًا، وَإِنَّ أُمَّ هَذَا بِنْتَ رَوَاحَةَ، أَعْجَبَهَا أَنْ أُشْهِدَكَ عَلَى الَّذِي وَهَبْتُ لِابْنِهَا.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): "يَا بَشِيرُ! أَلَكَ وَلَدٌ سِوَى هَذَا؟"، قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: "أَفَكُلَّهُمْ وَهَبْتَ لَهُمْ مِثْلَ الَّذِي وَهَبْتَ لِابْنِكَ هَذَا؟"، قَالَ: لَا.

قَالَ: "فَأَشْهِدْ عَلَى هَذَا غَيْرِي، فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ (وفي رواية: لَيْسَ يَصْلُحُ هَذَا، وَإِنِّي لَا أَشْهَدُ إِلَّا عَلَى حَقٍّ)، أَلَيْسَ تُرِيدُ مِنْهُمْ الْبِرَّ مِثْلَ مَا تُرِيدُ مِنْ هَذَا؟"، قَالَ: بَلَى.

قَالَ: **"فَاتَّقُوا اللهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ فِي النَّحْلِ كَمَا تُحِبُّونَ أَنْ يَعْدِلُوا بَيْنَكُمْ فِي الْبِرِّ وَاللُّطْفِ"،** قَالَ: فَرَجَعَ أَبِي فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ[1].

وضَمَّ عُمَرُ بْن عَبْدِ الْعَزِيزِ ابْنَاً لَهُ، وَكَانَ يُحِبُّهُ، فَقَالَ: «يَا فُلَانُ وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ **وَمَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُوثِرَكَ عَلَى أَخِيكَ بِلُقْمَةٍ**»، وكان يُسوي بين أولاده في **المبيت بجواره** أو عدمه، لئلا يكون جوراً[2].

---

[1] صحيح البخاري (٢٤٤٦، ٢٤٤٧، ٢٥٠٧)، ومسلم: ٩ - (١٦٢٣)، ١٢ - (١٦٢٣)، ١٤-(١٦٢٣)، ١٧ - (١٦٢٣)، ١٨ - (١٦٢٣)، ١٩ - (١٦٢٤)، وابن حبان (٥١٠٤).

[2] النفقة على العيال لابن أبي الدنيا (١/ ١٧٧، ١٧٨)

(٢) بين الأولاد والبنات.

- فقد كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) رَجُلٌ، فَجَاءَ ابْنٌ لَهُ، فَقَبَّلَهُ وَأَجْلَسَهُ عَلَى فَخِذِهِ، ثُمَّ جَاءَتْ بِنْتٌ لَهُ، فَأَجْلَسَهَا إِلَى جَنْبِهِ، قَالَ: "فَهَلَّا عَدَلْتَ بَيْنَهُمَا؟"[١]
- وقَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): "لَا تَكْرَهُوا الْبَنَاتِ، فَإِنَّهُنَّ الْمُؤْنِسَاتُ الْغَالِيَاتُ"[٢]
- عَنْ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: «كَانُوا يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يُسَوُّوا بَيْنَ أَوْلَادِهِمْ حَتَّى فِي الْقُبَلِ»[٣]

(٣) بين اليتامى وغيرهم.

- وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: تُوُفِّيَ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ رضي الله عنه وَتَرَكَ ابْنَةً لَهُ مِنْ خُوَيْلَةَ بِنْتِ حَكِيمِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ الْأَوْقَصِ، قَالَ: وَأَوْصَى إِلَى أَخِيهِ قُدَامَةَ بْنِ مَظْعُونٍ رضي الله عنه قَالَ عَبْدُ اللهِ: وَهُمَا خَالَايَ. قَالَ: فَخَطَبْتُ إِلَى قُدَامَةَ بْنِ مَظْعُونٍ ابْنَةَ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ، فَزَوَّجَنِيهَا [وَلَمْ يُشَاوِرْهَا].

وَدَخَلَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ رضي الله عنه ... إِلَى أُمِّهَا، فَأَرْغَبَهَا فِي الْمَالِ، فَحَطَّتْ إِلَيْهِ، وَحَطَّتْ الْجَارِيَةُ إِلَى هَوَى أُمِّهَا، فَأَبَيَا، حَتَّى ارْتَفَعَ أَمْرُهُمَا إِلَى رَسُولِ اللهِ (ﷺ).

فَقَالَ قُدَامَةُ بْنُ مَظْعُونٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، ابْنَةُ أَخِي، أَوْصَى بِهَا إِلَيَّ، فَزَوَّجْتُهَا ابْنَ عَمَّتِهَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ، فَلَمْ أُقَصِّرْ بِهَا فِي الصَّلَاحِ وَلَا فِي الْكَفَاءَةِ، وَلَكِنَّهَا امْرَأَةٌ، وَإِنَّمَا حَطَّتْ إِلَى هَوَى أُمِّهَا.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): "هِيَ يَتِيمَةٌ، وَلَا تُنْكَحُ إِلَّا بِإِذْنِهَا"، قَالَ: فَانْتُزِعَتْ وَاللهِ مِنِّي بَعْدَ أَنْ مَلَكْتُهَا، فَزَوَّجُوهَا الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ[٤].

---

[١] رواه الطحاوي (٥٨٤٧)، والبيهقي (١١٠٢٢)، وانظر: الصَّحِيحَة (٢٨٨٣، ٢٩٩٤)

[٢] مسند أحمد (١٧٤١١)، وانظر: الصَّحِيحَة (٣٢٠٦)

[٣] النفقة على العيال لابن أبي الدنيا (١/ ١٧٤)

[٤] سنن ابن ماجة (١٨٧٨)، ومسند أحمد (٦١٣٦)، وحسنه الألباني في الإرواء (١٨٣٥)

عَنْ ضُبَاعَةَ بِنْتِ الزُّبَيْرِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنها قَالَتْ: أَصَابَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) سَبْيًا، فَذَهَبْتُ أَنَا وَأُخْتِي وَفَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) فَشَكَوْنَا إِلَيْهِ مَا نَحْنُ فِيهِ، وَسَأَلْنَاهُ أَنْ يَأْمُرَ لَنَا بِشَيْءٍ مِنْ السَّبْيِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): "**سَبَقَكُنَّ يَتَامَى بَدْرٍ**، لَكِنْ سَأَدُلُّكُنَّ عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَكُنَّ مِنْ ذَلِكَ، تُكَبِّرْنَ اللهَ عَلَى إِثْرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ تَكْبِيرَةً، وَثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ تَسْبِيحَةً، وَثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ تَحْمِيدَةً، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"[1]

وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، مِمَّا أَضْرِبُ مِنْهُ يَتِيمِي؟ قَالَ: "**مِمَّا كُنْتَ ضَارِبًا مِنْهُ وَلَدَكَ**، غَيْرَ وَاقٍ مَالَكَ بِمَالِهِ، وَلَا مُتَأَثِّلٍ (أي: جامع) مِنْ مَالِهِ مَالًا"[2]

وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما، قال: لَوْ رَأَيْتَنِي وَقُثَمَ وَعُبَيْدَ اللَّهِ ابْنَيْ عَبَّاسٍ، وَنَحْنُ صِبْيَانٌ نَلْعَبُ، إِذْ مَرَّ النَّبِيُّ (ﷺ) عَلَى دَابَّةٍ، فَقَالَ: "**ارْفَعُوا هَذَا إِلَيَّ**" قَالَ: **فَحَمَلَنِي أَمَامَهُ**، وَقَالَ لِقُثَمَ: "**ارْفَعُوا هَذَا إِلَيَّ" فَجَعَلَهُ وَرَاءَهُ**، وَكَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ أَحَبَّ إِلَى عَبَّاسٍ مِنْ قُثَمَ، فَمَا اسْتَحَى مِنْ عَمِّهِ أَنْ حَمَلَ قُثَمًا وَتَرَكَهُ، قَالَ: **ثُمَّ مَسَحَ عَلَى رَأْسِي ثَلَاثًا**، وَقَالَ كُلَّمَا مَسَحَ: "**اللَّهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَرًا فِي وَلَدِهِ**"[3].

ويقول عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، **تُلُقِّيَ بِصِبْيَانِ أَهْلِ بَيْتِهِ** ... وَإِنَّهُ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، فَسُبِقَ بِي إِلَيْهِ، **فَحَمَلَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ**، ثُمَّ جِيءَ بِأَحَدِ ابْنَيْ فَاطِمَةَ، **فَأَرْدَفَهُ خَلْفَهُ** ... فَأُدْخِلْنَا الْمَدِينَةَ ثَلَاثَةً عَلَى دَابَّةٍ[4].

(٤) بين الخادم وغيره (انظر: مبحث "التعامل مع الطفل العامل").

---

[1] سنن أبي داوود (٢٩٨٧)، وانظر: الصَّحِيحَة (١٨٨٢)

[2] صحيح ابن حبان (٤٢٤٤)، وانظر: صحيح موارد الظمآن (١٧٢٠)

[3] مسند أحمد (١٧٦٠)، وانظر: صحيح الأدب المفرد (ص: ٧٥)

٤ مسلم (٢٤٢٨)، والنسائي في سننه الكبرى (٤٢٤٦).

خامساً: التشجيع وصناعة الطموح

(١) مع عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ[١]: ضَمَّنِي رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) وَقَالَ: «اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الكِتَابَ (وفي رواية: الحِكْمَةَ)» ، وفي رواية: «اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْحِكْمَةَ، وَتَأْوِيلَ الْكِتَابِ»، وفي رواية: «اللَّهُمَّ أَعْطِ ابْنَ عَبَّاسٍ الْحِكْمَةَ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ»، وفي رواية: "مَسَحَ النَّبِيُّ (ﷺ)، رَأْسِي وَدَعَا لِي بِالْحِكْمَةِ"

ومما يؤكد أنها كانت مرات متعددة أن ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: دَعَا لِي رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) أَنْ يُؤْتِيَنِي اللَّهُ الحِكْمَةَ مَرَّتَيْنِ[٢].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) دَخَلَ الخَلاَءَ، فَوَضَعْتُ لَهُ وَضُوءًا، قَالَ: "مَنْ وَضَعَ هَذَا؟"، فَأُخْبِرَ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»[٣]

وفي رواية: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ)، وَضَعَ يَدَهُ عَلَى كَتِفِي - أَوْ عَلَى مَنْكِبِي، شَكَّ سَعِيدٌ - ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ»[٤]

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) كَانَ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ، فَوَضَعْتُ لَهُ وَضُوءًا مِنَ اللَّيْلِ، قَالَ: فَقَالَتْ مَيْمُونَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَضَعَ لَكَ هَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ. فَقَالَ: «اللَّهُمَّ فَقِّهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ»[٥]

وتلك الروايات تشهد بتكرار وتنوع ذلك اللون من التشجيع وصناعة الطموح.

---

[١] انظر بالترتيب: صحيح البخاري (٧٥، ٣٧٥٦)، سنن ابن ماجة (١٦٦)، وصححه الألباني، مسند أحمد (٢٤٢٢)، وحسنه الأرنؤوط، مسند أحمد (١٨٤٠)، وصححه الأرنؤوط

[٢] سنن الترمذي (٣٨٢٣)، وصححه الألباني

[٣] متفق عليه: صحيح البخاري: ١٤٣، صحيح مسلم: ١٣٨ - (٢٤٧٧)

[٤] مسند أحمد (٢٣٩٧)، وقوَّى الأرنؤوط إسناده، وصححه الألباني

[٥] مسند أحمد (٣٠٣٢)، وصححه الألباني

✍ كان التشجيع هنا والثناء، في صورة الاتحاف بطيب الكلام والدعاء، ولقد اشتمل الدعاء على صناعة ضمنية لما ينبغي أن يكون عليه طموح الطفل فيما يتعلق بمهمته في الحياة، والذي يمكن تلخيصه في أن يكون أحسن الناس تفقها وتعاملاً مع كتاب الله.

✍ وإني لألمح في ذلك النوع من الدعاء، لوناً من التقدير والتشجيع والثناء، فلم تكن دعواته (ﷺ) لعبد الله رضي الله عنهما من ذلك النوع الذي يَنُمّ عن نظرة انتقاص، نحو "هداك الله" أو "أصلح الله حالك"، وإنما كان يحمل في طياته تقديراً واحتراماً.

✍ وكأن الرسالة وصلت لعبد الله رضي الله عنهما، فقد أبلى بلاءً حسناً في أن يحقق الطموح الذي صنعه له رسول الله (ﷺ).

(٢) عبد اللّه بن جعفر رضي الله عنهما

فقد قَالَ رسول الله (ﷺ) عنه أمام أمه وإخوته لما زارهم في بيتهم: "أَمَّا مُحَمَّدٌ فَشَبِيهُ عَمِّنَا أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ فَشَبِيهُ خَلْقِي وَخُلُقِي" ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ فَأَشَالَهَا، فَقَالَ: "اللَّهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَرًا فِي أَهْلِهِ، وَبَارِكْ لِعَبْدِ اللَّهِ فِي صَفْقَةِ يَمِينِهِ"، قَالَهَا ثَلَاثَ مِرَارٍ"[١]

فقد تضمنت تلك الدعوات والكلمات ثناءً ضمنياً عليه، وتشجيعاً له، وتأكيداً على ما ينبغي أن يحرص عليه من التميز ومن أن يكون خير خَلَفٍ لوالده.

وعلى الدرب سار الصحابة رضي الله عنهم فعَنِ الشَّعْبِيّ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما، كَانَ إِذَا سَلَّمَ عَلَى ابْنِ جَعْفَرٍ رضي الله عنهما، قَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ ذِي الجَنَاحَيْنِ»[٢]

[١] سنن أبي داوود (٤١٩٢)، مسند أحمد (١٧٥٠، ١٧٥١)، وصححه شاكر والألباني

[٢] صحيح البخاري: (٣٧٠٩)

(٣) عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

عَنْ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: "كُنْتُ غُلاَمًا شَابًّا (وفي رواية: حَدِيثُ السِّنِّ)، وَكُنْتُ أَنَامُ فِي المَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي، فَذَهَبَا بِي إِلَى النَّارِ، فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ البِئْرِ، وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ، وَإِذَا فِيهَا أُنَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَلَقِيَنَا مَلَكٌ آخَرُ، فَقَالَ لِي: لَمْ تُرَعْ، نِعْمَ الرَّجُلُ أَنْتَ، إِنَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ، لَوْ كُنْتَ تُكْثِرُ الصَّلاَةَ.

فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، فَقَالَ: «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ»، وفي رواية: «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا» فَكَانَ بَعْدُ لاَ يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا. وفي رواية: وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بَعْدَ ذَلِكَ يُكْثِرُ الصَّلاَةَ مِنَ اللَّيْلِ[١].

✍ **فتأمل كيف استثمر رسول الله** (ﷺ) هذا الموقف في **تحسين وتوسيع** نطاق علاقة عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بالصلاة!

✍ **وانظر إلى طريقته التحفيزية الرائعة** التي استعمل فيها **الثناء على الموجود** والبناء عليه "**نِعْمَ الرجل**" في الحَضِّ على تحقيق المنشود، وتحصيل المفقود.

✍ هذا يشعر المنصوح **بتقديرك له، وإدراكك لمميزاته وإنجازاته**، فيكون أكثر رغبةً في ألا يُخَيِّب ظنك الحَسَن فيه. ففي رواية في صحيح البخاري (٣٧٤٠) أن الرسول (ﷺ) قال: «**إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ رَجُلٌ صَالِحٌ**»

✍ **وتأمل كيف أفلحت طريقته** (ﷺ)، ففي بعض الروايات: "وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بَعْدَ ذَلِكَ **يُكْثِرُ الصَّلاَةَ مِنَ اللَّيْلِ**"، وفي بعضها: "فَكَانَ بَعْدُ **لاَ يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا**"

---

[١] صحيح البخاري (١١٢١ ، ١١٢٢، ٧٠٢٨ ، ٧٠٢٩، ٧٠٣١)، صحيح مسلم: ١٤٠ - (٢٤٧٩)، صحيح ابن حبان (٧٠٧٠)

وعلى الدرب سار الصحب الكرام؛ فعَنْ غُضَيْفِ بْنِ الْحَارِثِ ﵁، قَالَ: مَرَرْتُ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﵁، فَقَالَ: نِعْمَ الْغُلَامُ. فَاتَّبَعَنِي رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ عِنْدَهُ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، ادْعُ اللَّهَ لِي بِخَيْرٍ.

قَالَ: قُلْتُ: وَمَنْ أَنْتَ رَحِمَكَ اللَّهُ؟ قَالَ: أَنَا أَبُو ذَرٍّ، صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ). فَقُلْتُ: غَفَرَ اللَّهُ لَكَ، أَنْتَ أَحَقُّ أَنْ تَدْعُوَ لِي مِنِّي لَكَ. قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، إِنِّي سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﵁ حِينَ مَرَرْتُ بِهِ آنِفًا يَقُولُ: نِعْمَ الْغُلَامُ، وَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ يَقُولُ بِهِ»[1]

☒ **ونحن اليوم للأسف ننصح أبناءنا بطريقة لا تخلو من انتقاص لهم، وتذكير بتقصيرهم، وإطلاق أحكام عامة عليهم،** تجعلهم يشعرون أن صورتهم لدينا أسوأ ما يكون، فيداخلهم من **الإحباط** ما يحملهم على الاستمرار في التقصير، وربما استمرأوه، وتبجحوا به؛ لأننا **أخرجنا أسوأ ما فيهم** رغم أنه كان ينبغي أن يكون الأمر على العكس من ذلك.

[1] مسند أحمد (٢١٤٥٧)، وحسنه الأرنؤوط، وانظر: صحيح الجامع (١٨٣٤)

سادساً: الاحترام والتقدير

(١) يستأذنهم احتراماً للأدوار، ويعاملهم كالكبار، ويعطيهم حق الاختيار

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ، قَالَ: أُتِيَ النَّبِيُّ (ﷺ) بِقَدَحٍ، فَشَرِبَ مِنْهُ، وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ أَصْغَرُ الْقَوْمِ، وَالأَشْيَاخُ عَنْ يَسَارِهِ، فَقَالَ: «يَا غُلاَمُ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ الأَشْيَاخَ؟» (وفي رواية: إِنْ أَذِنْتَ لِي أَعْطَيْتُ هَؤُلاَءِ)، قَالَ: مَا كُنْتُ لِأُوثِرَ بِفَضْلِي (وفي رواية: بِنَصِيبِي) مِنْكَ أَحَدًا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ. (وفي رواية: فَتَلَّهُ [أي: وضعه] رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي يَدِهِ)[1]

وقد تكرر الموقف؛ فلقد أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ)، بِلَبَنٍ، وَعَنْ يَمِينِهِ ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ، وَعَنْ يَسَارِهِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): لِابْنِ عَبَّاسٍ، "أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَسْقِيَ خَالِدًا؟" (وفي رواية: الشَّرْبَةُ لَكَ، وَإِنْ شِئْتَ آثَرْتَ بِهَا خَالِدًا)، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا أُحِبُّ أَنْ أُوثِرَ، بِسُؤْرِ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، عَلَى نَفْسِي أَحَدًا، فَأَخَذَ ابْنُ عَبَّاسٍ، فَشَرِبَ، وَشَرِبَ خَالِدٌ[2].

(٢) يجيب دعوتهم، ويحترم سفارتهم، ويخالطهم كالكبار

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ الْمَازِنِيُّ ﷺ، قَالَ: بَعَثَنِي أَبِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) أَدْعُوهُ إِلَى طَعَامٍ فَجَاءَ مَعِي، فَلَمَّا دَنَوْتُ مِنَ الْمَنْزِلِ أَسْرَعْتُ، فَأَعْلَمْتُ أَبَوَيَّ فَخَرَجَا فَتَلَقَّيَا رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) وَرَحَّبَا بِهِ، وَوَضَعْنَا لَهُ قَطِيفَةً كَانَتْ عِنْدَنَا زِئْبِرِيَّةً فَقَعَدَ عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ أَبِي لِأُمِّي: هَاتِ طَعَامَكِ، فَجَاءَتْ بِقَصْعَةٍ فِيهَا دَقِيقٌ قَدْ عَصَدَتْهُ بِمَاءٍ وَمِلْحٍ، فَوَضَعْتُهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فَقَالَ: «خُذُوا بِسْمِ اللَّهِ مِنْ حَوَالَيْهَا، وَذَرُوا ذُرْوَتَهَا، فَإِنَّ الْبَرَكَةَ فِيهَا» فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ)، وَأَكَلْنَا مَعَهُ،

---

[1] متفق عليه: البخاري (٢٣٥١، ٢٣٦٦، ٢٤٥١، ٢٦٠٢)، ومسلم (٢٠٣٠)

[2] رواه ابن ماجة (٣٤٢٦)، وأحمد (١٩٠٤)، وحسنه الألباني

وَفضَلَ مِنْهَا فَضْلَةٌ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُمْ، وَارْحَمْهُمْ، وَبَارِكْ عَلَيْهِمْ، وَوَسِّعْ عَلَيْهِمْ فِي أَرْزَاقِهِمْ»[1]

(٣) يقبل هداياهم، ويشجعهم عملياً على التشبه بالكبار في الإنجاز

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ غُلَامًا حَزَوَّرًا فَصِدْتُ أَرْنَبًا فَشَوَيْتُهَا، فَبَعَثَ مَعِي أَبُو طَلْحَةَ رضي الله عنه بِعَجُزِهَا إِلَى النَّبِيِّ (ﷺ): "فَأَتَيْتُهُ بِهَا فَقَبِلَهَا"[2]

(٤) يوصي باحترام عقولهم وأفكارهم، وعدم الاستهانة بمشاعرهم

يقول عبد الله بن عامر رضي الله عنه: دَعَتْنِي أُمِّي يَوْمًا وَرَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) قَاعِدٌ فِي بَيْتِنَا، فَقَالَتْ: هَا تَعَالَ أُعْطِيكَ، (وفي رواية: أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِنَا وَأَنَا صَبِيٌّ، قَالَ: فَذَهَبْتُ أَخْرُجُ لِأَلْعَبَ، فَقَالَتْ أُمِّي: يَا عَبْدَ اللَّهِ تَعَالَ أُعْطِكَ)، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): "وَمَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيهِ؟" قَالَتْ: أُعْطِيهِ تَمْرًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تُعْطِهِ شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكِ كِذْبَةٌ»[3].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ قَالَ لِصَبِيٍّ: تَعَالَ هَاكَ، ثُمَّ لَمْ يُعْطِهِ فَهِيَ كَذْبَةٌ"[4]

(٥) يخاطبهم خطابات تدبرية حكيمة كالكبار، احتراماً لعقولهم

قال رسول الله (ﷺ) يوماً لأنس بن مالكٍ رضي الله عنه: «يَا بُنَيِّ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ فَسَلِّمْ فتكُونُ بَرَكَةً عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِك»[5]. فلم يكتفِ (ﷺ) بمجرد التوجيه أو التوصية "فَسَلِّمْ"، بل شفع ذلك، بالعواقب الحسنة للاستجابة لتلك الوصية والمحفزات التي تجعل استجابته أسرع وأيسر وأتم وأدوم.

[1] مسند أحمد (١٧٦٧٨)، وصححه الأرنؤوط
[2] سنن أبي داوود (٣٧٩١)، وصححه الألباني
[3] رواه أبو داود (٤٩٩٣)، وأحمد (١٥٧٠٢)، وحسنه الألباني.
[4] مسند أحمد (٩٨٣٦)
[5] صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٦٦)

واستعمل مع ابن عباس رضي الله عنهما **أسلوباً تدبرياً متميزاً، احترم فيه عقله وفكره، وخاطبه بطريقة تؤكد احترامه وتقديره له؛** فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ (وفي رواية: رِدْفَ) رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) يَوْمًا، فَقَالَ: "يَا غُلَامُ! إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ (وفي رواية: يَا غُلَيِّمُ، أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ؟): احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ (وفي رواية: لما استطاعت، وفي رواية أخرى: لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ)، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ (وفي رواية: ما استطاعت، وفي رواية أخرى: لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ)، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ (وفي رواية: قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ). وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا"[1]

(٦) يزرع في نفوسهم الثقة، ويحملهم الأسرار، ويُقرِّبهم كالكبار

عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ رضي الله عنه، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: "أَتَى عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، **فَسَلَّمَ عَلَيْنَا،** ثُمَّ **أَخَذَ بِيَدِي** فَأَرْسَلَنِي بِرِسَالَةٍ، **وَقَعَدَ فِي ظِلِّ جِدَارٍ حَتَّى رَجَعْتُ إِلَيْهِ.** فَبَلَّغْتُ الرِّسَالَةَ الَّتِي بَعَثَنِي فِيهَا، فَأَبْطَأْتُ عَلَى أُمِّي، فَلَمَّا جِئْتُ قَالَتْ: مَا حَبَسَكَ؟، قُلْتُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ (ﷺ) لِحَاجَةٍ، قَالَتْ: مَا حَاجَتُهُ؟، قُلْتُ: **إِنَّهَا سِرٌّ،** قَالَتْ: لَا تُحَدِّثَنَّ بِسِرِّ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) أَحَدًا.

فَقُلْتُ: يَا أَبَا حَمْزَةَ، أَتَحْفَظُ تِلْكَ الْحَاجَةَ الْيَوْمَ؟ أَوْ تَذْكُرُهَا؟، قَالَ رضي الله عنه: إِي وَاللهِ إِنِّي لَأَذْكُرُهَا، وَلَوْ كُنْتُ مُحَدِّثًا بِهَا أَحَدًا مِنْ النَّاسِ، لَحَدَّثْتُكَ بِهَا يَا ثَابِتُ[2].

[1] الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد (٢٦٦٩، ٢٧٦٣، ٢٨٠٣، ٢٨٠٤)، والحاكم (٦٣٠٤)، وصححه الألباني والأرنؤوط
[2] البخاري (٥٩٣١)، مسلم: (٢٤٨٢)، وأحمد (١٢٠٧٩، ١٣٠٥٤، ١٣٤٠٤)، وأبي داوود (٥٢٠٣)

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ ﵄، قَالَ: **أَرْدَفَنِي** رَسُولُ اللهِ (ﷺ) ذَاتَ يَوْمٍ خَلْفَهُ. **فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا** لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ[1]. وفي مسند أحمد (١٧٥٤): قال الْحَسَن بْن سَعْدٍ: فَحَرَّجْنَا عَلَيْهِ أَنْ يُحَدِّثَنَا، فَقَالَ عَبْد اللهِ بْن جَعْفَرٍ: لَا أُفْشِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) سِرَّهُ حَتَّى أَلْقَى اللَّه.

وتأمل كيف كانوا يمنحونهم الثقة، ويحضونهم على احترام ذلك! فقد أخبر سُفْيَانُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عُتْبَةَ أن والده قال له لَمَّا بَلَغْتُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً: «أَيْ بُنَيَّ قَدِ انْقَطَعَتْ عَنْكَ شَرَائِعُ الصَّبِيِّ فَالْزَمِ الْخَيْرَ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ، وَلَا تَتْرُكْهُ كُلَّهُ وَتَدَعَنَّ مِنْهُ، وَلَا يَغُرَّنَّكَ مَنِ اغْتَرَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيَمْدَحُكَ بِمَا لَيْسَ فِيكَ؛ فَإِنَّهُ كَمَا يَقُولُ فِيكَ مِنَ الْخَيْرِ إِذَا رَضِيَ، كَذَلِكَ يَقُولُ فِيكَ مِنَ الشَّرِّ إِذَا غَضِبَ، فَاسْتَأْنِسْ بِالْوِحْدَةِ مِنْ قُرَنَاءِ السُّوءِ، **وَلَا تَنْقُلْ حُسْنَ ظَنِّي بِكَ إِلَى غَيْرِكَ**» قَالَ: **فَكَانَ كَلَامُ أَبِي قِبْلَةً بَيْنَ عَيْنِي أَنْتَقِلُ فِيهِ وَلَا أَنْتَقِلُ عَنْهُ وَإِنَّمَا يَسْعدُ بِالْعُلَمَاءِ مَنْ أَطَاعَهُمْ**[2].

(٧) تقدير اهتماماتهم، وعدم التهوين منها، والحوار معهم حولها

وَعَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَفِي سَهْوَتِهَا (السهوة تجويف في داخل بالحائط) سِتْرٌ، فَهَبَّتْ رِيحٌ فَكَشَفَتْ نَاحِيَةَ السِّتْرِ عَنْ بَنَاتٍ لُعَبٍ لِي، فَقَالَ (ﷺ): **"مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ؟"**. قُلْتُ: بَنَاتِي. وَرَأَى بَيْنَهُنَّ فَرَسًا لَهُ جَنَاحَانِ مِنْ رِقَاعٍ، فَقَالَ: **"مَا هَذَا الَّذِي أَرَى وَسْطَهُنَّ؟"**. قُلْتُ: فَرَسٌ.

قَالَ: **"وَمَا هَذَا الَّذِي عَلَيْهِ؟"**. قُلْتُ: جَنَاحَانِ. قَالَ: **"فَرَسٌ لَهُ جَنَاحَانِ؟"**.

قُلْتُ: أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ لِسُلَيْمَانَ خَيْلًا لَهَا أَجْنِحَةٌ؟ **فَضَحِكَ حَتَّى رَأَيْتُ نَوَاجِذَه** (النواجذ: أواخر الأسنان ، وقيل: التي بعد الأنياب)"[3]

---

[1] صحيح مسلم: ٧٩ - (٣٤٢)

[2] النفقة على العيال لابن أبي الدنيا (١/ ٥٣٥)

[3] سنن أبي داوود (٤٩٣٢)، وصححه الألباني في المشكاة (٣٢٦٥)

(٨) تكليفهم بالمهام ثقةً فيهم، واحتراماً لقدراتهم، وتطويراً لإمكانياتهم

- عَنِ الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ، قَالَتْ: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ (ﷺ) نَسْقِي وَنُدَاوِي الجَرْحَى، وَنَرُدُّ القَتْلَى إِلَى المَدِينَةِ»[١]

- عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ ﵁، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ قَالَ: "أَتَى عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَسَلَّمَ عَلَيْنَا، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَأَرْسَلَنِي بِرِسَالَةٍ، وَقَعَدَ فِي ظِلِّ جِدَارٍ حَتَّى رَجَعْتُ إِلَيْهِ. فَبَلَّغْتُ الرِّسَالَةَ الَّتِي بَعَثَنِي فِيهَا، فَأَبْطَأْتُ عَلَى أُمِّي، فَلَمَّا جِئْتُ قَالَتْ: مَا حَبَسَكَ؟، قُلْتُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ (ﷺ) لِحَاجَةٍ، قَالَتْ: مَا حَاجَتُهُ؟، قُلْتُ: إِنَّهَا سِرٌّ، قَالَتْ: لَا تُحَدِّثَنَّ بِسِرِّ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) أَحَدًا[٢].

- وقال أنس ﵁: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا. أَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لَا أَذْهَبُ - وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللهِ (ﷺ) فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ.
فَإِذَا رَسُولُ اللهِ (ﷺ) قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي. فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: "يَا أُنَيْسُ، أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟" فَقُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ يَا رَسُولَ اللهِ[٣].

- وعَنْ ابْن عَبَّاسٍ ﵄، قال: مَرَّ بِي رَسُولُ اللهِ (ﷺ) وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَاخْتَبَأْتُ مِنْهُ خَلْفَ بَابٍ، فَدَعَانِي فَحَطَأَنِي حَطْأَةً، ثُمَّ بَعَثَ بِي إِلَى مُعَاوِيَةَ[٤].

- عن أَبِي زَيْدٍ عَمْرُو بْن أَخْطَب الْأَنْصَارِيُّ ﵁، قَالَ: اسْتَسْقَى رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) مَاءً، فَأَتَيْتُهُ بِقَدَحٍ فِيهِ مَاءٌ، فَكَانَتْ فِيهِ شَعَرَةٌ فَرَفَعْتُهَا، ثُمَّ نَاوَلْتُهُ فَقَالَ لِي رَسُولُ

---

[١] صحيح البخاري (٢٨٨٢)

[٢] البخاري (٥٩٣١)، مسلم: (٢٤٨٢)، وأحمد (١٢٠٧٩، ١٣٠٥٤، ١٣٤٠٤)، وأبي داوود (٥٢٠٣)

[٣] البخاري (٢٦١٦، ٥٦٩١)، مسلم: ٥١، ٥٢، ٥٤ - (٢٣٠٩، ٢٣١٠)، أحمد (١٣٣٤١، ١٣٤٤٣)

[٤] مسند أحمد (٢/ ٥٤٥)، وصححه شاكر، وحسنه الأرنؤوط، ومعنى (فَحَطَأَنِي حَطْأَةً)، أي: مازحني بضربة خفيفة في ظهري.

اللَّهِ (ﷺ): «ادْنُ مِنِّي»، قَالَ: فَمَسَحَ بِيَدِهِ عَلَى رَأْسِهِ، وَلِحْيَتِهِ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ جَمِّلْهُ، وَأَدِمْ جَمَالَهُ»، فَلَقَدْ بَلَغَ بِضْعًا، وَمِائَةَ سَنَةٍ وَمَا فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ بَيَاضٌ، إِلَّا نَبْذٌ يَسِيرٌ، وَلَقَدْ كَانَ مُنْبَسِطَ الْوَجْهِ، وَلَمْ يَنْقَبِضْ وَجْهُهُ حَتَّى مَاتَ[1].

(٩) يكفل لهم حق الاختيار، ويمنع من الظلم والإجبار

وَعَنْ جَبَلَةَ بْنِ حَارِثَةَ رضي الله عنه أَخُو زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ (ﷺ) فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ابْعَثْ مَعِي أَخِي زَيْدًا، فَقَالَ: "هُوَ ذَا، فَإِنْ انْطَلَقَ مَعَكَ، لَمْ أَمْنَعْهُ"، فَقَالَ زَيْدٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَاللهِ لَا أَخْتَارُ عَلَيْكَ أَحَدًا، قَالَ جَبَلَةُ رضي الله عنه: "فَرَأَيْتُ رَأْيَ أَخِي أَفْضَلَ مِنْ رَأْيِي"[2]

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: تُوُفِّيَ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ رضي الله عنه وَتَرَكَ ابْنَةً لَهُ مِنْ خُوَيْلَةَ بِنْتِ حَكِيمِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ الْأَوْقَصِ، قَالَ: وَأَوْصَى إِلَى أَخِيهِ قُدَامَةَ بْنِ مَظْعُونٍ رضي الله عنه قَالَ عَبْدُ اللهِ: وَهُمَا خَالَايَ. قَالَ: فَخَطَبْتُ إِلَى قُدَامَةَ بْنِ مَظْعُونٍ ابْنَةَ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ، فَزَوَّجَنِيهَا [وَلَمْ يُشَاوِرْهَا].

وَدَخَلَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ رضي الله عنه ... إِلَى أُمِّهَا، فَأَرْغَبَهَا فِي الْمَالِ، فَحَطَّتْ إِلَيْهِ، وَحَطَّتْ الْجَارِيَةُ إِلَى هَوَى أُمِّهَا، فَأَبَيَا، حَتَّى ارْتَفَعَ أَمْرُهُمَا إِلَى رَسُولِ اللهِ (ﷺ).

فَقَالَ قُدَامَةُ بْنُ مَظْعُونٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، ابْنَةُ أَخِي، أَوْصَى بِهَا إِلَيَّ، فَزَوَّجْتُهَا ابْنَ عَمَّتِهَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ، فَلَمْ أُقَصِّرْ بِهَا فِي الصَّلَاحِ وَلَا فِي الْكَفَاءَةِ، وَلَكِنَّهَا امْرَأَةٌ، وَإِنَّمَا حَطَّتْ إِلَى هَوَى أُمِّهَا.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): "هِيَ يَتِيمَةٌ، وَلَا تُنْكَحُ إِلَّا بِإِذْنِهَا"، قَالَ: فَانْتُزِعَتْ وَاللهِ مِنِّي بَعْدَ أَنْ مَلَكْتُهَا، فَزَوَّجُوهَا الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ[3].

---

[1] مسند أحمد (٢٠٧٣٣، ٢٢٨٨١، ٢٢٨٨٣)، وصححه الألباني

[2] رواه الترمذي (٣٨١٥)

[3] سنن ابن ماجة (١٨٧٨)، ومسند أحمد (٦١٣٦)، وحسنه الألباني في الإرواء (١٨٣٥)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: إِنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) فَقَالَتْ: فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، إِنَّ زَوْجِي يُرِيدُ أَنْ يَذْهَبَ بِابْنِي، وَقَدْ نَفَعَنِي، وَسَقَانِي مِنْ بِئْرِ أَبِي عِنَبَةَ، فَجَاءَ زَوْجُهَا وَقَالَ: مَنْ يُخَاصِمُنِي فِي ابْنِي؟ فَقَالَ: **"يَا غُلَامُ، هَذَا أَبُوكَ وَهَذِهِ أُمُّكَ فَخُذْ بِيَدِ أَيِّهِمَا شِئْتَ"**، فَأَخَذَ بِيَدِ أُمِّهِ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ[1].

وعلى الدرب سار الصحابة ﷺ فعَنْ أَبِي مَيْمُونَةَ، قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ فَارِسِيَّةٌ مَعَهَا ابْنٌ لَهَا فَادَّعَيَاهُ، وَقَدْ طَلَّقَهَا زَوْجُهَا، فَقَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، وَرَطَنَتْ لَهُ بِالْفَارِسِيَّةِ، زَوْجِي يُرِيدُ أَنْ يَذْهَبَ بِابْنِي، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: **اسْتَهِمَا عَلَيْهِ وَرَطَنَ لَهَا بِذَلِكَ**، فَجَاءَ زَوْجُهَا، فَقَالَ: مَنْ يُحَاقُّنِي فِي وَلَدِي؟، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: اللَّهُمَّ إِنِّي لَا أَقُولُ هَذَا إِلَّا ... (وذكر الحديث السابق)[2].

عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ سَلَمَةَ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ ﷺ: أَنَّهُ أَسْلَمَ وَأَبَتْ امْرَأَتُهُ أَنْ تُسْلِمَ، فَجَاءَ **ابْنٌ لَهُمَا صَغِيرٌ لَمْ يَبْلُغِ الْحُلُمَ**، فَأَجْلَسَ النَّبِيُّ (ﷺ) الْأَبَ هَاهُنَا وَالْأُمَّ هَاهُنَا **ثُمَّ خَيَّرَهُ**، فَقَالَ: "اللَّهُمَّ اهْدِهِ" فَذَهَبَ إِلَى أَبِيهِ[3].

وعن رَافِعِ بْنِ سِنَانٍ ﷺ أَنَّهُ أَسْلَمَ وَأَبَتْ امْرَأَتُهُ أَنْ تُسْلِمَ، فَأَتَتِ النَّبِيَّ (ﷺ) فَقَالَتْ: ابْنَتِي، وَهِيَ فَطِيمٌ أَوْ شَبَهُهُ، وَقَالَ رَافِعٌ: ابْنَتِي.

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ (ﷺ): «اقْعُدْ نَاحِيَةً»، وَقَالَ لَهَا: «اقْعُدِي نَاحِيَةً»، **فَأَقْعَدَ الصَّبِيَّةَ بَيْنَهُمَا، ثُمَّ قَالَ: «ادْعُوَاهَا»**، فَمَالَتْ إِلَى أُمِّهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): «اللَّهُمَّ اهْدِهَا» فَمَالَتْ إِلَى أَبِيهَا فَأَخَذَهَا[4].

---

[1] رواه النسائي (٣٤٩٦)، وصححه الألباني، وفي الأمر تفصيل فقهي ليس هذا محل بسطه.
[2] رواه أبو داوود (٢٢٧٧)، وصححه الألباني، وفي الأمر تفصيل فقهي ليس هذا محل بسطه.
[3] رواه النسائي (٣٤٩٥)، وصححه الألباني، وفي الأمر تفصيل فقهي ليس هذا محل بسطه.
[4] رواه أحمد (٢٣٧٥٧)، وصححه الألباني، وفي الأمر تفصيل فقهي ليس هذا محل بسطه.

(١٠) السماح لهم بمخالطته ومشاركته في العبادات

عَنْ الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ (ﷺ)، فَلَمْ يَزَلْ يُلَبِّي حَتَّى رَمَى جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ، فَرَمَاهَا بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ، يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ[١].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ)، أَرْدَفَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رضي الله عنه مِنْ عَرَفَةَ حَتَّى جَاءَ جَمْعًا، وَأَرْدَفَ الْفَضْلَ بْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما مِنْ جَمْعٍ حَتَّى جَاءَ مِنًى[٢].

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) أُغَيْلِمَةَ بَنِي عَبدِ الْمُطَّلِبِ عَلَى حُمُرَاتٍ يَلْطَخُ أَفْخَاذَنَا، وَيَقُولُ: "أُبَيْنِيَّ، لَا تَرْمُوا جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ"[٣]، قَالَ أَبُو دَاوُدَ: "اللَّطْخُ: الضَّرْبُ اللَّيِّنُ".

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: بِتُّ لَيْلَةً عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ رضي الله عنها، زَوْجِ النَّبِيِّ (ﷺ)، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) عِنْدَهَا فِي لَيْلَتِهَا، فَقُلْتُ: لَأَنْظُرَنَّ إِلَى صَلَاةِ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) (وفي رواية: لِأَنْظُرَ كَيْفَ يُصَلِّي). وَقُلْتُ لِخَالَتِي: إِذَا قَامَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) فَأَيْقِظِينِي. فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ (ﷺ) الْعِشَاءَ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَقَالَ: "أَصَلَّى الْغُلَامُ؟"، قَالُوا: نَعَمْ، فَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، ثُمَّ تَحَدَّثَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) مَعَ أَهْلِهِ سَاعَةً، ثُمَّ رَقَدَ، فَطُرِحَتْ لِرَسُولِ اللهِ (ﷺ) وِسَادَةٌ فَاضْطَجَعْتُ فِي عَرْضِ الْوِسَادَةِ، وَاضْطَجَعَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) وَأَهْلُهُ فِي طُولِهَا. فَقَامَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) مِنْ اللَّيْلِ فَأَتَى حَاجَتَهُ ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ، ثُمَّ نَامَ (وفي رواية: قَامَ لِحَاجَتِهِ، فَأَتَى الْقِرْبَةَ فَحَلَّ شِنَاقَهَا، ثُمَّ تَوَضَّأَ وُضُوءًا بَيْنَ الْوُضُوءَيْنِ، ثُمَّ أَتَى فِرَاشَهُ فَنَامَ) حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ اللَّيْلُ، أَوْ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ، أَوْ بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ، اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) فَجَلَسَ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ بِيَدَيْهِ، ثُمَّ قَامَ، ثُمَّ قَالَ: نَامَ الْغُلَيِّمُ؟ أَوْ كَلِمَةً تُشْبِهُهَا.

---

[١] سنن النسائي (٣٠٧٩)، وصححه الألباني

[٢] مسند أحمد (١٨٢٠)

[٣] سنن النسائي (٣٠٦٤)، وسنن أبي داوود (١٩٤٠)، ومسند أحمد (٢٠٨٩)، وصححه الألباني

فَتَسَوَّكَ، وَقَامَ إِلَى شَنٍّ فِيهِ مَاءٌ، **فَتَوَضَّأَ وَتَوَضَّأْتُ مَعَهُ** (وفي رواية: **فَقُمْتُ فَصَنَعْتُ مِثْلَ مَا صَنَعَ**)، (وفي رواية: ثُمَّ حَرَّكَنِي فَقُمْتُ، فَتَمَطَّيْتُ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَرَى أَنِّي كُنْتُ أَنْتَبِهُ لَهُ) فَخَرَجَ فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ قَرَأَ الْعَشْرَ الْآيَاتِ الْخَوَاتِمَ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، فَقَالَ: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ}، حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ. وفي رواية: فَخَرَجَ فَنَظَرَ فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ الَّتِي فِي آلِ عِمْرَانَ: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ .. حَتَّى بَلَغَ: سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْبَيْتِ، فَتَسَوَّكَ وَتَوَضَّأَ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى.

ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، **فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ، فَأَدَارَنِي، فَأَقَامَنِي عَنْ يَمِينِهِ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ [الْيُمْنَى] عَلَى رَأْسِي [مِنْ وَرَائِي] كَأَنَّهُ يَمَسُّ أُذُنِي** (وفي رواية: **فَأَخَذَ بِأُذُنِي يَفْتِلُهَا كَأَنَّهُ يُوقِظُنِي** (وفي رواية: **فَجَعَلْتُ إِذَا أَغْفَيْتُ يَأْخُذُ بِشَحْمَةِ أُذُنِي**).

فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ قَدْ قَرَأَ فِيهِمَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، ثُمَّ سَلَّمَ، ثُمَّ صَلَّى حَتَّى صَلَّى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً بِالْوِتْرِ، ثُمَّ نَامَ، فَأَتَاهُ بِلَالٌ، فَقَالَ: الصَّلَاةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَامَ، فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ صَلَّى لِلنَّاسِ (وفي رواية: فَصَلَّى ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً [قِيَامُهُ فِيهِنَّ سَوَاءٌ] مِنْهَا رَكْعَتَا الْفَجْرِ، **حَزَرْتُ قِيَامَهُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ بِقَدْرِ {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ}**)[1].

وَكَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ [فِي سُجُودِهِ] (وفي رواية: فَأَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ فَخَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ وَهُوَ يَقُولُ): "اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي لِسَانِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَمِنْ فَوْقِي نُورًا، وَمِنْ تَحْتِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ شِمَالِي نُورًا، وَمِنْ بَيْنِ يَدَيَّ نُورًا، وَمِنْ خَلْفِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي نَفْسِي نُورًا، اللَّهُمَّ وَأَعْظِمْ لِي نُورًا" (وفي رواية: "اللَّهُمَّ أَعْطِنِي نُورًا"، وفي أخرى: "وَاجْعَلْنِي نُورًا")

[1] البخاري (٦٩٧، ٦٩٨، ٧٥٤٢)، مسلم: ١٨١، ١٨٥، ١٨٧، ١٩٠، ١٩١ - (٧٦٣)، أبي داوود (١٣٥٣، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٦٤، ١٣٦٧)، الترمذي (٢٣٢)، وصححه الألباني وغيره.

✍ **وهذا حديث عامر بالعديد من الفوائد والجواهر**، ومن أوائل ما يستوقفنا هنا أنه (ﷺ) كان **يسمح للأطفال من أهله وأقاربه بمخالطته، ويحسن استقبالهم،** حتى كانوا لايجدون غضاضة في مخالطته وقتاً طويلاً في بيته.

✍ ولم يكن يتجاهلهم أو يُقَصِّر في حُسنِ معاملتهم، بل كان يسمح لهم **بمشاركته في صلواته وحياته؛** ويحرص على أن يقدم لهم **صورة عملية.**

✍ وتأمل كيف نجح النبي (ﷺ) ومَن حوله ﷺ في **صناعة طموحات وصياغة اهتمامات الأطفال الصغار؟**

✍ فنجد ابن عباس رضي الله عنهما رغم حداثة سنة، **يقوم بزيارة تعليمية،** فيذهب لبيت خالته، ويبيت عندها، **ليشهد عملية إقامة الصلاة** التي أرادها الله، والتي يؤديها خير خلق الله (ﷺ). يقول ابن عباس رضي الله عنهما عن سبب ذهابه لبيت خالته ميمونة رضي الله عنها: فَقُلْتُ: **لَأَنْظُرَنَّ إِلَى صَلَاةِ رَسُولِ اللهِ** (ﷺ) (وفي رواية: **لِأَنْظُرَ كَيْفَ يُصَلِّي**).

✍ ويزداد إكبارك **لحكمة وهِمَّة** ابن عباس رضي الله عنهما حين تستحضر أنه طفل صغير، ولم يكن ذلك الجهد الذي بذله في خدمة الفريضة، بل **في خدمة النافلة،** ولم تكن نافلة نهارية بل كانت **نافلة ليلية،** تحتاج **لجهد أكبر** في الاستيقاظ والوضوء وغيرها.

✍ ورغم ذلك **كان على أَتَمِّ الاستعداد لدفع فاتورة شهود** إقامة تلك الصلاة على الوجه الذي أراده الله؛ فقال: "وَقُلْتُ لِخَالَتِي: إِذَا قَامَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) **فَأَيْقِظِينِي**".

☒ سبحان الله! وأنا أقرأ كلام ابن عباس رضي الله عنهما **قفز إلى ذهني** مشهد **مؤسف** يتكرر في معظم بيوت المسلمين اليوم لأطفالٍ أو أبناءٍ يطلبون **بإلحاح وحرصٍ شديد** أن يتم إيقاظهم كما طلب ابن عباس رضي الله عنهما، لكن ابن عباس رضي الله عنهما أراد الاستيقاظ لأجل الصلاة، وهم **يريدون الاستيقاظ لأجل الفيلم أو المباراة.**

☒ **وليتَ الأمر يقتصر على ذلك،** بل يطلبون **ألا** يتم إيقاظهم لأجل الصلاة، ولو تم إيقاظهم لأجلها يصدر منهم ما لا تُحْمَد عقباه.

✍ وقبل أن تبدأوا في إظهار التأسف ومصمصة الشفاه، **راجعوا مجهوداتكم التي بذلتموها** لصياغة اهتماماتهم، وجَعْلِهم يُعَظِّمون الصلاة.

✍ وانظر إلى حرصه (ﷺ) على إقامة الأطفال للصلاة حتى ولو لم يكونوا مِن صُلبه مباشرة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ثُمَّ جَاءَ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَقَالَ: **"أَصَلَّى الْغُلَامُ؟"**.

✍ النبي (ﷺ) يؤكد لنا أن **نطاق الوالدية والمسؤولية،** يرتكز بالأساس على نسب الدين، لا على نسب الطين، ويرتبط بالإيمان أكثر من ارتباطه بالأبدان.

✍ إنه (ﷺ) يعلمنا أن **التعاهد لا يكون فقط للطفل وإنما أيضاً للوسط المحيط** بالطفل والذي ينبغي أن يقوم بدوره هو الآخر في عملية **صناعة الطفل (المُصَلِّي).**

✍ **لم يبدأ** (ﷺ) **بالسؤال عن أي شيء يخص الأبدان، أو العمران،** وإنما كان حريصاً على تَفَقُّدِ ما يخص الإيمان، ثم بعد ذلك يكون السؤال عن الأبدان والعمران **بميزانٍ لا خُسران فيه ولا طُغيان.**

☒ والواحد منا اليوم يدخل بيته، **فلا يسأل أصلاً** عن أي شيء يخص إيمان أطفاله، **وإن سأل يكون** السؤال عن الصلاة **في ذيل قائمة سؤالاته.**

✍ **ورغم أن أُمَّنا ميمونة** رضي الله عنها **امرأة صالحة،** لا يُتَوَقَّع من مثلها أبداً التفريط في (أمرِ ابن أختها بالصلاة وهو في بيتها)؛ **إلا أن النبي** (ﷺ) **يسألها،** ويتأكد منها.

✍ ولعل الأنسب في باب الأمر بإقامة الصلاة للطفل **(النائم)** أن **نُحَرِّكه (برفق)،** ولا نكتفي بمجرد المناداة؛ قال ابن عباس رضي الله عنهما: **"ثُمَّ حَرَّكَنِي** فَقُمْتُ"

☒ وهنا يجدر **التحذير من تلك الممارسات الخاطئة** التي يقوم بها البعض مع الأطفال لإيقاظ الأطفال للصلاة **بالترويع والتفزيع** وغيرها؛ لأن ذلك يتسبب في تنفيرهم من الصلاة.

☒ كما يجدر التنبيه أيضاً على أنه **لا ينبغي أن نكتفي بمجرد المناداة**، **ونرى أننا بذلك قد فعلنا ما علينا**، بل لابد من **استفراغ الوسع في إيقاظهم** بالتحريك اللطيف والتشجيع والترغيب وغيرها من **الأساليب الرفيقة**.

☒ ونؤكد على أن **أعظم الترفق بالطفل، هو أن نحمله على طاعة الله ونُدَربه عليها**، وتلك **الشفقة المؤذية** التي تحمل بعض الآباء على ترك إيقاظ الأطفال للصلاة تضر الأطفال ولا تنفعهم، بل العجيب والغريب أن أولئك الذين يتورعون عن إيقاظ الأطفال للصلاة، هم الذين يتشددون في إيقاظهم لأمور كثيرة من أمور الحياة، ولا يبالون بتضجر الأطفال الذي ربما يصل إلى البكاء.

✍ ومما نلاحظه في هذا الحديث أن النبي (ﷺ) **لم يطالب** ابن عباس رضي الله عنهما **بالقيام بكل ما قام به**، فقد كان (ﷺ) حريصاً على أن يشركه معه في أمور، **وتغاضى عن أمور أخرى**، ولعل ذلك يشي بأننا ينبغي أن نراعي أن الأَوْلَى **حمل الطفل وتدريبه أولاً على الأصول** مع التغاضي عن بعض التفاصيل.

☒ **وللأسف** نجد بعض الفضلاء اليوم، **لا يدرك الفرق ابتداءً بين الأصول والتفاصيل**، فلربما اعتنى ببعض التفاصيل على حساب بعض الأصول، ثم هو يريد للطفل من المرات الأولى **أن يأتي بكل التفاصيل**.

✍ كما نلاحظ أيضاً أنه (ﷺ) كان حريصاً على **التخفيف** عليه؛ **فلم يوقظه في كل مرة** استيقظ فيها، وفي المرة التي استيقظ فيها **لم يوقظه من البداية**.

☒ وبعض الفضلاء يتوهم أن **التخفيف يستدعي أن نترك الطفل يمارس الأمر بشكلٍ غير سليم**، وهذا غير صحيح؛ لأن **التخفيف إنما يكون في (الكَمِّ)، لا في (الكيف)** أو (الجودة)؛ ولعل مما يشير إلى ذلك ما فعله الرسول (ﷺ) مع ابن عباس رضي الله عنهما في إصلاح وقوفه في الصلاة وإيقاظه فيها برفق.

✍ ولعل ما فعله الرسول (ﷺ) يشير إلى أننا لا ينبغي أن نقول عن الطفل: هو صغير، لا يناسبه قيام الليل أو غيره من الصلوات الطويلة، بل نسمح له بمشاركتنا، لكن بلا إجبارٍ أو تشديد،

✍ ولو سمحنا له بمشاركتنا في الصلاة، فينبغي أن نساعده في الإتيان بالأمر على وجهه طالما رغب في ذلك، وحرص عليه.

✍ ولابد أن تتسع صدورنا لمعالجة أخطاء الطفل في باب الصلاة، وتصبيره، برفقٍ وتودد؛ لكيلا نُنَفِّرَه من الصلاة.

✍ ورغم أن ابن عباس رضي الله عنهما كان يغفو في الصلاة إلا أن رسول الله (ﷺ) أعانه على تحقيق ما تمناه، وساعده على مجاهدة نفسه ليتمكن من إتمام إنجازه حتى نهايته في باب الصلاة.

✍ والصلوات، بل معظم الإنجازات، لا تستقيم في حياة الأولاد والبنات، إلا على ساق المجاهدة والثبات، وتلك الأجيال التي لا تصمد أمام الرغبات والملذات، لا يُتَوَقَّع منها أن تستقيم على الطاعات والمكرمات، بل لا يُتَوَقَّع منها أن تتنزه عن معاقرة المنكرات.

☒ وبعضنا اليوم ربما **لا يكترث بمساعدة الطفل على المجاهدة من الأساس،** بل ربما وَجَّه **له قذائف مدمرة من الممارسات والكلمات السلبية والإحباطية؛** كأن يقول له: طالما أنك **لا تقدر** على الشيء أو تحسنه فلا تتعرض له، أو يقول: أما تستحي من أنك **لا تعرف** أين تقف في الصلاة، أو يقول انتقاصاً: أنتَ طفلٌ صغير، **ولن تقوى** على صلاة الليل.

(١١) السماح لهم بالمشاركة معه في مجالس الكبار

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَهِيَ مَثَلُ المُسْلِمِ، حَدِّثُونِي مَا هِيَ؟» (وفي رواية أخرى: أَخْبِرُونِي بِشَجَرَةٍ تُشْبِهُ أَوْ: كَالرَّجُلِ المُسْلِمِ لاَ يَتَحاتُّ وَرَقُهَا، وَلاَ وَلاَ وَلاَ .. تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ)، (وفي رواية: مَنْ يُخْبِرُنِي عَنْ شَجَرَةٍ مَثَلُهَا مَثَلُ الْمُؤْمِنِ، أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ، تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا؟)[1]، (وفي رواية: مَثَلُ المُؤْمِنِ كَمَثَلِ شَجَرَةٍ خَضْرَاءَ).

فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ البَادِيَةِ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَاسْتَحْيَيْتُ (وَأَنَا غُلاَمٌ شَابٌّ)، (وَرَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ لاَ يَتَكَلَّمَانِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ)، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنَا بِهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «هِيَ النَّخْلَةُ».

(فَلَمَّا قُمْنَا قُلْتُ لِعُمَرَ: يَا أَبَتَاهُ، وَاللَّهِ لَقَدْ كَانَ وَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَكَلَّمَ؟ قَالَ: لَمْ أَرَكُمْ تَكَلَّمُونَ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ أَوْ أَقُولَ شَيْئًا)، فَقَالَ: «لَأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي كَذَا وَكَذَا»[2]

وفي رواية: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ (ﷺ) وَهُوَ يَأْكُلُ جُمَّارًا، فَقَالَ: «مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةٌ كَالرَّجُلِ المُؤْمِنِ»، فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ: هِيَ النَّخْلَةُ، فَإِذَا أَنَا أَحْدَثُهُمْ[3].

وفي رواية: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ النَّبِيِّ (ﷺ) جُلُوسٌ إِذَا أُتِيَ بِجُمَّارِ نَخْلَةٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ لَمَا بَرَكَتُهُ كَبَرَكَةِ المُسْلِمِ» فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَعْنِي النَّخْلَةَ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ: هِيَ النَّخْلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ التَفَتُّ فَإِذَا أَنَا عَاشِرُ عَشَرَةٍ أَنَا أَحْدَثُهُمْ فَسَكَتُّ[4].

---

[1] صحيح ابن حبان (١/ ٤٧٨)، وصححها الألباني والأرناؤوط

[2] متفق عليه: البخاري (١/ ٣٨)، (٦/ ٧٩)، (٨/ ٢٩)، مسلم (٤/ ٢١٦٤)، (٤/ ٢١٦٥)، (٤/ ٢١٦٦)

[3] صحيح البخاري (٣/٧٨).

[4] صحيح البخاري (٧/٨٠)

والحديث زاخر بالعديد من الفوائد النفيسة[1]؛ نذكر منها:

✍ من تقدير الذات للصبي واحترامها، والارتقاء بقدراته وتفجيرها، وتطوير شخصيته وتطهيرها؛ الحرص على أن يجالس الكبار؛ ويشاركهم الحديث كرجل راشد؛ (وَأَنَا غُلاَمٌ شَابٌّ)، فقد سمح النبي (ﷺ) بذلك، بل ظاهر كلام عمر أنه (ﷺ) كان سيسمح له بإبداء رأيه.

- وقد كان عمر بن الخطاب رضوان الله عليه من أكثر الصحابة حرصا على ذلك؛ وأخباره مع ابن عباس في ذلك مشهورة.
- فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ عُمَرُ يَسْأَلُنِي مَعَ الْأَكَابِرِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ (ﷺ)، ثُمَّ يَقُولُ: «لَا تَتَكَلَّمْ حَتَّى يَتَكَلَّمُوا»[2].

✍ ولا تنبغي الاستهانة بقدرات الصغار أو التقليل منها؛ فقد يدركون ما لا يدركه الكبار؛ وحداثة سنهم، لا تمنع فهمهم ولا تحجب إبداعهم، (فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ البَادِيَةِ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ). قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُعْتَزِّ: «كَمَا أَنَّ الشَّمْسَ، لَا يَخْفَى ضَوْءُهَا، وَإِنْ كَانَتْ تَحْتَ السَّحَابِ، فَكَذَلِكَ الصَّبِيُّ لَا تَخْفَى غَرِيزَةُ عَقْلِهِ، وَإِنْ كَانَتْ مَغْمُورَةً بِأَخْلَاقِ الْحَدَاثَةِ»[3]

✍ ينبغي تربية الصغار على أن يتأدبوا إذا جالسوا الكبار، وخصوصا في مجالس العلم والمشورة؛ فلا يتكلم الصغير قبل الكبير، احتراما وتوقيرا.

- قال ابن عمر: "فَاسْتَحْيَيْتُ (وَأَنَا غُلاَمٌ شَابٌّ)، (وَرَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ لاَ يَتَكَلَّمَانِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ)".

---

[1] راجع الفوائد التعليمية والتربوية في كتابنا (رحلة البحث عن أهل القرآن [النسخة المنظورة])

[2] الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (٢/ ٢٧٧)

[3] الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (٢/ ٢٧٥)

- ولما قَالَ له عمر: "مَا مَنَعَكَ أَنْ تَكَلَّمَ؟" قَالَ ابن عمر: "لَمْ أَرَكُمْ تَكَلَّمُونَ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ أَوْ أَقُولَ شَيْئًا"

✍ ينبغي تربية الصغار على **الجرأة المنضبطة بالأدب في الإفصاح عن رأيهم،** وترك الخجل من ذلك.

فلا تفريط بفتح الباب لهم على مصراعيه يبدون آراءهم فيما يدركون ومالايدركون دون التزام بقواعد الأدب.

ولا إفراط في منعهم من ذلك، بحجة أنهم أخطأوا أو ربما يخطئوا أو أنهم صغار، فيجبنوا طوال حياتهم عن إبداء آرائهم، وينشأوا على التبعية المطلقة لغيرهم في حق أو باطل.

- فالحاصل أن الأكمل أن نربي الطفل على أن **الممنوع ليس إبداء الرأي،** وإنما الممنوع **الطريقة الغير لائقة** في إبداء الرأي أو إبدائه **بلا ضوابط.**
- فقد قَالَ عمر رضي الله عنه: «لَأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي كَذَا وَكَذَا». وقد سمح له النبي (ﷺ) بالجلوس رغم أنه كما وصف نفسه "فَإِذَا أَنَا عَاشِرُ عَشَرَةٍ أَنَا أَحْدَثُهُمْ"

سابعاً: معالجة الأخطاء بالرفق والحكمة وتقدير طفولتهم

منهجية عامة للتعامل مع معظم الأخطاء.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: خَدَمْتُهُ عَشْرَ سِنِينَ، فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، وَأَنَا غُلَامٌ ، لَيْسَ كُلُّ أَمْرِي كَمَا يَشْتَهِي صَاحِبِي أَنْ أَكُونَ عَلَيْهِ.

وَاللهِ مَا قَالَ لِي أُفٍّ قَطُّ، وَمَا قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ، لِمَ صَنَعْتَ هَذَا هَكَذَا؟، وَلَا لِشَيْءٍ لَمْ أَصْنَعْهُ، لِمَ لَمْ تَصْنَعْ هَذَا هَكَذَا؟.

وَمَا أَمَرَنِي بِأَمْرٍ فَتَوَانَيْتُ عَنْهُ، أَوْ ضَيَّعْتُهُ، فَلَامَنِي، فَإِنْ لَامَنِي مِنْ أَهْلِهِ قَالَ: "دَعُوهُ، فَلَوْ قُدِّرَ أَوْ قُضِيَ أَنْ يَكُونَ كَانَ"[١] .

☒ (١) تضييع المهام والانشغال باللهو واللعب:

وقال أنس ﷺ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا. أَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لَا أَذْهَبُ - وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللهِ (ﷺ) فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ.

فَإِذَا رَسُولُ اللهِ (ﷺ) قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي. فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: "يَا أُنَيْسُ، أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟" فَقُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ يَا رَسُولَ اللهِ[٢] .

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، قال: مَرَّ بِي رَسُولُ اللهِ (ﷺ) وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَاخْتَبَأْتُ مِنْهُ خَلْفَ بَابٍ، فَدَعَانِي فَحَطَأَنِي حَطْأَةً، ثُمَّ بَعَثَ بِي إِلَى مُعَاوِيَةَ[٣] .

فالأطفال لا يناسبهم التدقيق والعتاب الشديد، ولابد من التغاضي والتغافل.

---

[١] الحديث بمجموع رواياته، انظر: البخاري (٢٦١٦، ٥٦٩١)، مسلم: ٥١، ٥٢، ٥٤ - (٢٣٠٩، ٢٣١٠)، أبو داوود (٤٧٧٣، ٤٧٧٤)، أحمد (١٣٣٤١، ١٣٤٤٣).

[٢] نفس المراجع في الهامش السابق.

[٣] مسند أحمد (٢/ ٥٤٥)، وصححه شاكر، وحسنه الأرنؤوط، ومعنى (فَحَطَأَنِي حَطْأَةً)، أي: مازحني بضربة خفيفة في ظهري.

☒ (٢) الأخطاء المتعلقة بالعورات والملابس:

وعَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ ﵁، قَالَ: أَقْبَلْتُ بِحَجَرٍ أَحْمِلُهُ ثَقِيلٍ وَعَلَيَّ إِزَارٌ خَفِيفٌ، قَالَ: فَانْحَلَّ إِزَارِي وَمَعِيَ الْحَجَرُ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَضَعَهُ حَتَّى بَلَغْتُ بِهِ إِلَى مَوْضِعِهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): «ارْجِعْ إِلَى ثَوْبِكَ فَخُذْهُ، وَلَا تَمْشُوا عُرَاةً»[1]

☒ (٣) الأخطاء المتعلقة بالطعام والشراب وآدابهما:

عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ ﵁ (وَهُوَ ابْنُ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ) قَالَ: كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللهِ (ﷺ)، فَأَكَلْتُ يَوْمًا مَعَ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) طَعَامًا، فَجَعَلْتُ آكُلُ مِنْ نَوَاحِي الصَّحْفَةِ (وفي رواية: فَجَعَلْتُ آخُذُ مِنْ لَحْمٍ حَوْلَ الصَّحْفَةِ، وفي رواية: وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ).

فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ (ﷺ) وَأَنَا آكُلُ: "ادْنُ يَا بُنَيَّ (وفي رواية: يَا غُلَامُ، وفي رواية: يَا عُمَرُ)، وَسَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ"، فَمَا زَالَتْ تِلْكَ أُكْلَتِي بَعْدُ[2].

☒ (٤) السرقة والاعتداء على حقوق الغير:

عَنْ رَافِعِ بْنِ عَمْرٍو الْغِفَارِيِّ ﵁، قَالَ: كُنْتُ وَأَنَا غُلَامٌ أَرْمِي نَخْلَنَا (وفي رواية: أَرْمِي نَخْلًا لِلْأَنْصَارِ، فَأُتِيَ النَّبِيُّ (ﷺ)، فَقِيلَ: إِنَّ هَاهُنَا غُلَامًا يَرْمِي نَخْلَنَا) فَأُتِيَ بِيَ النَّبِيُّ (ﷺ)، فَقَالَ: "يَا غُلَامُ (وفي رواية: يَا بُنَيَّ) لِمَ تَرْمِي النَّخْلَ؟" قُلْتُ: آكُلُ. قَالَ: "فَلَا تَرْمِ النَّخْلَ، وَكُلْ مِمَّا يَسْقُطُ فِي أَسَافِلِهَا" قَالَ: ثُمَّ مَسَحَ رَأْسِي، وَقَالَ: "اللَّهُمَّ أَشْبِعْ بَطْنَهُ"[3]

وعند الترمذي (١٢٨٨): فقال: "يا رافع، لِمَ تَرمي نخلَهم؟" قلت: يا رسول الله، الجُوعُ، قال: "لا تَرْمِ، وكُلْ ما وقع، أشْبَعك الله وأرواك"

---

[1] صحيح مسلم: ٧٨ – (٣٤١)

[2] البخاري: (٥٣٧٦، ٥٣٧٧)، ومسلم: ١٠٨، ١٠٩ – (٢٠٢٢)، وأحمد (١٦٣٣٠)

[3] سنن ابن ماجه (٣/ ٣٩٨) وحسنه الأرنؤوط، وانظر: مسند أحمد (٢٠٣٤٣)

وعلى الدرب سار الصحابة ﷺ في (تربية الأطفال على تعظيم الحرمات)؛ فعن سِنَان بْن سَلَمَةَ، قَالَ: كُنْتُ فِي غِلْمَةٍ بِالْمَدِينَةِ تَلْتَقِطُ الْبَلَحَ فَأَبْصَرَنَا عُمَرَ ﷺ وَسَعَى الْغِلْمَانُ وَقُمْتُ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا هُوَ مَا أَلْقَتِ الرِّيحُ، قَالَ: «أَرِنِي أَنْظُرْ» فَلَمَّا أَرَيْتُهُ قَالَ: «انْطَلِقْ» قَالَ: قُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِّ هَؤُلَاءِ الْغِلْمَانَ إِنَّكَ لَوْ تَوَارَيْتَ انْتَزَعُوا مَا مَعِي قَالَ: فَمَشَى مَعِي حَتَّى بَلَغْتُ مَأْمَنِي[1].

☒ (٥) فِعل ما لا يحل وما يعتبر نقصاً في تعظيم الحرمات والحدود:

أَخَذَ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ﷺ، تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) (بِالفَارِسِيَّةِ): «كِخْ كِخْ، (ارْمِ بِهَا)» لِيَطْرَحَهَا، ثُمَّ قَالَ: «أَمَا شَعَرْتَ (وفي رواية: أَمَا تَعْرِفُ) أَنَّا لاَ نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ»، وفي رواية: فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ)، فَأَخْرَجَهَا مِنْ فِيهِ، فَقَالَ: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ آلَ مُحَمَّدٍ (ﷺ) لاَ يَأْكُلُونَ الصَّدَقَةَ»[2]

وفي مسند أحمد (١٧٢٣) عَنْ أَبِي الْحَوْرَاءِ السَّعْدِيِّ، قَالَ: قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ﷺ: مَا تَذْكُرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)؟ قَالَ: أَذْكُرُ أَنِّي أَخَذْتُ تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَأَلْقَيْتُهَا فِي فَمِي، فَانْتَزَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) بِلُعَابِهَا، فَأَلْقَاهَا فِي التَّمْرِ. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مَا عَلَيْكَ لَوْ أَكَلَ هَذِهِ التَّمْرَةَ؟ قَالَ: "إِنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ"

عَنْ أَبِي الْحَوْرَاءِ أيضاً، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ حَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ﷺ، فَسُئِلَ مَا عَقَلْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) - أَوْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)؟ قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَهُ، فَمَرَّ عَلَى جَرِينٍ مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَأَخَذْتُ تَمْرَةً، فَأَلْقَيْتُهَا فِي فِيَّ، فَأَخَذَهَا بِلُعَابِي، فَقَالَ: بَعْضُ الْقَوْمِ وَمَا عَلَيْكَ لَوْ تَرَكْتَهَا؟ قَالَ: "إِنَّا آلَ مُحَمَّدٍ لَا تَحِلُّ لَنَا الصَّدَقَةُ" قَالَ: وَعَقَلْتُ مِنْهُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْس[3].

---

[1] النفقة على العيال لابن أبي الدنيا (١/ ٤١٨)

[2] رواه البخاري (١٤٨٥، ١٤٩١، ٣٠٧٢)، ومسلم: ١٦١ - (١٠٦٩)

[3] مسند أحمد (١٧٢٥)، وصححه شاكر والأرنؤوط

وفي مسند أحمد أيضاً (١٧٢٤، ١٧٣١) عن رَبِيعَةَ بْنِ شَيْبَانَ، أَنَّهُ قَالَ لِلحَسَنِ ﵄: **مَا تَذْكُرُ** مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)؟ (وفي رواية: **مَا تَعْقِلُ** عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)؟) قَالَ: أَدْخَلَنِي غُرْفَةَ الصَّدَقَةِ، فَأَخَذْتُ مِنْهَا تَمْرَةً، فَأَلْقَيْتُهَا فِي فَمِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): "أَلْقِهَا، فَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِرَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، وَلا لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ"

ولا يفوتنا هنا أن ننبه إلى أن **تعظيم الحرمات**، ومراعاة حدود الله، والمنع من المحرمات، **مما ينبغي أن يتعلمه الطفل مبكراً**، ويُدَرَّب عليه، ولا مجال هنا للتعلل بصغر السن.

فلابد أن يسير **تعظيم الشعائر** (وأعظمها الصلاة)، جنباً إلى جنب مع **تعظيم الحرمات**؛ لأن كل واحدٍ منهما ضروري لاستقامة الآخر.

والصلاة من الشعائر التي لو عظمناها (قلبياً وقولياً وعملياً)، **فستعيننا على تعظيم الشعائر الأخرى، بل وتعظيم المحرمات**، لما فيها من التصبر والتأدب **والانضباط** مع قدر كبير من التحكم في الذات.

(٦) الميل إلى الجنس الآخر:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄، عَنْ أَخِيهِ الْفَضْلِ ﵄، قَالَ: " كُنْتُ رَدِيفَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) مِنْ جَمْعٍ إِلَى مِنًى، فَبَيْنَا هُوَ يَسِيرُ إِذْ عَرَضَ لَهُ أَعْرَابِيٌّ مُرْدِفًا ابْنَةً لَهُ جَمِيلَةً، وَكَانَ يُسَايِرُهُ، قَالَ: فَكُنْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهَا، فَنَظَرَ إِلَيَّ النَّبِيُّ (ﷺ)، **فَقَلَبَ وَجْهِي عَنْ وَجْهِهَا**، ثُمَّ أَعَدْتُ النَّظَرَ، **فَقَلَبَ وَجْهِي عَنْ وَجْهِهَا** حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ ثَلاثًا، وَأَنَا لَا أَنْتَهِي، فَلَمْ يَزَلْ يُلَبِّي حَتَّى رَمَى جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ"[١]

وفي رواية في مسند أحمد (٣٠٤٢) وصححها شاكر، أن النبي (ﷺ) قال له: "ابْنَ أَخِي، إِنَّ هَذَا يَوْمٌ **مَنْ مَلَكَ فِيهِ سَمْعَهُ، وَبَصَرَهُ، وَلِسَانَهُ، غُفِرَ لَهُ**"

[١] مسند أحمد (١٨٠٥) وصححه الأرنؤوط

وفي رواية أخرى في مسند أحمد (٣٠٤٢) وصححها شاكر أيضاً، أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) رَأَى الْفَضْلَ بْنَ عَبَّاسٍ يُلَاحِظُ امْرَأَةً عَشِيَّةَ عَرَفَةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) هَكَذَا بِيَدِهِ عَلَى عَيْنِ الْغُلَامِ، قَالَ: "إِنَّ هَذَا يَوْمٌ مَنْ حَفِظَ فِيهِ بَصَرَهُ وَلِسَانَهُ غُفِرَ لَهُ"

ولَمَّا قَالَ الْعَبَّاسُ رضي الله عنه: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي رَأَيْتُكَ تَصْرِفُ وَجْهَ ابْنِ أَخِيكَ؟ قَالَ: "إِنِّي رَأَيْتُ غُلَامًا شَابًّا، وَجَارِيَةً شَابَّةً، فَخَشِيتُ عَلَيْهِمَا الشَّيْطَانَ"[1]

☒ (٧) الغفلة عما ينبغي من الانضباط والمراعاة لحرمة المكان والزمان:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جئت أنا والفضل على أتان لنا ورسول الله (ﷺ) يصلي بالناس بعرفة، ثم ذكر كلمة معناها: فمررنا على بعض الصف، فنزلنا، وتركناها ترتع، فلم يقل لنا رسول الله (ﷺ) شيئا[2].

☒ (٨) تجاوز الحدود في المباح، والوقوع في أخطاء عقدية:

عن خَالِدِ بْن ذَكْوَانَ، عَنِ الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ رضي الله عنها، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ (ﷺ) غَدَاةَ بُنِيَ عَلَيَّ، فَجَلَسَ عَلَى فِرَاشِي كَمَجْلِسِكَ مِنِّي، وَجُوَيْرِيَاتٌ يَضْرِبْنَ بِالدُّفِّ، يَنْدُبْنَ مَنْ قُتِلَ مِنْ آبَائِهِنَّ يَوْمَ بَدْرٍ، حَتَّى قَالَتْ جَارِيَةٌ: وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): «لاَ تَقُولِي هَكَذَا، وَقُولِي مَا كُنْتِ تَقُولِينَ»[3]

عَنْ أَبِي الْحُسَيْنِ خالدٍ الْمَدَنِيُّ، قَالَ: كُنَّا بِالْمَدِينَةِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَالْجَوَارِي يَضْرِبْنَ بِالدُّفِّ، وَيَتَغَنَّيْنَ، فَدَخَلْنَا عَلَى الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ، فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهَا، فَقَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) صَبِيحَةَ عُرْسِي، وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ يَتَغَنَّيَانِ، وَتَنْدُبَانِ آبَائِي الَّذِينَ قُتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ، وَتَقُولَانِ، فِيمَا تَقُولَانِ: وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ، فَقَالَ: "أَمَّا هَذَا فَلَا تَقُولُوهُ، مَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللَّهُ"[4]

---

[1] مسند أحمد (٥٦٤) وحسنه الأرنؤوط، وصححه شاكر

[2] سنن ابن ماجة (٩٤٧)، وصححه الألباني

[3] صحيح البخاري (٥/ ٨٢)

[4] سنن ابن ماجة (١٨٩٧)، وصححه الألباني

☒ (٩) الاعتداء على الغير، وخصوصاً الضعفاء:

قَالَتْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: "مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا"، وقَالَتْ: «مَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يُؤْتَى إِلَيْهِ قَطُّ، حَتَّى تُنْتَهَكَ حُرُمَاتُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمُ لِلَّهِ»[1]

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): "الْمَمْلُوكُ أَخُوكَ، فَإِذَا صَنَعَ لَكَ طَعَامًا، فَأَجْلِسْهُ مَعَكَ، فَإِنْ أَبَى فَأَطْعِمْهُ [فِي يَدِهِ]، وَلَا تَضْرِبُوا وُجُوهَهُمْ"[2]

وَقَالَ (ﷺ): "مَنْ ضَرَبَ عَبْدًا لَهُ حَدًّا لَمْ يَأْتِهِ، أَوْ لَطَمَهُ، فَإِنَّ كَفَّارَتَهُ أَنْ يُعْتِقَهُ"[3]

وعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي بِالسَّوْطِ، فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ خَلْفِي: "اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ"، فَلَمْ أَفْهَمِ الصَّوْتَ مِنَ الْغَضَبِ، فَلَمَّا دَنَا مِنِّي، إِذَا هُوَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) فَإِذَا هُوَ يَقُولُ: "اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ"، فَسَقَطَ السَّوْطُ مِنْ يَدِي مِنْ هَيْبَتِهِ، فَقَالَ: "اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ أَنَّ اللهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ"، فَقُلْتُ: هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ، فَقَالَ: "أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ، لَمَسَّتْكَ النَّارُ"، فَحَلَفْتُ أَنْ لَا أَضْرِبَ مَمْلُوكًا أَبَدًا[4].

وعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ سُوَيْدِ بْنِ مُقَرِّنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: لَطَمْتُ مَوْلًى لَنَا، فَهَرَبْتُ، ثُمَّ جِئْتُ قُبَيْلَ الظُّهْرِ فَصَلَّيْتُ خَلْفَ أَبِي فَدَعَاهُ وَدَعَانِي، ثُمَّ قَالَ: امْتَثِلْ مِنْهُ، فَعَفَا، ثُمَّ قَالَ أَبِي: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الصُّورَةَ مُحَرَّمَةٌ؟ لَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مِنْ بَنِي مُقَرِّنٍ مَا لَنَا خَادِمٌ إِلَّا وَاحِدَةٌ، لَطَمَهَا أَصْغَرُنَا، فَأَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ (ﷺ) أَنْ نُعْتِقَهَا". قَالُوا: لَيْسَ لَهُمْ خَادِمٌ غَيْرُهَا، قَالَ: "فَلْيَسْتَخْدِمُوهَا، فَإِذَا اسْتَغْنَوْا عَنْهَا، فَلْيُخَلُّوا سَبِيلَهَا"[5]

---

[1] انظر بالترتيب: صحيح مسلم: ٧٩ - (٢٣٢٨)، صحيح البخاري (٦٧٨٦)

[2] مسند أحمد (١٠٥٧٤)، وحسنه الأرناؤوط، وانظر: الصَّحِيحَة (٢٥٢٧)

[3] صحيح مسلم: ٣٠ - (١٦٥٧)

[4] صحيح مسلم: ٣٤ - (١٦٥٩)

[5] صحيح مسلم: ٣١ - (١٦٥٨)، ٣٢ - (١٦٥٨)

وجاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ (ﷺ) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمْ أَعْفُو عَنِ الْخَادِمِ؟ ... فَقَالَ: "كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً"[1]، والمراد الكثرة لا العدد تحديداً.

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَجُلًا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي خَادِمًا يُسِيءُ وَيَظْلِمُ أَفَأَضْرِبُهُ؟ قَالَ: "تَعْفُو عَنْهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً"[2]

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَعَدَ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ (ﷺ) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِي مَمْلُوكِينَ يَكْذِبُونَنِي، وَيَخُونُونَنِي، وَيَعْصُونَنِي، وَأَشْتُمُهُمْ، وَأَضْرِبُهُمْ، فَكَيْفَ أَنَا مِنْهُمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): "يُحْسَبُ مَا خَانُوكَ وَعَصَوْكَ وَكَذَبُوكَ، وَعِقَابُكَ إِيَّاهُمْ، فَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِمْ، كَانَ كَفَافًا، لَا لَكَ وَلَا عَلَيْكَ، وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ دُونَ ذُنُوبِهِمْ، كَانَ فَضْلًا لَكَ، وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ فَوْقَ ذُنُوبِهِمْ، اقْتُصَّ لَهُمْ مِنْكَ الْفَضْلُ"، قَالَتْ: فَتَنَحَّى الرَّجُلُ فَجَعَلَ يَبْكِي وَيَهْتِفُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): "أَمَا تَقْرَأُ كِتَابَ اللهِ: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا، وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ؟}"، فَقَالَ الرَّجُلُ: وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَجِدُ لِي وَلِهَؤُلَاءِ شَيْئًا خَيْرًا مِنْ مُفَارَقَتِهِمْ، أُشْهِدُكُمْ أَنَّهُمْ أَحْرَارٌ كُلُّهُمْ[3].

أعطى (ﷺ) عَلِيّاً رضي الله عنه غلاماً، وقَالَ: "خُذْ هَذَا وَلَا تَضْرِبْهُ، فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُهُ يُصَلِّي مَقْبَلَنَا مِنْ خَيْبَرَ، وَإِنِّي قَدْ نَهَيْتُ عَنْ ضَرْبِ أَهْلِ الصَلَاةِ"، وَأَعْطَى أَبَا ذَرٍّ رضي الله عنه غلاماً آخر، فَقَالَ: "اسْتَوْصِ بِهِ خَيْرًا"، ثُمَّ قَالَ: "يَا أَبَا ذَرٍّ، مَا فَعَلَ الْغُلَامُ الَّذِي أَعْطَيْتُكَ؟"، قَالَ: أَمَرْتَنِي أَنْ أَسْتَوْصِيَ بِهِ خَيْرًا، فَأَعْتَقْتُهُ[4].

---

[1] رواه الترمذي (١٩٤٩)، وصححه الألباني، قال في تحفة الأحوذي (١٨٠/٥): "والمراد ... الكثرة دون التحديد".

[2] مسند أحمد (٥٦٣٥)، وصححه الأرنؤوط

[3] رواه الترمذي (٣١٦٥)، وأحمد (٢٦٤٤٤)، وانظر: صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب (٢٢٩٠)

[4] مسند أحمد (٢٢٢٨١)، وانظر: صَحِيح الْجَامِع (٨٦٠)، الصَّحِيحَة (١٤٢٨، ٢٣٧٩)

☒ (١٠) إيذاء الحيوانات:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﵄ قَالَ: كَانَ أَحَبَّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) لِحَاجَتِهِ هَدَفٌ (أي: بناء مُرْتفع) أَوْ حَائِشُ نَخْلٍ، فَدَخَلَ يَوْمًا حَائِطًا (أي: بستان) لِرَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ، فَإِذَا جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ (ﷺ) حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَأَتَاهُ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) فَمَسَحَ سَرَاتَهُ (أي: أعلى ظهره) وَذِفْرَاهُ (أي: مُؤَخِّر رَأسه) فَسَكَنَ، فَقَالَ: "مَنْ صَاحِبُ هَذَا الْجَمَلِ؟ لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟"، فَجَاءَ فَتًى مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: "**أَلَا تَتَّقِي اللهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللهُ إِيَّاهَا؟** فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ (أي: تُجهده)"[1]

وأعطى النبي (ﷺ) عائشة ﵂ بَعِيرًا صَعْبًا، لَمْ يُرْكَبْ عَلَيْهِ، قالت: "فَجَعَلْتُ أَضْرِبُهُ، فَقَالَ لِي رَسُول اللهِ (ﷺ): "يَا عَائِشَةُ، **ارْفُقِي بِهِ**، فَإِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ"[2]

عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﵄: أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، وَغُلَامٌ مِنْ بَنِي يَحْيَى رَابِطٌ دَجَاجَةً يَرْمِيهَا، فَمَشَى إِلَيْهَا ابْنُ عُمَرَ حَتَّى حَلَّهَا، ثُمَّ أَقْبَلَ بِهَا وَبِالْغُلَامِ مَعَهُ فَقَالَ: **ازْجُرُوا غُلَامَكُمْ عَنْ أَنْ يَصْبِرَ هَذَا الطَّيْرَ لِلْقَتْلِ**، فَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ (ﷺ) «نَهَى أَنْ تُصْبَرَ بَهِيمَةٌ أَوْ غَيْرُهَا لِلْقَتْلِ»[3]

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عُمَرَ ﵄ فَمَرَرْنَا بِفِتْيَةٍ نَصَبُوا دَجَاجَةً يَرْمُونَهَا، فَلَمَّا رَأَوْا ابْنَ عُمَرَ تَفَرَّقُوا عَنْهَا، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: **مَنْ فَعَلَ هَذَا؟** إِنَّ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) **لَعَنَ مَنْ اتَّخَذَ شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا** (أَيْ: هَدَفًا لِلرَّمْي)(وفي رواية: لَعَنَ النَّبِيُّ ﷺ **مَنْ مَثَّلَ بِالحَيَوَانِ**)[4].

---

[1] رواه مسلم (٣٤٢)، وأبي داوود (٢٥٤٩)، وأحمد (١٧٤٧)، وانظر: الصحيحة (٢٠)

[2] صحيح مسلم: ٧٨ - (٢٥٩٤)، مسند أحمد (٢٤٩٨٢)

[3] صحيح البخاري (٥٥١٤)

[4] متفق عليه: صحيح البخاري (٥١٩٦، ٥٥١٥)، وصحيح مسلم: ٥٩ - (١٩٥٨)

الاستراحة الرابعة: عيوبنا التي فيهم

(١)

من الأمور المُستقرة شرعياً وعلمياً وعُرفياً قضية (الوراثة والتوريث)؛ فالأبناء يرثون الآباء في كثيرٍ من صفاتهم وأخلاقهم.

وهناك مساحة مشتركة كبيرة بين الأبناء والآباء من الناحية الخَلْقية والخُلُقية، وتتفاوت نسبة تلك (المساحة من التشابه) من مثال لآخر؛ لكنها لا تغيب إلى القدر الذي يمكن معه إنكار وجودها.

فمسألة التشابه بين الآباء والأبناء على المستوى العلمي، ليست فقط مرتبطة بظروف النشأة أو (العوامل البيئية)، وإنما ترتبط كذلك بعوامل (جينية وراثية).

ففي صحيح البخاري (١٣٢/٤) أن عبد الله بن سلام سأل النبي (ﷺ): "وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ الوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ إِلَى أَخْوَالِهِ؟"[١].

فقال (ﷺ): "وَأَمَّا الشَّبَهُ فِي الوَلَدِ: فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَشِيَ المَرْأَةَ فَسَبَقَهَا مَاؤُهُ كَانَ الشَّبَهُ لَهُ، وَإِذَا سَبَقَ مَاؤُهَا كَانَ الشَّبَهُ لَهَا"

وفي صحيح البخاري (١٣٢/٤) عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقِّ فَهَلْ عَلَى المَرْأَةِ الغَسْلُ إِذَا احْتَلَمَتْ؟

قَالَ: «نَعَمْ، إِذَا رَأَتِ المَاءَ»، فَضَحِكَتْ أُمُّ سَلَمَةَ، فَقَالَتْ: تَحْتَلِمُ المَرْأَةُ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «فَبِمَ يُشْبِهُ الوَلَدُ».

وفي صحيح ابن حبان (٦٣/١٤) وصححه الألباني: «مَاءُ الرَّجُلِ غَلِيظٌ أَبْيَضُ، وَمَاءُ الْمَرْأَةِ رَقِيقٌ أَصْفَرُ، فَأَيُّهُمَا سَبَقَ كَانَ الشَّبَهُ»

[١] وفي مسند أحمد ط الرسالة (١٩/ ١١٤) "وَمِنْ أَيْنَ يُشْبِهُ الْوَلَدُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ؟"

وفي صحيح مسلم (١١٣٧/٢)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي فَزَارَةَ إِلَى النَّبِيِّ (ﷺ)، فَقَالَ: إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلَامًا أَسْوَدَ.

فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): «هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟» قَالَ: نَعَمْ،

قَالَ: «فَمَا أَلْوَانُهَا؟» قَالَ: حُمْرٌ.

قَالَ: «هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ (الذي فيه سواد ليس بصاف)؟» قَالَ: إِنَّ فِيهَا لَوُرْقًا.

قَالَ: «فَأَنَّى أَتَاهَا ذَلِكَ؟» قَالَ: عَسَى أَنْ يَكُونَ نَزَعَهُ عِرْقٌ (المراد بالعرق هنا الأصل من النسب تشبيها بعرق الثمرة)، قَالَ: «وَهَذَا عَسَى أَنْ يَكُونَ نَزَعَهُ عِرْقٌ».

إن للنبي (ﷺ) أسلوباً رائعاً في تقرير المسائل، وفي الإقناع بها، انظر لفهمه العميق لما يحمله!

وانظر لقدرته (ﷺ) على استعمال مكونات البيئة في شرحه وتوضيحه! وانظر لقدرته على نزع الشبهات بطريقة حوارية منطقية لطيفة!

(٢)

ولو تشابهت ظروف نشأة الأبناء مع ظروف نشأة الآباء، فإن فرصة زيادة المساحة المشتركة في الصفات بينهم ستزداد جداً، وخصوصاً لو حاول الآباء تنشئة الأبناء كما نشأوا هم، وهو ما يحصل في الغالب فعلاً.

في الحديث: "كُلُّ نَسَمَةٍ تُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ حَتَّى يُعْرِبَ عَنْهَا لِسَانُهَا، فَأَبَوَاهَا يُهَوِّدَانِهَا وَيُنَصِّرَانِهَا"[١]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): "مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى هَذِهِ الْفِطْرَةِ (وفي رواية: إِلَّا يُولَدُ عَلَى هَذِهِ الْمِلَّةِ)، حَتَّى يُبَيِّنَ عَنْهُ لِسَانُهُ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، أَوْ يُشَرِّكَانِهِ، فَإِنْ كَانَا مُسْلِمَيْنِ، فَمُسْلِمٌ.

---

[١] رواه أحمد (١٥٦٢٦، ١٥٦٢٧)، انظر: صَحِيح الْجَامِع (٥٥٧١)، والصَّحِيحَة (٤٠٢)

كَمَا تُنْتِجُ (أي: تَلِد) الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ (أي: الَّتِي لَمْ يَذْهَبْ مِنْ بَدَنِهَا شَيْءٌ)، هَلْ تَجِدُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ (أي: الْمَقْطُوعَة الأُذُن)؟ **حَتَّى تَكُونُوا أَنْتُمْ تَجْدَعُونَهَا**"

قَالَ أَبُو هُرَيْرَة: وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ {فِطْرَةَ اللهِ **الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**، لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ}، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَرَأَيْتَ مَنْ يَمُوتُ وَهُوَ صَغِيرٌ؟ قَالَ: "**اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ**"[١].

قَالَ اِبْن الْقَيِّم: "لَيْسَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ (يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَة) **أَنَّهُ خَرَجَ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ يَعْلَمُ الدِّينَ**، لِأَنَّ اللهَ يَقُول: {وَالله أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُون أُمَّهَاتكُمْ **لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا**} ... وَإِنَّمَا الْمُرَادُ أَنَّ **كُلَّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى إِقْرَاره بِالرُّبُوبِيَّةِ، فَلَوْ خُلِّيَ، وَعَدَم الْمُعَارِض، لَمْ يَعْدِلْ عَنْ ذَلِكَ إِلَى غَيْره**، كَمَا أَنَّهُ يُولَدُ عَلَى مَحَبَّةِ مَا يُلَائِمُ بَدَنَه، مِنْ اِرْتِضَاع اللَّبَن، حَتَّى يَصْرِفَهُ عَنْهُ الصَّارِف، وَمِنْ ثَمَّ شُبِّهَتْ الْفِطْرَةُ بِاللَّبَنِ، بَلْ كَانَتْ إِيَّاهُ فِي تَأْوِيل الرُّؤْيَا، وَالله أَعْلَم.

وَقِيلَ: إِنَّ الْمُرَاد بِالْفِطْرَةِ: **الْخِلْقَة، أَيْ: يُولَدُ سَالِمًا**، لَا يَعْرِفُ كُفْرًا وَلَا إِيمَانًا، ثُمَّ **يَعْتَقِدُ إِذَا بَلَغَ التَّكْلِيفَ**، وَرَجَّحَهُ اِبْن عَبْد الْبَرّ، وَقَالَ: إِنَّهُ يُطَابِقُ التَّمْثِيلَ بِالْبَهِيمَةِ وَلَا يُخَالِفُ حَدِيثَ عِيَاض، لِأَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: **{حَنِيفًا}، أَيْ: عَلَى اِسْتِقَامَة**. وَتُعُقِّبَ بِأَنَّهُ **لَوْ كَانَ كَذَلِكَ، لَمْ يَكُنْ لِاسْتِشْهَادِ أَبِي هُرَيْرَةَ بِالْآيَةِ مَعْنًى**"[٢]

وَعَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): "قَالَ اللهُ تَعَالَى: كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ (أي: أعطيته عن طيب نفس بدون عِوَض) عَبْدًا حَلَالٌ، **وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ [فَأَضَلَّتْهُمْ]** عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا"[٣]

---

[١] البخاري (١٢٩٢، ٦٢٢٦)، مسلم: ٢٢، ٢٣، ٢٤ - (٢٦٥٨)، الترمذي (٢١٣٨)، أحمد (٧٤٣٨).

[٢] شفاء العليل (ص: ٢٨٩)، فتح الباري لابن حجر (٤/٤٦٥).

[٣] صحيح مسلم (٢٨٦٥)، ومسند أحمد (١٧٥١٩)

(٣)

وليست المشكلة في توريث المميزات والصفات الجيدة، إنما المشكلة في توريث العيوب والصفات السيئة.

وقد يغفل كثيرٌ من الآباء عن أن عيوبهم التي يعانون منها، لا يمكن الجزم أن أبناءهم سيكونون في مأمن منها ومعزل عنها؛ لأنها وإن لم تكن واضحةً في شخصياتهم الآن، لكن هناك احتمالية كبيرة في أن تظهر بعد ذلك.

ولذلك فما أريد الحديث عنه هنا، أننا ينبغي أن ننتبه إلى عيوبنا، وأن نستفرغ وسعنا في وقاية أبنائنا وتحصينهم منها، حتى وإن لم نكن نراها فيهم الآن؛ لأن العوامل الجينية والبيئية تشير إلى أنهم قد يرثوا منا تلك العيوب دون أن نشعر نحن بذلك، أو يشعروا هم به.

نحن للأسف ننشغل فقط بتوريثهم ما لدينا من المميزات، ونغفل عن عملية (توريث العيوب) التي نمارسها معهم ونحن لا نشعر.

نغفل عن إيقاف مَدِّ العيوب الهادر، وتسديد الرؤية وتجلية البصائر، ونرى أن الأهم أن ننشغل بتوريثهم المفاخر، وحملهم على المآثر.

وتلك الغفلة عن (توريث العيوب) وإيقاف سريانها في الأجيال المتلاحقة قد تكون انعكاساً للفهم القاصر لدور الآباء على أنه عملية (تربية)، والغفلة عن أن دورهم الأكمل هو (التزكية)؛ حيث يحتل (التطوير والتنمية) المساحة الأكبر من مفهوم (التربية) مع بعض (التطهير والتصفية)، بينما يحتل (التطهير والتصفية) المساحة الأكبر من مفهوم (التزكية) مع قدرٍ كافٍ من (التطوير والتنمية).

بل بعض الآباء يرى أنه مسؤول فقط عن تطهير أبنائه مما يُضِر بالأبدان، ويرى أنه لو كان لديه متسع فسينشغل بتطهيرهم مما يهدد الوجدان والإيمان.

ومن الوسائل المعينة على مكافحة ظاهرة (توريث العيوب) بعد الإخلاص لله في ذلك، وصدق الاستعانة به سبحانه:

أولاً: التعرف على العيوب والتحديد الدقيق لها؛ ويساعد في ذلك كثرة عرض النفس على القرآن مع التقييم الصادق للنفس وتفقد مواطن الخلل فيها، ويساعد أيضاً جلسات المحاسبة والمفاتشة الصادقة مع النفس، ومما يفيد جداً الاستعانة بمَن حولك من الصالحين الحكماء في التعرف على عيوبك؛ لأنهم بمثابة (المرايا) التي تنبهك لما قد لا تراه أو تعرفه من عيوبك.

ثانياً: التعرف على العواقب السيئة لتلك العيوب وآثارها المُدَمِّرة؛ لتدرك أنت خطورتها، وتتوفر لديك مادة تعينك على تقبيحها في عين أبناءك وتنفيرهم منها.

ثالثاً: الاعتراف بعيبك هذا أمام أبناءك (إن كان مما يظهر لهم)، مع التأكيد على عدم رضاك عنه، ومجاهدتك لنفسك في التخلص منه.

فمما يتسبب في توريث العيوب؛ أن الكثير من الآباء يكون مثلاً سريع الغضب، ويظهر هذا العيب منه أمام أبنائه، فلا ينبههم على أن ذلك عيب؛ فيتصور الأبناء دون أن يتحدث الآباء أن هذا هو السلوك الأمثل، أو أنه سلوك عادي.

بل ربما حاول بعض الآباء تبرير سلوكه وشرعنته أمام أبنائه، توهماً منه أن ذلك أدعى للحفاظ على مكانته في عيونهم، ولا ينتبه إلى أنه آثر نفسه وشخصه على ترسيخ الحق في نفوسهم.

والأسوأ من كل ذلك أن يكون ممن ينتسب للدين، ويحاول استعمال الدين في شرعنة عيوبه، ويلوي أعناق النصوص، ويؤولها لينتصر لنفسه، غير مكترث بأنه يتقول على الله، وغير منتبه لِما يُحْدِثه من تشويه لصورة الدين في عيون أبنائه، ولِما يتسبب فيه من إخراج نماذج على شاكلته للأمة.

لا تتوهم أن اعترافك بعيبك، أو اعتذارك عن خطئك - لاسيما لو كانت ضحيته أحد أبنائك – سينقص من قدرك، أو يحط من مكانتك، بالعكس سيزداد احترامهم وتعظيمهم لك، وستساعدهم على أن يكونوا أسوياء نفسياً وسلوكياً.

لأنك ستعلمهم عملياً أن إهمال إصلاح الخطأ وتبريره أكبر من الخطأ نفسه، وأن المشكلة الأكبر ليست أن نخطىء، المشكلة الأكبر ألا نسعى في إصلاح نتيجة أخطائنا، والتطهر من عيوبنا.

أبناؤنا يتفهمون أننا لسنا ملائكة، وأن الخطأ وارد، لكنهم لا يتقبلون مناضلتنا لمحاولة إظهار أنفسنا كملائكة؛ لأنهم يفهمون أن ذلك تبرير، وقد يراه بعضهم من التزوير، بل قد يفقد بعضهم الثقة فينا، ويعتبرون سلوكنا نوع من الخداع والتغرير.

رابعاً: اهتبال كل الفرص المتاحة لتقبيح ذلك العيب في عين أبناءك، وتنفيرهم منه، ومساعدتهم على التحصن منه.

خامساً: وهو الأهم، أن يرى أبناؤك منك صدقاً أنك تجاهد نفسك في التزكي من عيبك، ولابأس أن تتفق معهم على مساعدتك في ذلك، وتذكيرك لو غفلت.

الاستراحة الخامسة: لوازم التعليم والتقويم

مما يُشير إليه تقديم الأمر والتعليم، وتأخير الضرب والتقويم، أننا لا ينبغي أن نسرع إلى المعاقبة قبل المرور بالتأليف والمصاحبة، والترفق والملاعبة، والتعاهد والمراقبة، وبعدها ندخل في التفتيش والمحاسبة، فالتبيين والمعاتبة، فالتعنيف والمغاضبة، فالتباعد والمجانبة وفي الأخير يكون التهذيب والمعاقبة. ويعقب كل ذلك التحاور والمخاطبة، والتسديد والمقاربة.

وبعيداً عن الحديث عن تفاصيل (التعليم)، وتفاصيل (التقويم)، فإننا هنا نحاول تسليط الضوء على بعض (اللوازم والمقتضيات) التي من شأنها أن تضمن لعمليتي التعليم والتقويم السير في المسار السليم على المنهاج القويم.

ويمكننا تقسيم تلك (اللوازم) إلى ثلاث مجموعات: الأولى منها تعليمية محضة (التأليف والمصاحبة - الترفق والملاعبة - التفريد والمُناسبة - التقدير والمواكبة - التعاهد والمراقبة)، والثانية منها تقويمية محضة (التفتيش والمحاسبة - التبيين والمعاتبة - التهديد والمغاضبة - التباعد والمجانبة - التهذيب والمعاقبة)، والثالثة تتميمية (التعليق والمخاطبة - التسديد والمقاربة).

ورغم أن الحديث عن تلك اللوازم لا يخلو من جانب مفاهيمي تأصيلي، لكن التركيز كان بالأساس عن الجانب المهاري التفعيلي.

والحديث هنا بمثابة تنبيهات عن ممارسات من شأنها أن تكون ضمانات لأن تكون عملية التعليم والتقويم على المنهاج السليم والصراط المستقيم.

وتلك اللوازم تتجاوز في - فعاليتها وصلاحيتها - ميادين النُسك والصلاة إلى ما يخص التعليم والتقويم في أي جانب من جوانب الحياة.

أولاً: التأليف والمصاحبة.

الطفل بطبيعته إذا أَلِف إنساناً وأحبه، فإنه **يطيعه ويتجاوب معه بسهولة.** وكثيراً ما نتعجل ونُهْمِل في إعطاء مرحلة (التأليف) هذه حقها، **ونتجاوزها مباشرة إلى (التكليف).**

ولقد أوصانا رسول الله (ﷺ) بتأليف القلوب، فقال: "الْمُؤْمِنُ **يَأْلَفُ وَيُؤْلَفُ،** وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ"[1]، وقالَ أيضاً: "أَكْمَلُ النَّاسِ إِيمَانًا أَحَاسِنُهُمْ أَخْلاقًا، الْمُوطَّئُونَ أَكْنَافًا، **الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ،** وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ"[2]

ومن المُعين على ذلك التأليف: التهادي والاحترام، وكذلك إظهار الحرص والاهتمام، **وإشاعة المحبة والوئام**[3]، وإفشاء الأمان والسلام (قولياً وعملياً).

- قال (ﷺ): "**تَهادُوْا تَحابُّوا**"[4].
- وقال (ﷺ): "إذا أحبَّ أحدُكُمْ صاحبَهُ **فَلْيَأْتِه في منزِله، فَلْيُخْبِرْهُ** أَنَّهُ يحبُّهُ للهِ عزَّ وجل"[5]
- وقال (ﷺ): "إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فِي اللهِ، **فَلْيُعْلِمْهُ** (وفي رواية: فليبيّنْ له)، فَإِنَّهُ أَبْقَى (وفي رواية: خيرٌ) فِي الْأُلْفَةِ، وَأَثْبَتُ (وفي رواية: وأبقى) فِي الْمَوَدَّةِ"[6].
- وقال (ﷺ): "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، **أَفَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**"[7]، ولا يقتصر إفشاء السلام على الأقوال، وإنما يتضمن أيضا الأعمال والأحوال.

---

[1] رواه أحمد (٩١٨٧)، وحسنه الأرنؤوط، وانظر: الصَّحِيحَة (٤٢٦)

[2] رواه الطبراني في الصغير (٦٠٥)، وانظر: الصَّحِيحَة (٧٥١)

[3] راجع: الاستراحة الأولى (إشاعة الحب)، والثانية (بث الأشواق) في هذا الكتاب

[4] الأدب المفرد (٥٩٤)، وحسنه الألباني في الإرواء (١٦٠١)

[5] السلسلة الصحيحة (٧٩٧)

[6] ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان (ص: ١٢٠)، وانظر: صحيح الجامع (٢٨٠)، الصحيحة (١١٩٩)

[7] صحيح مسلم (٥٤)، سنن الترمذي (٢٦٨٨).

تَعَرَّفُوا عليهم قَبْلَ أن تُعَرِّفُوهُم:

وتجدر الإشارة إلى أن ذلك التأليف وتلك المصاحبة، لابد أن يشتملا على أكبر قدر من التعرف على الطفل؛ للتمكن من مفاتيح شخصيته.

فلو أنهم أوكلوا لإنسانٍ مهمة (استعمال آلةٍ ما) لإنجاز مشروعٍ مِن خلالها؛ فإنه يكون حريصاً للغاية على أن يتعرف جيداً على كل خصائص تلك الآلة؛ حتى يتمكن من استعمالها في القيام بمهمته على أكمل وجه.

لكننا للأسف الشديد، نجد بعض مَن يتصدى لتعليم الأطفال، وكلُ مؤهلاته (فقط) أنه يحفظ بعض المعلومات، أو يحمل بعض الإجازات، وأغلب معلوماته عن الأطفال ناشئة عن انطباعات شخصية، أو تصورات ذاتية، أو أوهام عرفية، أفرزتها بعض خبراته أو معلوماته عن التعامل مع الأطفال.

والطابع العام لتلك التصورات أنها تُهَوِّن مِن قدرات الطفل للغاية، وتعطيه قدراً أقل بكثير مما هو عليه؛ لذلك يستبعدون أن يؤدي الطفل أعمالاً تتطلب أنشطة عقلية معقدة، ولربما أنكروا على مَن يخبرهم أن الطفل يقدر على القيام بذلك واتهموه بالمبالغة.

ولذلك فإنني أسألك أيها الأخ الكريم وأتمنى أن تجيبني بكل صراحة: ما هو مصدر انطباعاتك وتصوراتك عن قدرات ومهارات الأطفال؟

وأرى أن أكمل المصادر التي نستقي منها معلوماتنا عن الأطفال وأشملها وأجملها هو الوحي الشريف (قرآناً وسُنَّة)، يليه الأبحاث الاستقرائية (الصحيحة) للمتخصصين، يليهما خبرات العاملين (الموثوقة) في ميادين تعليم الأطفال، فإذا توفرت للإنسان الثلاثة، سيكون أوفر الناس حظاً بمعرفة الأطفال.

ومما يُحزن للغاية أن نجد بعض الفضلاء يضع للأطفال برامج، ومناهج، ولم يتوفر له من تلك المصادر الثلاثة إلا النذر اليسير، أو توفر له مصدر وغابت عنه بقية المصادر.

فمثلاً: لو قلنا لأحد الفضلاء: (سنعلم طفلاً عمره أقل من عشر سنوات بعض مسائل القضاء والقدر)، لأنكر ذلك إنكاراً شديداً، ومستنده في إنكاره أن الطفل في هذا السن لا يستوعب مثل هذه المسائل.

لكننا نجد أن النبي (ﷺ) عَلَّم ابن عباس بعض مسائل القضاء والقدر وكان عمره دون العاشرة[1]، في الحديث المشهور: "يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ"، وفيه: "وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ"[2]

ولذا أرى أنه لا يحل (منهاجياً) لأحدٍ أن يتصدى لتعليم الأطفال وهو لم يتعرف عليهم جيداً؛ لأنه قد يفسد أكثر مما يصلح.

والمعرفة المطلوبة ليست تلك المعرفة السطحية، فالجميع يعرف الأطفال من هذه الزاوية، وإنما المطلوب المعرفة المساعدة في العملية التعليمية والبنائية.

وتلك المعرفة تساعدنا على فهم الكثير من التصرفات الصادرة من الأطفال، وتساعدنا على التعامل السليم معها بلا إفراط ولا تفريط، ولا تهويل ولا تهوين، ولا تضخيم ولا تقزيم.

كما تساعدنا تلك المعرفة على التواصل (التعليمي) المتميز مع الطفل، ومعرفة كيفية زيادة دافعيته، وكيفية تفجير طاقاته وقدراته وحسن استثمارها.

---

[1] في صحيح البخاري (٦/١٩٣)، قال ابن عباس: "توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين".

[2] رواه الترمذي (٢٥١٦)، وصححه الألباني.

دائما أقول: "داخل كل إنسان كبير، طفلٌ صغير"، ولذلك فإن من سينجح في فهم الطفل الصغير، وفي التعامل الجيد معه، وفي استثمار قدراته، سيكون من أنجح الناس في فهم البشر جميعاً والتعامل الجيد معهم واستثمار قدراتهم.

والمعلم على الحقيقة ليس ذاك الذي يقوم بتلقين المعلومات؛ وإنما هو الإنسان القادر على (حسن إدارة المتعلم)، فلديه مهارات ترغيب المتعلم وترهيبه وتحبيبه، ولديه قدرات تساعده على أن يستخرج أفضل ما فيه، ويعينه على تلافي مساويه.

لكل إنسان (مفاتيح)، لو تمكن المعلم من معرفتها، سيسهل عليه (إدارة المتعلم) وتوجيهه، وسيتمكن من معرفة الأوتار الصحيحة التي يحتاج للعزف عليها حين يرغب في تحبيبه أو ترغيبه أو ترهيبه، وسيتمكن من تحقيق المعادلة الصعبة (الرفق بلا ضعف، والحزم بلا عنف).

وإليك بعض الوسائل المساعدة:

- لابد أن يدرك المعلم أن (الأفعال والتصرفات)، إنما هي انعكاسٌ (للأفكار والتصورات)، وأن الذي يقوم (بإمداد) تلك التصورات مجموعة أشياء أبرزها (الخبرات والخلفيات والاجتهادات والانطباعات).
  - وأقصد (بالخبرات) المواقف المشابهة التي تعرض لها الإنسان سابقاً وتصرف فيها بتصرف معين (بصرف النظر عن سداد ذلك التصرف من عدمه).

  ويدخل فيها الخبرات الناشئة عن مطالعته لتصرفات المحيط الذي حوله مع أمور مشابهة لما يتعرض هو له الآن.
  - أما الخلفيات، فهي المخزون المعلوماتي للشخص والذي تم تكوينه من البيئة المحيطة.

وتعتبر **وسائل الإعلام** المختلفة هي مصدر الإمداد الأول، فكثير من تصرفاتنا إنما هي في الحقيقة عبارة عن تصرفات شاهدناها أو سمعناها في أفلام ومسلسلات أو قرأناها في صحف ومجلات.

- أما **الاجتهادات،** فتكون في مواقف ليس لديه فيها خبرات أو خلفيات، فيقوم **بالارتجال والاجتهاد (عقلياً)** في ضوء ما لديه من خبرات وخلفيات وقدرات عامة.
- أما **الانطباعات،** فهي تلك التصرفات التي لا تتوفر للشخص فيها خبرات أو خلفيات أيضاً، لكنه لا يتصرف فيها انطلاقاً من تفكير عقلي بِرَويَّة، بل **يندفع فيها طبقاً لانطباعات أو ميول قلبية.**

- أهم شيء في هذا الباب هو **الاطلاع الجيد على كيفية معاملة النبي** (ﷺ) **للأطفال؛** ومن المفيد في ذلك سلسلة محاضرات على قناة (بالوحي نحيا) على اليوتيوب ضمن برنامج (أطفالنا والقرآن)
- من المفيد أيضاً الاطلاع **(بحذر)** في باب علم نفس النمو وعلم النفس التعليمي؛ ففيهما فوائد كثيرة، وإن كنا **لا نرى صحة وموثوقية كل ما في هذا النوع من المصادر؛** لأنها **تخلط كثيراً بين الحقائق والنظريات.**

فالحقائق أمور علمية مُشاهَدَة لا يكاد يختلف عليها أهل الاختصاص والعمل في هذا الميدان، أما النظريات فهي عبارة عن تأويلات وتفسيرات للظواهر لا يخلو معظمها من تخمينات وتخرصات، وترتبط بخلفيات صاحبها الفكرية والمنهاجية.

- من المفيد جمع **خبرات العاملين في المجال التعليمي والتربوي للأطفال،** مع التركيز على **المشاهدات المتكررة التي تكاد تتواتر.**

ولابد أن نأخذ في اعتبارنا أن تلك الخبرات تحكمها كثير من **المُقيّدِات** التي لا تجعلها مقبولة كلياً، لكن يُسْتَأنس بها.

- من المفيد أيضاً جمع **بعض خبرات الحكماء المثقفين من الآباء والأمهات؛** لأنهم يتعاملون مع الطفل في **بيئات ومواقف متباينة** وأوسع كثيراً من تعاملات أي أحد معه، ولا يخفى طبعاً أن تلك الخبرات أيضاً تحكمها العديد من **المُقيّدِات**، وقد تكون إفراز **تهويل أو تهوين** أو تضخيم أو تقزيم.
- من المفيد أيضاً أن تكون للمعلم **احتكاكات بالأطفال خارج البيئة التعليمية** على أوسع نطاق ممكن؛ لأن تلك الاحتكاكات تمنحه من الخبرات ما يساعده على بلوغ مقصوده.
- من المفيد أيضاً - من خلال تجربتي - **الحوارات المفتوحة الحرة مع الأطفال؛** لأنهم سيتحدثون بأشياء قد لا تجدها في محاضرات أو عند من يزعمون أن لديهم خبرات، وهذه الوسيلة مفيدة جداً؛ لأن الأطفال إذا تكلموا بعيداً عن الضغط والتقييم فإن الصدق يكون هو الأغلب على حديثهم، لاسيما لو كانت هناك بيئة محفزة على الصدق والشفافية.
- لابد أن يكون للمعلم **(تدوينات) لما يتبدى له من (ملاحظات)؛** فالمعلم الجيد مُلاحِظ جيد (Good Teacher Is Good Observer)، لكن من المهم ألا يترتب على تلك (الملاحظات) أي (تصرفات) طالما لازالت في طور **(الانطباعات)**، ولم تتكرر وتتقرر بشكل يجعلها **(حقائق واضحات)**.
- وتجدر الإشارة إلى أن الأطفال لديهم **(سمات عامة)؛** لكن هناك **(سمات خاصة)** بكل طفل، وهذا اللون من **التباين** الكبير، يحتم على المعلم **تصنيف ما لديه من معلومات حول (سمات الأطفال)** إلى عام وخاص أو أصول وتفاصيل أو ثوابت ومتغيرات.

ثانياً: الترفق والملاعبة.

الطريقة التي يتم تقديم الأشياء بها، تؤثر ولاشك على منسوب الاستجابة لها، فتقديم الأشياء في جو من البهجة والترفق يجعلها أدعى للقبول.

وما لم يأتِ بالرفق، يصعب الإتيان به بالعنف، فقد قال (ﷺ) لِأُمِّنا عائشة رضي الله عنها: "عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ، فَإِنَّ اللهَ رَفِيقٌ، يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ، **وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ،** وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ، وَإِيَّاكِ وَالْعُنْفَ وَالْفُحْشَ، فَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ"[1]

وقال (ﷺ): "**إِنَّ اللهَ إِذَا أَرَادَ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا،** دَلَّهُمْ عَلَى بَابِ الرِّفْقِ"[2]

وقال (ﷺ): " مَا أُعْطِيَ أَهْلُ بَيْتِ الرِّفْقَ **إِلَّا نَفَعَهُمْ،** وَلَا مُنِعُوهُ **إِلَّا ضَرَّهُمْ**"[3]

وقال (ﷺ): "مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ، **يُحْرَمْ الْخَيْرَ كُلَّهُ**"[4]، وقال (ﷺ): "مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ الرِّفْقِ، **فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ الْخَيْرِ،** وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنْ الرِّفْقِ، **فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنْ الْخَيْرِ**"[5]

وقال (ﷺ): "فَإِنَّ الرِّفْقَ **لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ**"[6]

والملاعبة والممازحة أمر في غاية الأهمية، في كل ما يتعلق بالعملية التعليمية التقويمية؛ وذلك لأن اللعب **من حاجات الطفل النفسية بل والعقلية،** والتعليم المبني على اللعب والبهجة **من أنجع وسائل التعليم،** وسيرة النبي (ﷺ) حافلة بمواقف عديدة يسمح للأطفال فيها باللعب، ويشهد لعبهم بنفسه.

---

[1] صحيح البخاري (٥٦٨٣، ٦٥٢٨)، صحيح مسلم: ٧٧ - (٢٥٩٣)

[2] مسند أحمد (٢٤٧٧٨) وصححه الأرنؤوط، وانظر: الصحيحة (٥٢٣)

[3] رواه ابن عساكر (٣٨/١٢٣)، وانظر: صَحِيح الْجَامِع (٥٥٤١)، والصَّحِيحَة (٩٤٢)

[4] صحيح مسلم: ٧٤ - (٢٥٩٢)

[5] الأدب المفرد (٤٦٤)، وانظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٦٧)

[6] صحيح مسلم: ٧٨ - (٢٥٩٤)، ومسند أحمد (٢٤٩٨٢)

ثالثاً: التفريد والمُناسبة.

لابد أن يكون كل ما يتعلق بتعليم الطفل، في أعلى درجات التفريد والمناسبة للطفل من حيث حالته العقلية والنفسية والاجتماعية، وإلا فإن العملية التعليمية لن تنعقد أصلاً؛ فالطفل حالة متفردة عن غيره.

وكثير من الطرائق والاستراتيجيات بل والمعلومات المستعملة في عالم الطفل من أكبر مشكلاتها أنها لم يتم الالتفات فيها لخصوصيات الطفل البنائية.

وقد نُلقي باللوم على الطفل وتكون المشكلة لدينا نحن، في أننا ما راعينا قضية (المناسبة)، زمانياً أو مكانياً أو إنسانياً.

ودائما نقول: التعليم والإعلام، كالتغذية والإطعام، فكما أن الإطعام تغذية تخص الأبدان، فالتعليم تغذية تخص الوجدان والإيمان.

فلابد أن يكون التعليم بالطريقة المناسبة، بالقدر المناسب، في الوقت المناسب، وإهمال ذلك زيادةً أو نقصاناً يؤذي الطفل أذىً بالغاً.

- فكما أن هناك أطعمة لا تناسب الطفل بدنياً، هناك معلومات لا تناسبه إيمانياً ووجدانياً وعقلياً.
- وكما أن هناك أطعمة نقصانها يؤذيه بدنياً، هناك معلومات نقصانه يؤذيه إيمانياً ووجدانياً.
- وكما أن هناك أطعمة زيادتها تؤذيه بدنياً، هناك معلومات زيادتها تؤذيه إيمانياً ووجدانياً.
- وكما أن هناك أوقات يؤذيه فيها الإطعام بدنياً، هناك أوقات يؤذيه فيها التعليم إيمانياً ووجدانياً.
- وكما أن هناك طرائق لإطعام الطفل تؤذيه بدنياً، هناك طرائق لتعليم الطفل تؤذيه إيمانياً ووجدانياً.

قصة واقعية: دعاء والحجاب والتدبر:

لم تتجاوز بعدُ **عشر سنوات،** بل إن بنيتها الجسدية تشي بعمر أقل من ذلك بكثير. فَحَصْتُها طبياً، ثم بدأت أَصَفُ لها العلاج، فقالت لي أمها التي ترتدي النقاب عنها: "**ترفض ارتداء الحجاب** يا دكتور، تقول لنا: **ليس الآن لازلتُ صغيرة،** والدها شيخ رغم ذلك، وهي **تحفظ أكثر** من ثلثي القرآن"

الحجاب ولا شك ليس مفروضا عليها فى هذا العمر، لكن **يبدو أنها لا تحبه أصلا، ولا تدرك الحكمة منه،** وهذا ما شغلنى أكثر.

ابتسمتُ فى وجهها، وقُلْت: "دعاء! لِمَ لا تريدين ارتداء الحجاب **يا عزيزتي**؟!"

فقالت: "سأرتديه **العام القادم**"

فقلتُ لها: "هل **يضايقك** الحجاب يا دعاء؟!" فلم ترد ...

فسألتها: "**لماذا ترتدى الأنثى الحجاب أصلا** يا دعاء؟!" فلم ترد ...

فقلتُ لها: "**ألا تحبين الله؟** فإنه **يحب أن تتحجبي،** وأوصاك بالحجاب لأنه يحبك، فالحجاب **يحميكِ** ممن يؤذيكِ **ومما** يؤذيكِ"

ثم شرعتُ فى ترغيبها فى ارتداء الحجاب بلغة تناسب عمرها.

فقالت: سأرتديه إن شاء الله.

لم أكتفِ بذلك، بل حاولت ترهيبها، لكن بما لا يفزعها أو يروعها أو يُقَنِّطها.

فقلتُ لها: "أليس الله هو من **رزقنا ذلك الشعر الجميل والوجه الجميل** يا دعاء؟!" فقالت: بلى.

فقلتُ: "**أليس من المحتمل** إن أغضبناه وعصينا أمره **أن يسلبنا** تلك الأشياء الجميلة؟!" قالت: بلى ... ممكن.

قلتُ: "**أليس من المحتمل** إذا رآك أحد غير محجبة بهذا الشعر الجميل أن **يتعرض لكِ بالأذى**؟!" قالت: بلى ... ممكن.

قلتُ: فلم لا نحمي أنفسنا من غضب الله ومن إيذاء البشر، ونرتدي الحجاب برهاناً على محبتنا لله الذى أحبنا وشرع لنا ما يحمينا؟"

فقالت وكلها حماسة: سأرتديه إن شاء الله، ولن أخلعه.

دعاء تُمَثِّل عينة من أطفالنا اليوم الذين لم تَعُد قلوبهم تلك القلوب السليمة، التى كنا نراهن على سرعة استجابتها عند سماع كلام الله أو كلام رسوله (ﷺ).

فلقد نجح أعداؤنا في صياغة العقل الباطن لأطفالنا، وفقما يريدون، بل وتظاهرنا معهم ونحن لا نشعر؛ فالعروسة (باربي) مثلا كشخصية محببة للأطفال، يصورون للأطفال أنها كلما تبرجت أكثر كانت أجمل، والإعلام يدعم ذلك، والمجتمع من حولنا يدعم ذلك.

ونحن نُسَاهِم فى تعقيد المسألة أكثر ونحن لا نشعر، بحرمان الأطفال من القوة النورانية (العلمية) والقوة الروحانية (العملية) التي في آيات القرآن، بطريقة تعليمنا للقرآن التى ترتكز معهم على المباني وتغفل المعاني بما تحمله من نور وروح، من شأنهما أن يحدثا القناعة العقلية والقلبية على السواء فيدفعا الطفل للاستجابة لوصايا القرآن بسهولة ويسر.

إن دعاء وغيرها، تعتبر مثالا حيا يشهد لضرورة تعليم أطفالنا القرآن بالتدبر.

فنُفَهِّم أطفالنا الآيات جيدا، ثم نُسقِطها على واقعهم، ونتسائل معهم أين نحن مما أوصت به؟ ونساعدهم على تقييم أنفسهم في ضوئها.

ثم نتفكر معهم فى عواقب الاستجابة لتلك الوصايا التى جاءت بها الآيات من ثمرات (عواقب حسنة)، ومغبات (عواقب سيئة)

وبذلك تتحفز قلوبهم ترغيبا وترهيبا من خلال استجاشة معانى الايمان الكامنة فيها، وتزداد الدافعية لديهم فيستجيبون لما أوصت به الآيات أكمل وأيسر استجابة، فيتفاعلون مع الآيات دعاءً واتباعا ودعوة وتعليما.

أطفالنا جميعا بحاجة لذلك التدبر بما يشتمله من تفهيم وتفكر في الحال والمآل وتفاعل بالسؤال، فصاحب القلب السليم تزداد استجابته حسنا ويُسرا، وسرعة وكمالا.

وصاحب القلب الغافل (النائم) يستيقظ ويتحفز. وصاحب القلب المريض يشفى ويحيا.

نريد التدبر الذى فيه تسديد التصور، والتفكر، والتأثر؛ والتذكر، ليحصل التحرر والتطهر والتطور.

نريد لأطفالنا أن يقتنع المستشار لديهم (العقل) فيفهم ويصدر توصيته العملية للملك (القلب)، فيتدبر ذلك الملك إسقاطا وتفكراً في الحال فيستشعر حاجته لما أوصى به المستشار، وتفكرا في المآل فيتحفز لما أوصى به المستشار، فيتأثر ويتحرر ويتذكر، فيقرر ويصدر أوامره للجنود (الجوارح) التى لا تتلق أمرا إلا من ملِكها فتتفاعل مع ما أوصت به الآيات أحسن وأدوم وأيسر تفاعل دعاءً واتباعا ودعوة وتعليما.

فالغالب على العملية التدبرية (التفكر "إعمال الفكر")؛ ولذلك ميادين:

- فنتفكر ونعمل فكرنا في فهم المعاني، والذي يفكر هنا هو العقل (المستشار).
- ونعمل فكرنا في استخراج الوصية الرئيسية والذي يفكر هنا هو (العقل).
- كما نعمل فكرنا في تقييم حالة النفس ومكاشفتها ومحاسبتها "الإسقاط"، والذي يفكر هنا هو القلب (الملك) بمعاونة (العقل) في البداية.
- ونعمل فكرنا في العواقب الحسنة والسيئة "صلب العملية التدبرية" والذي يفكر هنا هو (القلب) بمعاونة (العقل) في البداية.

- ونعمل فكرنا في **الدعوات والتنزيهات** المناسبة والذي يفكر هنا هو (القلب) ويساعده العقل.
- ونعمل فكرنا في **ربط الآيات بالأسماء والصفات**، (العقل مع القلب).
- ونعمل فكرنا في وضع خطة تشغيلية للتزكي بالآية، (العقل مع القلب).
- كما نعمل فكرنا في كيفية تعليم الآية والدعوة إليها، (العقل مع القلب).

ويؤيده كلام ابن القيم في تعريفه للتدبر حين قال: "تَحْدِيقُ نَاظِرِ الْقَلْبِ إِلَى مَعَانِيهِ، **وَجَمْعُ الْفِكْرِ** عَلَى تَدَبُّرِهِ وَتَعَقُّلِهِ، وَهُوَ الْمَقْصُودُ بِإِنْزَالِهِ، لَا مُجَرَّدُ تِلَاوَتِهِ بِلَا فَهْمٍ وَلَا تَدَبُّرٍ"[1]

كل يوم ازداد يقينا في حاجة أطفالنا الماسة للمنهج النبوى فى تعليم القرآن للأطفال **(الإيمان قبل القرآن)**. فاللهم لك الحمد على ما هديتنا إليه فى **منهج (المتدبر الصغير)**، ونسألك أن تبارك فيه وتنفعنا به والمسلمين.

رابعاً: التقدير والمواكبة.

وأقصد به **تقدير طفولتهم وطبيعتهم، ومواكبة ما يكابدونه ويعانونه** من عدم استقرارٍ في الحالة المزاجية والنفسية، ومن تطور في المراحل العمرية.

فالطفل **غير بالغٍ**، وبناءً عليه فهو غير مستعدٍ للتكليف؛ وإلا لَكَلَّفَه الله، ولابد أن يُراعَى ذلك جيداً، وأن يؤخذ في الحسبان أنه **في مرحلة تدريب وترغيبٍ وتحبيب وتقريب.**

وما أعظم وصية أُمُّنا عَائِشَة رضي الله عنها لنا: **"فَاقْدُرُوا قَدْرَ الْجَارِيَةِ الْعَرِبَةِ الْحَدِيثَةِ السِّنِّ، الْحَرِيصَةِ عَلَى اللَّهْوِ"**[2].

---

[1] مدارج السالكين (١/ ٤٤٩)

[2] صحيح البخاري: (٩٠٧، ٩٤٤، ٢٧٥٠، ٤٨٩٤)، صحيح مسلم: ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠ - (٨٩٢).

خامساً: التعاهد والمراقبة.

لأننا في عملية (تخلق)، وليس هناك (خلق)، لا يحتاج إلى تعاهد وتعويد، والطفل بطبيعته يضج بالتكاليف، ويهرب منها، وذاكرته ضعيفة جداً فيما يتعلق بها، لاسيما لو كانت على غير هواه.

ولذا لابد من متابعة الطفل ومراقبته في مرحلة التعاهد حتى يصير الخير له (عادة)، ففي الحديث: "اَلْخَيْرُ عَادَةٌ، وَالشَّرُّ لَجَاجَةٌ، وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ"[1]، وعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود، قَالَ: «حَافِظُوا عَلَى أَبْنَائِكُمْ فِي الصَّلَاةِ، وَعَوِّدُوهُمُ الْخَيْرَ فَإِنَّ الْخَيْرَ عَادَةٌ»[2]

وقال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران: ٢٠٠]

وقال سبحانه وبحمده: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} [العنكبوت: ٦٩]

وفي الحديث أيضاً: "إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَالْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، وَمَنْ يَتَحَرَّ الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يُوقَهُ"[3].

وفي رواية: "يا أيها الناسُ! إنما العلم بالتعلّمِ، والفقهُ بالتفقه، ومن يُرِدِ الله به خيراً يفقهه في الدين، وإِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ"[4].

---

[1] سنن ابن ماجة (٢٢١)، مسند أحمد (١٦٨٣٤)، صَحِيح الْجَامِع (٣٣٤٨)، والصَّحِيحَة (٦٥١)، وقال السندي في حاشيته على ابن ماجه (١/٢٠٥): "وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُون هَذَا بَيَانُ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْمُؤْمِنُ عَلَيْهِ، أَيْ: اللَّائِقُ بِحَالِهِ أَنْ يَكُونَ الْخَيْرُ عَادَتَه، وَالشَّرُّ مَكْرُوهًا لَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ إِلَّا لِلَجَاجَةٍ"

[2] المعجم الكبير للطبراني (٩/ ٢٣٦).

[3] رواه الطبراني في الأوسط (٢٦٦٣)، وانظر: صَحِيح الْجَامِع (٢٣٢٨)، والصَّحِيحَة (٣٤٢).

[4] صحيح الترغيب والترهيب (١/١٣٦)، وقال الألباني عن الفقه: "تخصيصه بعلم الفروع لا دليل عليه".

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: "فَعَلَيْكُمْ بِهذَا الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ مَأْدُبَةُ الله، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ مَأْدُبَةِ الله، فَلْيَفْعَلْ، **فَإِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ**"[1].

وفي تفسير قوله تعالى: {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ **يَتْلُو** عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ **وَيُعَلِّمُهُمُ** الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ **وَيُزَكِّيهِمْ** إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [البقرة: ١٢٩].

يقول رشيد رضا: "عَلِمَ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - أَنَّ تَعْلِيمَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ لَا يَكْفِي فِي إِصْلَاحِ الْأُمَمِ وَإِسْعَادِهَا، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ **يُقْرَنَ التَّعْلِيمُ بِالتَّرْبِيَةِ عَلَى الْفَضَائِلِ، وَالْحَمْلِ عَلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ بِحُسْنِ الْأُسْوَةِ وَالسِّيَاسَةِ**، فَقَالَ: (وَيُزَكِّيهِمْ) أَيْ **يُطَهِّرُ** نُفُوسَهُمْ مِنَ الْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ، **وَيَنْزِعُ** مِنْهَا تِلْكَ الْعَادَاتِ الرَّدِيئَةَ، **وَيُعَوِّدُهَا** الْأَعْمَالَ الْحَسَنَةَ الَّتِي تَطْبَعُ فِي النُّفُوسِ مَلَكَاتِ الْخَيْرِ، **وَيُبَغِّضُ** إِلَيْهَا الْقَبِيحَةَ الَّتِي تُغْرِيهَا بِالشَّرِّ"[2].

ويقول السعدي: "**بالتربية** على الأعمال الصالحة **والتبري** من الأعمال الردية، التي لا تزكي النفوس معها"[3].

عَنْ مُوسَى بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ: أَصْبَحْتُ فِي الْحِجْرِ بَعْدَمَا صَلَّيْنَا الْغَدَاةَ (أي: صَلَاةِ الفجر) فَلَمَّا أَسْفَرْنَا، إِذَا فِينَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ ﵄ فَجَعَلَ يَسْتَقْرِئُنَا رَجُلًا رَجُلًا، يَقُولُ: "**أَيْنَ صَلَّيْتَ يَا فُلَانُ؟**"، فَيَقُولُ: هَاهُنَا، حَتَّى أَتَى عَلَيَّ، فَقَالَ: "**أَيْنَ صَلَّيْتَ يَا ابْنَ عُبَيْدٍ؟**"، فَقُلْتُ: هَاهُنَا، قَالَ: "**بَخٍ بَخٍ، مَا نَعْلَمُ صَلَاةً أَفْضَلَ عِنْدَ اللهِ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ جَمَاعَةً يَوْمَ الْجُمُعَةِ**"[4].

---

[1] مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٢/ ٢٧٧).

[2] تفسير المنار (١/ ٣٨٩)

[3] تفسير السعدي (ص: ٦٦)

[4] رواه البيهقي (١٩٥٦٠)، وصححه الألباني في الإرواء (١٥٠٧)

وعَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا، مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ: لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بَدْرًا، قَالَ لِابْنِهِ: «أَدْرَكْتَ الصَّلَاةَ مَعَنَا؟ أَدْرَكْتَ التَّكْبِيرَةَ الْأُولَى؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «لَمَا فَاتَكَ مِنْهَا خَيْرٌ مِنْ مِائَةِ نَاقَةٍ، كُلُّهَا سُودُ الْعَيْنِ»[1]

وبَعَثَ عَبْدُ العَزِيْز بن مَرْوَانَ ابْنَهُ عُمَرَ إِلَى المَدِيْنَةِ يَتَأَدَّبُ بِهَا، وَكَتَبَ إِلَى صَالِحِ بنِ كَيْسَانَ يَتَعَاهَدُهُ، وَكَانَ يُلْزِمُهُ الصَّلَوَاتِ، فَأَبْطَأَ يَوْماً عَنِ الصَّلاَةِ، فَقَالَ: مَا حَبَسَكَ؟ قَالَ: كَانَتْ مُرَجِّلَتِي تُسَكِّنُ شَعْرِي.

فَقَالَ: بَلَغَ مِنْ تَسْكِيْنِ شَعْرِكَ أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلَى الصَّلاَةِ. وَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى وَالِدِهِ، فَبَعَثَ عَبْدُ العَزِيْزِ رَسُوْلاً إِلَيْهِ، فَمَا كَلَّمَهُ حَتَّى حَلَقَ شَعْرَهُ[2].

سادساً: التفتيش والمحاسبة.

لأننا كثيراً ما نبادر بتخطئة الطفل أو تجريم فعله، وربما كان معذورا، بل ربما كنا نحن المتهم الأول فيما فعله الطفل.

لأن الأصل في التعليم هو إيجاد (القدوة العملية) التي تُمَكِّن الفضائل لديهم بطريقة لطيفة، لاسيما والطفل مولع بتقليد الكبار. فأولئك الآباء والأمهات والمعلمين والمعلمات الذين لا يعظمون الفضائل ولا يقدرونها حق قدرها، كأنهم يدعون بأحوالهم، لمخالفة ما يطالبون الأبناء به بأقوالهم.

ولابد أيضاً من الوقوف على أسباب مشكلات الأطفال وتحليلها وتعليلها، ولابد أن نُقَدِّم الاستبانة على الإدانة، فلا نُدين قبل أن نستبين، قال تعالى: {فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} [الحجرات: ٦]، والتبيّن: تَطَلُّبُ الْبَيَانِ وَهُوَ ظُهُورُ الْأَمْرِ، والجهالة نقص (علم) أو نقص (حلم)[3].

[1] مصنف عبد الرزاق الصنعاني (١/ ٥٢٨)
[2] سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٥/ ١١٦)
[3] التحرير والتنوير (٢٦/ ٢٣٢)

ولابد أن نحاسب أنفسنا قبل محاسبتهم، فقبل أن نحاسبهم على المُخرجات، لابد أن نراجع ما قمنا به من عمليات، فنفتش عما كان ينبغي علينا فعله، كالتأليف والمصاحبة، والترفق والملاعبة، والتعاهد والمراقبة.

وحينها سيأخذ خطأ الطفل حجمه الحقيقي في أعيننا بلا تهويل أو تضخيم، وستتسع صدورنا لاستيعاب أخطاء الأطفال.

لأننا في الغالب سنكتشف أن لدينا تقصير من نوع ما، وذلك سيجعلنا نباشر المحاولة الجديدة بعزمٍ أمضى وتفاؤل أكبر.

سابعاً: التبيين والمعاتبة.

لأن الكثير من الأطفال ربما لا يستبينون موضع الخطأ بالضبط، ولذا يكرروه، ولابد في التبيين من تبصيرهم بمواطن ضعفهم، والتهديدات التي تواجههم، والتي تتسبب في إيقاعهم في الخطأ.

يقول الدكتور المقدم: "والطفل ... ليس عنده المثل الكافي الذي يدفعه إلى أن يفعل أو لا يفعل ... فإذا كان هناك خطأ وقع فيه وهو لا يدري فتفهمه أن هذا خطأ، وتعطيه فرصة لمراجعة سلوكه وتصحيح خطئه"[1]

ولابد من المناقشة والمحاورة وسماع الطفل بنفسه فيما يخص أسباب مشكلته، وما يحمله على الوقوع فيها.

والتبيين لا بد من أن يتضمن وضع بدائل مناسبة أو ما نسميه (السماح بالمتاح من المباح)، فالوقوع في كثير من المحظور، كثيراً ما يكون سببه التعسف في منع أو تعسير كثيرٍ من المباح الميسور.

---

[1] لماذا نصلي - المقدم (٥/ ١٦)

وفي المعاتبة، لابد من العزف على وتر المحبة بتقديم العتاب على العقاب، وإشعار الطفل أنه عظيم في أعيننا ولا ينبغي أن يخيب ظننا فيه، وأنه حبيب إلى قلوبنا ولا ينبغي له أن يحزننا أو يغضبنا؛ ليدرك الطفل أننا لا نحب أصلاً معاقبته ولا نلجأ إلا ذلك إلا مضطرين.

يقول الدكتور المقدم: "**الأصل** هو عدم اللجوء إلى الضرب أو إلى العقاب إلا عند الضرورة ... **فلا يجعل الإنسان أول شيء يفعله هو عقوبة الطفل وإهانته وإهدار كرامته،** لا؛ لأنه إذا أهدرت كرامته فقد الثقة بنفسه"[1].

وفي رأيي أن **(الوعظ) أقرب إلى التبيين والمعاتبة منه إلى التعنيف والمغاضبة،** فمن المهم تذكير الطفل بالعواقب السيئة لأخطائه وإشهاده إياها، وتخويفه مما سيترتب عليها من حسرة وحرمان، وخيبةٍ وخسران.

وقد أوصى الله عزوجل بالوعظ كوسيلة من وسائل التقويم والزجر؛ فقال تعالى: {وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ **فَعِظُوهُنَّ** وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا} [النساء: ٣٤]

وفي هذه المرحلة **لابد من التمرير والتغافل والمسامحة،** فتصل للطفل رسالة رقيقة بأننا لأخطائه منتبهون، لكننا متسامحون.

والتدقيق الشديد لا يصلح مع الطفل، فهناك أمور ينبغي أن تمرر ويُتَغاضَى عنها، ولا يمكن أن نتوقف معها نفس الوقفات في كل مرة؛ لأن الطفل في مرحلة تزكية وتمرين، **والمُتوقع منه أن يكون كثير الخطأ،** بل لو لم يخطيء كثيراً لما كان طبيعيا.

---

[1] لماذا نصلي - المقدم (٥/ ١٦)

يقول الدكتور المقدم: "إن الخطوة الأولى: أن يتجاهل الخطأ في البداية مع حسن الإشارة والتوضيح دون المواجهة والتصريح"[1].

لقد قال النبي (ﷺ): "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ"[2].

هذا فيما يخص الكبار، فما بالكم بالصغار؟!!

ثامناً: التهديد والمغاضبة.

وأقصد هنا التهديد (القولي)، الذي يَنُمُّ عن الضيق والغضب، الذي ربما يعلو فيه الصوت قليلاً أو يتم فيه العتاب بِشدَّةٍ وَحِدَّةٍ.

فإن القاعدة في التقويم التدرج في الشدة والبدأ بالأخف، فما يتحقق بالقول لا يستعمل فيه الفعل، وما يتحقق بكلمة لا يستعمل فيه أكثر من كلمة، وما يتحقق بتعبيرات الوجه لا يستعمل فيه الكلام (وقد مَرَّ الحديث عن ذلك تفصيلا).

يقول الدكتور المقدم: "العقوبة لا تستخدم إلا بنوع من التدرج وبضوابط مهمة جداً؛ كي لا تأتي بآثار سلبية، فالأصل أن الإنسان في البداية إذا وجد الطفل يخطئ ... أن يتجاهل خطأه في البداية، ولا يوجه توجيهاً مباشراً، لكن يشير إليه إشارة حسنة، كأن يأتي التوجيه في وسط كلام مع غيره، ويذكر الخطأ الذي ارتكبه دون إعلامه برؤيته ... إذا أصر على الخطأ أو واقعه وتكرر منه ففي هذه الحالة له أن يعاقبه سراً ... وذلك بأن يصرح بالنصيحة له ... وله أن يوبخه ويعبس في وجهه ... فإذا استمر الطفل على الخطأ ... في هذه الحالة يحتاج الطفل إلى ... عقابه ولومه جهراً أمام أسرته ورفاقه ... لكن يشترط أن

---

[1] لماذا نصلي – المقدم (٥/ ١٦)

[2] صحيح مسلم (٢٧٤٩)

يكون التعنيف بدون شتم أو تحقير للذات ... والعقوبات الحسية درجات، وأخف عقوبة يبدأ بها شد الأذن بطريقة خفيفة ... **أما الضرب للتأديب فهو كالملح للطعام،** فالملح إذا وضعته في الطعام بكمية كبيرة فسد الطعام، لكن لو وضعت ملحاً بكمية قليلة فإنه يصلح الطعام ... لقد تكلم علماء المسلمين على موضوع الضرب وإباحة الضرب، وأحاطوه بشروط بالغة في الدقة؛ لأنه إذا لم تراع هذه الشروط **خرج الضرب عن موضعه التربوي**"[1].

ويقول الدكتور المقدم: "هناك مبدأ مهم جداً وهو أن **العقاب لا يلجأ إليه إلا إذا فشلت أساليب الترهيب والترغيب،** وينبغي أيضاً أن يلاحظ في موضوع العقاب أن **الأطفال يتفاوتون،** ليس كل الأطفال على قالب واحد، وإنما يتفاوتون، فمنهم من ترهبه الإشارة، ومجرد التلميح بالعقاب يكفي في زجره عن الشيء الخطأ، ومنهم ما لا يردعه إلا الجهر الصريح"[2].

والأصل أن العنف مذموم؛ لكنه إنما يصار إليه من باب (آخر الدواء الكي)، فلا يُسمَح به في البداية بل في أواخر النهاية، ودائما نُطالِب في التعامل مع الأطفال **برفقٍ بلا ضعف، وحَزمٍ بلا عنف.**

ونؤكد على أن التهديد والمغاضبة **لا ينبغي أن يترديا أبداً إلى هوة** السب أو الشتم أو الطعن أو اللعن أو الفحش أو البذاءة أو التعيير أو الهمز أو اللمز.

والبعض للأسف الشديد **يتعامل مع الطفل الصغير، وكأنه لا حرمة له،** فكرامته مهدورة، وعرضه كلأٌ مباح لكل راغب في السب والشتم والتعيير؛ ولأن الأطفال لا يقدرون على الصد أو الرد؛ فإن مَن يؤذونهم **يتوهمون أنهم لا يشعرون ولا يتأثرون.**

---

[1] لماذا نصلي - المقدم (٥/ ١٦)

[2] لماذا نصلي - المقدم (٥/ ١٦)

وهذه جملة من النصوص التي تفيد تحريم الاستطالة في أعراض الأطفال بالسب والشتم والطعن واللعن والتفحش والبذاءة.

- ففي الحديث: "سِبَابُ الْمُسْلِمِ **فُسُوقٌ**"[1].
- وقال (ﷺ): "سَابُّ الْمُؤمِنِ، **كَالْمُشْرِفِ عَلَى الْهَلَكَةِ**"[2].
- وقال (ﷺ): "لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبَذِيءِ"[3].
- وقال (ﷺ): "الْحَيَاءُ مِنْ الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْبَذَاءُ (أي: الْفُحْشُ فِي الْقَوْلِ، وَالسُّوءُ فِي الْخُلُقِ) **مِنْ الْجَفَاءِ** (أي: غَلَاظَة الطَّبْعِ، وَقَسَاوَةُ الْقَلْبِ) **وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ**"[4]
- وقال (ﷺ): "إِنَّ الْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ لَيْسَا مِنْ الْإِسْلَامِ فِي شَيْءٍ، وَإِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ إِسْلَامًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا"[5].
- وقال (ﷺ) أيضاً: "إِيَّاكُمْ وَالْفُحْشَ، فَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ"[6].
- وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمْ يَكُنِ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) **سَبَّابًا وَلَا فَحَّاشًا، وَلَا لَعَّانًا**، كَانَ يَقُولُ لِأَحَدِنَا عِنْدَ الْمَعْتَبَةِ: "مَا لَهُ؟ تَرِبَ جَبِينُهُ"[7]
- وقال تعالى: {وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ} [الهمزة: ١].

والهمزة: كل مغتاب للناس، يغتابهم ويبغضهم.

واللمزة: الذي **يعيب الناس، ويطعن فيهم**.

وعن ابن عباس، قال: "ويل لكلّ **طعان مغتاب**".

[1] متفق عليه: البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤)
[2] كنز العمال (٨٠٩٣)، وانظر: صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب (٢٧٨٠)
[3] رواه الترمذي (١٩٧٧)، وأحمد (٣٨٣٩، ٣٩٤٨)، وانظر: الصَّحِيحَة (٣٢٠)
[4] رواه الترمذي (٢٠٠٩)، وابن ماجة (٤١٨٦)، وانظر: الصَّحِيحَة (٤٩٥)
[5] رواه أحمد (٢٠٨٦٣)، وانظر: صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب (٢٦٥٣)
[6] رواه أحمد (٩٥٦٥)، وصححه الأرناؤوط
[7] صحيح البخاري (٥٦٨٤)

وقيل: الهمزة (**المغتاب**)، واللمزة: (**العيَّاب**).

وقيل: الهمز (**باليد**) واللمز (**باللسان**).

وقيل: الهمز (**في الوجه**)، واللمز (**من الخلف**).

وقيل: الهمز (**جهرا**)، واللمز (**سراً**)[1].

- وقَالَ (ﷺ): "الرِّبَا ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ بَابًا، أَيْسَرُهَا مِثْلُ إِتْيَانِ الرَّجُلِ أُمَّهُ، **وَإِنَّ أَرْبَى الرِّبَا اسْتِطَالَةُ** (أَيْ: إِطَالَة اللِّسَان) **الرَّجُلِ فِي عِرْضِ أَخِيهِ بِغَيْرِ حَقٍّ**"[2]
- وَعَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: حَكَيْتُ لِلنَّبِيِّ (ﷺ) رَجُلًا (تقليدُه في كلامِه أو مِشْيَته وما شابه، بِقَصْد المزاح والاستهزاء والسخرية)، فَقَالَ (ﷺ): **"مَا يَسُرُّنِي أَنِّي حَكَيْتُ إِنْسَانًا، وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا"**[3]
- وَعَنْ عَائِشَةَ ﵂ أيضاً قَالَتْ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ (ﷺ): حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ [أَنَّهَا]، وَقَالَتْ بِيَدِهَا هَكَذَا، كَأَنَّهَا تَعْنِي: قَصِيرَةً، فَقَالَ (ﷺ): **"لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً، لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ"**[4]

ولابد أن ننتبه إلى أن **الكلمات قد تتسبب في جراحاتٍ لا تندمل**، قال المتنبي: جراحات السهام لها التئامٌ   ولا يلتام ما جرح اللسانُ

---

[1] انظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٥٩٥)، والنكت والعيون (٦/٣٣٥)

[2] رواه ابن ماجة (٢٢٧٤)، والحاكم (٢٢٥٩)، والطبراني في الأوسط (٧١٥١)، وقال في عون المعبود (١٠/ ٤٠٠): "أَيْ: اِحْتِقَارُهُ وَالتَّرَفُّعُ عَلَيْهِ، وَالْوَقِيعَةُ فِيهِ بِنَحْوِ قَذْفٍ أَوْ سَبٍّ، وَإِنَّمَا يَكُون هَذَا أَشَدَّهَا تَحْرِيمًا، لِأَنَّ الْعِرْضَ أَعَزُّ عَلَى النَّفْسِ مِنْ الْمَالِ"

[3] رواه الترمذي (٢٥٠٢، ٢٥٠٣)، وأبي داوود (٤٨٧٥)

[4] رواه أبو داوود (٤٨٧٥)، والترمذي (٢٥٠٢)، وانظر: وصحيح الترغيب والترهيب (٢٨٣٤)، وقال في تحفة الأحوذي (٦/٢٩٤): "الْمَعْنَى: أَنَّ هَذِهِ الْغِيبَةَ لَوْ كَانَتْ مِمَّا يُمْزَجُ بِالْبَحْرِ، لَغَيَّرَتْهُ عَنْ حَالِهِ مَعَ كَثْرَتِهِ وَغَزَارَتِهِ، فَكَيْفَ بِأَعْمَالٍ نَزِرَةٍ خُلِطَتْ بِهَا؟"

تاسعاً: التباعد والمجانبة.

المنظومة التقويمية ترتبط ارتباطاً كبيراً، وتترتب فيها الخطوات على بعضها، فالذي سينجح مثلاً في التأليف والمصاحبة، والترفق والملاعبة، ستكون وسيلة التباعد والمجانبة مفيدة جداً في تقويم طفله؛ لأنه لو لم يكن لك مقام في قلب الطفل، لن تجدي المجانبة معه نفعاً.

وقد يصل التباعد والمجانبة إلى صورة (الهجر)، والذي هو (**تركٌ مع مُباعدة**)، وهذا يكون قاسياً جداً على نفس الطفل، وإن أظهر الطفل غير ذلك؛ لأن الطفل وجدانياً - كما النساء – رقيقٌ لدرجة لا تجعل لديه من القوة النفسية ما يستطيع به تَحَمُّل الهجر.

وقد أوصى الله عزوجل بالهجر كوسيلة من وسائل التقويم والزجر؛ فقال تعالى: {وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا} [النساء: ٣٤]

عاشراً: التهذيب والمعاقبة.

المعاقبة في مفهوم طفل اليوم تعني الانتقام والتعذيب أكثر مما تعني الإصلاح والتهذيب؛ ولعل طريقتنا في المعاقبة هي التي تسببت في تصدير تلك الصورة للأطفال، فضلاً عن بغض الإنسان الفطري للعقاب.

وهناك نوع من العقاب لا ننتبه له، ألا وهو (العقاب بالحرمان من الثواب)، وفي رأيي أن ذلك النوع من العقاب هو ما ينبغي البدء به، وخصوصاً لو نجحنا في تحديد الأشياء التي يحبها الطفل جداً ويشق عليه الحرمان منها.

ولابد أن نُدرك أن العقاب البدني لا ينبغي أن يكون قبل العاشرة وقد وضعت له الشريعة شروطاً؛ ليؤدي ذلك النوع من العقاب دوره.

قال الشبراملسي: "ثُمَّ مَحَلُّ مَا ذَكَرَ مِنْ وُجُوبِ الضَّرْبِ **مَا لَمْ يَتَرَتَّبْ عَلَيْهِ هَرَبُهُ وَضَيَاعُهُ، فَإِنْ تَرَتَّبَ عَلَيْهِ ذَلِكَ تَرَكَهُ**"[1]

ويشترط الماوردي أن يكون الضرب: "ضَرْبًا **غَيْرَ مُبَرِّحٍ وَلَا مُمْرِضٍ، فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي يُؤْمَنُ عَلَيْهِمُ التَّلَفُ مِنْ ضَرْبِهَا**"[2]، وقال الدسوقي والصاوي وغيرهما: "**غَيْرُ مُبَرِّحٍ**: هُوَ الَّذِي لَا يَكْسِرُ عَظْمًا وَلَا يَشِينُ جَارِحَةً"[3]

قَالَ الْعَلْقَمِيُّ: "وَالْمُرَادُ بِالضَّرْبِ، ضَرْبًا **غَيْرَ مُبَرِّحٍ، وَأَنْ يَتَّقِي الْوَجْهَ فِي الضَّرْبِ**"[4]

يقول العز بن عبد السلام: "**وإذا تعلَّم الصبيّ ما ينبغي أن يتعلّمه من غير زجر فلا يُزجر**، وإن لم يتعلّم إلا بالزجر زُجر، فإن لم ينجحْ فيه الزجرُ ضُربَ ضربًا **يحتمله مثلُه، وتغلبُ منه السلامة، وإن لم يزجرْ إلا بالضرب المبرِّح حَرُم المبرِّح** لأدائه إلى قتله؛ لأنه إنّما جاز لكونه وسيلةً إلى الإصلاح؛ فإنْ لم يحصلِ الإصلاح حَرُم لأنّه إضرار غيرُ مفيد"[5].

وقال أيضاً: "فَإِنْ قِيلَ: إذَا كَانَ الصَّبِيُّ لَا يُصْلِحُهُ إلَّا الضَّرْبُ الْمُبَرِّحُ فَهَلْ يَجُوزُ ضَرْبُهُ تَحْصِيلًا لِمَصْلَحَةِ تَأْدِيبِهِ؟ قُلْنَا لَا يَجُوزُ ذَلِكَ، بَلْ يَجُوزُ أَنْ يَضْرِبَهُ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ؛ لِأَنَّ الضَّرْبَ الَّذِي لَا يُبَرِّحُ مَفْسَدَةٌ، وَإِنَّمَا جَازَ لِكَوْنِهِ وَسِيلَةً إلَى مَصْلَحَةِ التَّأْدِيبِ، **فَإِذَا لَمْ يَحْصُلْ التَّأْدِيبُ سَقَطَ الضَّرْبُ الْخَفِيفُ، كَمَا يَسْقُطُ الضَّرْبُ الشَّدِيدُ**؛ لِأَنَّ الْوَسَائِلَ تَسْقُطُ بِسُقُوطِ الْمَقَاصِدِ"[6].

---

[1] حاشية الشبراملسي على نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج (١/ ٣٩١)

[2] الحاوي الكبير (٢/ ٣١٤)

[3] حاشية الدسوقي على الشرح الكبير (١/١٨٦)، حاشية الصاوي على الشرح الصغير (١/٢٦٤)

[4] عون المعبود وحاشية ابن القيم (٢/ ١١٤)، وانظر: شرح سنن أبي داود لابن رسلان (٣/ ٣٦٢)

[5] شجرة المعارف والأحوال (ص: ٢٢٥)

[6] قواعد الأحكام في مصالح الأنام (١/ ١٢١)

وقال: "وَمَهْمَا حَصَلَ التَّأْدِيبُ بِالْأَخَفِّ مِنْ الْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ وَالْحَبْسِ وَالِاعْتِقَادِ، لَمْ يُعْدَلْ إلَى الْأَغْلَظِ إذْ هُوَ مَفْسَدَةٌ لَا فَائِدَةَ فِيهِ؛ لِحُصُولِ الْغَرَضِ بِمَا دُونَهُ"[1].

قال الزرقاني: "وشرطه ظن إفادته، وإلا تُرِكَ؛ لأن الوسيلة إذا لم يترتب عليها مقصدها لا تشرع ... فإن انزجر بأحدها (يقصد: الوعيد أو التقريع بغير شتم) لم يضرب كما في ابن عرفة، ويمنع بشتم كيا قرد". وقال الجمل: "وَلَوْ لَمْ يُفِدْ إلَّا بِمُبَرِّحٍ تَرَكَهُ"[2].

وقال الشرنبلالي: "بيدٍ لا بخشبة ... رفقاً به وزجرا، بحسب طاقته، ولا يزيد على ثلاث ضربات بيده"[3].

وَنَقَلَ ابْنُ عَرَفَةَ فِي التَّأْدِيبِ أَنَّهُ يَكُونُ بِالْوَعِيدِ وَالتَّقْرِيعِ لَا بِالشَّتْمِ، فَإِنْ لَمْ يُفِدْ الْقَوْلُ انْتَقَلَ إلَى الضَّرْبِ بِالسَّوْطِ مِنْ وَاحِدٍ إلَى ثَلَاثَةٍ ضَرْبَ إيلَامٍ فَقَطْ دُونَ تَأْثِيرٍ فِي الْعُضْوِ. قَالَ أَشْهَبُ: إنْ زَادَ الْمُؤَدِّبُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَسْوَاطٍ اُقْتُصَّ مِنْهُ[4].

قال العثيمين: "المراد الضرب الذي يحصل به التأديب بلا ضرر، فلا يجوز للأب أن يضرب أولاده ضرباً مبرحاً، ولا يجوز أن يضربهم ضرباً مكرراً لا حاجة إليه، بل إذا احتاج إليه مثل ألا يقوم الولد للصلاة إلا بالضرب فإنه يضربه ضرباً غير مبرح، بل ضرباً معتاداً؛ لأن النبي (ﷺ) إنما أمر بضربهم لا لإيلامهم ولكن لتأديبهم وتقويمهم ... لأنَّ المقصود تأديبه لا تعذيبه"[5]

---

[1] قواعد الأحكام في مصالح الأنام (٢/ ٨٨)

[2] شرح الزرقاني على مختصر خليل وحاشية البناني (١/٢٦٧)، حاشية الجمل على شرح المنهج (١/ ٢٨٩)، وانظر: الشرح الكبير للشيخ الدردير وحاشية الدسوقي (١/١٨٦)، حاشية الصاوي على الشرح الصغير (١/٢٦٤)، الثمر الداني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني (ص: ٨)، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (١/٣١)، حاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني (١/٤١).

[3] مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح (ص: ٧١)

[4] التاج والإكليل لمختصر خليل (٢/ ٥٧)

[5] شرح رياض الصالحين (٣/ ١٧٤)، الشرح الممتع على زاد المستقنع (٢/ ٢٠)

وقال: "والصبيان يختلفون، فبعضهم عنده شعور قوي بمجرد ما تنهره أو تأمره يمتثل، وبعضهم عنيد لا يزداد بمثل ذلك إلا نفوراً منك، فلكل مقام مقال"[1].

وقال: "لكن يقيد بما إذا كان الضرب نافعاً؛ لأنه أحياناً تضرب الصبي ولكن ما ينتفع بالضرب، ما يزداد إلا صياحاً وعويلاً ولا يستفيد"[2].

وذكر العثيمين للضرب شروطاً، فقال:

"الأول: أن يكون هذا الولد مستحقاً للتأديب، أي فعل ما يستحق التأديب عليه، أما لو ضربه بدون سبب فإنه ضامن.

الثاني: أن يكون هذا الولد قابلاً للتأديب، فإن كان غير قابل، وهو الذي لم يميز، أو لا عقل له ـ أي: المجنون ـ فهذا لا ينفع فيه التأديب، بل تأديبه **عدوان**.

الثالث: أن يقصد المؤدِّب التأديب لا الانتقام لنفسه، فإن قصد الانتقام لنفسه لم يكن مؤدِّباً بل منتصراً، وحينئذٍ يضمن ما ترتب على فعله.

الرابع: ... أن يكون له عليه ولاية، فإن لم يكن عليه ولاية، فلا حق له في ضربه، وإذا ترتب على ضربه شيء فإنه ضامن [سواء كانت ولاية عامة أو خاصة].

الخامس: ألاَّ يسرف، فإن أسرف كان ضامناً؛ لأنه معتدٍ. والإسراف مجاوزة الحد بالكمية أو بالكيفية، فإذا قدَّرنا أنه يتأدَّب بضربتين، صارت الثالثة إسرافاً ... وكذلك بالكيفية فإذا قدَّرنا أنَّه يتأدب بضرب بسيط فلا نضربه ضرباً شديداً، ولا نضربه أيضاً في أمكنة تضره، كالوجه، والمقاتل، وشبهها فإن هذا إسرافٌ ... ويدخل فيه أيضاً أن الناس يختلفون، فتحمُّل الكبير للضرب ليس كتحمل الصغير"[3].

---

[1] اللقاء الشهري (٤٠/ ٦)

[2] لقاء الباب المفتوح (٩٥/ ١٨)

[3] الشرح الممتع على زاد المستقنع (١٤/ ١٠٠ وما بعدها بتصرف)

وتم التأكيد في (الفقه الميسر) أيضاً على أن للضرب ضوابطاً وشروطا، ففيه:

ولا ينبغي للأب أن يضرب ولده لمجرد وقوع المخالفة منه، وإنما يلجأ إلى الضرب **بعد أن يستنفذ أساليب التربية الأخرى،** فالأصل في معاملة الأولاد اللين والرحمة والرفق بهم.

ثم **يتدرج من الأخف إلى الأشد** إن لم ينفع الأخف كوسيلة للتربية، فعلى الأب أن يرشد ابنه إلى الخطأ بالتوجيه أو بالملاطفة أو بالإشارة ...

ويجوز للأب أن يوبخ ابنه المخطئ بالكلام الهادئ أولًا، ويجوز أن يعنفه بشدة **فإذا لم تفلح هذه الأساليب** ولم تأت بالثمرة المرجوة منها فحينئذ يجوز استعمال الضرب كوسيلة من وسائل التربية وتقويم السلوك ...

والضرب: المقصود هو الضرب غير المبرح وغير المؤلم، **وخاصة إذا كان الولد قد وقع في الخطأ للمرة الأولى،** ولا يجوز الضرب على الوجه أو الرأس والمواضع الحساسة من الجسم حتى لا يلحق الضرر بالمضروب.

وينبغي للأب **ألا يضرب وهو في حالة الغضب؛** لئلا يفقد السيطرة على نفسه فيضرب الولد ضربًا مبرحًا يلحق به الأذى[1].

وفي الموسوعة الفقهية الكويتية (١٠/٢٤): "يُؤَدَّبُ الصَّبِيُّ **بِالأْمْرِ** بِأَدَاءِ الْفَرَائِضِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرَاتِ **بِالْقَوْل،** ثُمَّ **الْوَعِيدِ،** ثُمَّ **التَّعْنِيفِ،** ثُمَّ **الضَّرْبِ، إِنْ لَمْ تُجْدِ الطُّرُقُ الْمَذْكُورَةُ قَبْلَهُ** ... **وَلاَ يُجَاوِزُ ثَلاَثًا** عِنْدَ الْحَنَفِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ. وَهِيَ أَيْضًا **عَلَى التَّرْتِيبِ،** فَلاَ يَرْقَى إِلَى مَرْتَبَةٍ إِذَا كَانَ مَا قَبْلَهَا يَفِي بِالْغَرَضِ وَهُوَ الإْصْلاَحُ"[2].

---

[1] الفقه الميسر (١١/ ١٥٥) الطيّار، والمطلق، والموسَى

[2] ينظر: المغني لابن قدامة (٦١٥/١)، ومغني المحتاج (١٣١/١)، وابن عابدين (١٣٥/١، ٢٣٥). الرهوني (١٦٤/٨)، ومواهب الجليل (٣١٩/٦)، والمغني لابن قدامة (٣٢٧/٨)

حادي عشر: التعليق والمخاطبة.

من المهم بعد (المعاقبة) **إجراء حوار مع الطفل** يتم فيه **تذكيره بأننا لم نكن نرغب في معاقبته**، وبأنه هو الذي اضطرنا إلى ذلك، وبأنه ينبغي ألا يخطىء مرة أخرى لكيلا يتسبب لنا في الحزن؛ لأننا نحزن لحزنه.

ومن المهم أيضاً في تلك المخاطبة **التأكد من أن الطفل قد أدرك موطن الخطأ، وأدرك الأسباب** التي جعلته عُرضةً للعقاب.

ومن المهم أيضاً أن نتأكد من أن الطفل **لديه (القوة العلمية) التي يحتاج إليها**؛ ليتمكن من القيام بالمأمور، واجتناب المحظور.

ثاني عشر: التسديد والمقاربة.

يتسبب الوقوع في الخطأ والتعرض للعقاب في إصابة الطفل **بالشعور باليأس أو الإحباط** فيما يتعلق بإصلاح نفسه وتجاوز الخطأ، وربما وقع في **استصعاب الإتيان بذلك المطلوب** لاسيما لو تكرر إخفاقه في الإتيان به، وتكررت معاقبته على ذلك، ومغاضبته لسلوك تلك المسالك.

وهنا **لابد من تشجيع الطفل**، وبث روح الأمل بداخله، ودعوته لما أوصى به النبي (ﷺ) من التسديد والمقاربة؛ ففي الحديث: "إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ (أي: لَا يتشدد أحد وَيَتْرُكْ الرِّفْقَ، إِلَّا عَجَزَ وَانْقَطَعَ، فَيُغْلَب)، **فَسَدِّدُوا، وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَيَسِّرُوا**، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ، وَشَيْءٍ مِنْ الدُّلْجَةِ"[1]

[1] صحيح البخاري (٢٣٣٩)، وسنن النسائي (٥٠٣٤)، وجاء في الفتح (ح٣٩): "(فَسَدِّدُوا)، أَي: الْزَمُوا السَّدَادَ، وَهُوَ الصَّوَابُ مِنْ غَيْرِ إِفْرَاطٍ وَلَا تَفْرِيطٍ. (وَقَارِبُوا)، أَيْ: إِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا الْأَخْذَ بِالْأَكْمَلِ، فَاعْمَلُوا بِمَا يَقْرُبُ مِنْهُ. (وَأَبْشِرُوا)، أَيْ: أَبْشِرُوا بِالثَّوَابِ عَلَى الْعَمَلِ الدَّائِمِ وَإِنْ قَلَّ، وَالْمُرَادُ: تَبْشِيرُ مَنْ عَجَزَ عَنِ الْعَمَلِ بِالْأَكْمَلِ بِأَنَّ الْعَجْزَ إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْ صَنِيعِهِ، لَا يَسْتَلْزِمُ نَقْصَ أَجْرِهِ، وَأَبْهَمَ الْمُبَشَّرَ بِهِ تَعْظِيمًا لَهُ وَتَفْخِيمًا"

فنؤكد للطفل على أنه لا يشترط أن نأتي بالأمر على أكمل صورة من أول مرة، وأن كل ما هنالك أنه علينا أن نكون جادين، ونصبر ونصابر ونرابط ونجاهد بكل ما أوتينا من قوة، وقد وعدنا الله بالتوفيق والفلاح إن فعلنا ذلك.

قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران: ٢٠٠]، وقال سبحانه وبحمده: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} [العنكبوت: ٦٩]

أصول تعامل (خاصة) مع الأطفال

أولاً: التعامل مع المؤنسات الغاليات

ثانياً: التعامل مع الأيتام الكِرام

ثالثاً: التعامل مع الطفل العامل

بين يدي تلك الأصول (الخاصة)

هناك فئات خاصة من الأطفال في مجتمعنا؛ ولا أقصد بقولي (خاصة) الانتقاص أو الاحتقار، وإنما أقصد بها التميز والخصوصية في التعامل مع هذه الفئات ورعايتها؛ وإلا فتلك الفئات لها مكانة كبيرة عند الله، وأوصى بها أكثر مما أوصى بغيرها، وكانت للنبي (ﷺ) عناية خاصة بتلك الفئات قولياً وعملياً.

إذن، فلماذا هي (خاصة)؟ هي خاصة؛ لأنها للأسف كثيراً ما تتعرض في واقع المجتمعات للظلم والهضم، فأعطاها الوحي خصوصية في نصرتها وإكرامها وإعطائها حقوقها كاملةً.

وتم اختيار ثلاث فئات، الأولى (المُؤنسات الغاليات)، والثانية (الأيتام الكرام)، والثالثة (الطفل العامل أو الخادم)؛ وذلك بسبب الواقع المؤلم لهذه الفئات الثلاثة من ناحية، وللعناية الكبرى التي أولاها لهم الوحي من ناحيةٍ أخرى.

كان (ﷺ) يقول على المنبر: "اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ: الْيَتِيمِ، وَالْمَرْأَةِ"[1]، وكَانَ آخِرُ كَلَامِه (ﷺ): "الصَلَاةَ الصَلَاةَ، اتَّقُوا اللهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ"[2]

ومن المُتَوقَّع طبعاً أن تكون معظم النصوص الواردة هنا قد وردت قبل ذلك في الكتاب؛ لأن كل ما في الأمر أن هذا تصنيف جديد، ونظر لأصول التعامل من زاويةٍ مختلفةٍ.

---

[1] رواه أحمد (٩٦٦٤)، وانظر: الصَّحِيحَة (١٠١٥)، (أحرّج)، أَيْ: أُضَيّق وَأُشَدِّد فِي تَضْيِيع حَقّهمَا.

[2] رواه أحمد (٥٨٥)، وانظر: الصحيحة (٨٦٨)

أولاً: التعامل مع المؤنسات الغاليات

- قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): "لَا تَكْرَهُوا الْبَنَاتِ، فَإِنَّهُنَّ الْمُؤْنِسَاتُ الْغَالِيَاتُ"[1]
- وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: دَخَلَتِ امْرَأَةٌ مَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا تَسْأَلُ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا غَيْرَ تَمْرَةٍ (وَاحِدَةٍ)، فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا، فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا، وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا، ثُمَّ قَامَتْ، فَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ (ﷺ) عَلَيْنَا، فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: «مَنِ ابْتُلِيَ (وفي رواية: مَنْ يَلِي) مِنْ هَذِهِ البَنَاتِ بِشَيْءٍ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ (وفي رواية: فَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ)، كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ»[2]، وفي رواية: "إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ، أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ"[3]
- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): "مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ" وَضَمَّ أَصَابِعَه[4]. وفي رواية: "دَخَلْتُ أَنَا وَهُوَ الجَنَّةَ كَهَاتَيْنِ"، وَأَشَارَ بِأُصْبُعَيْهِ[5].
- وفي رواية: «مَنْ عَالَ ابْنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ بَنَاتٍ، أَوْ أُخْتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ أَخَوَاتٍ، حَتَّى يَبِنَّ أَوْ يَمُوتَ عَنْهُنَّ، كُنْتُ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ» وَأَشَارَ بِأُصْبُعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى[6].
- وعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ، أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ، اتَّقَى اللَّهَ وَأَقَامَ عَلَيْهِنَّ، كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا» وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ الْأَرْبَعِ[7].

---

[1] مسند أحمد (١٧٤١١)، وانظر: الصَّحِيحَة (٣٢٠٦)

[2] صحيح البخاري (١٤١٨، ٥٩٩٥)، صحيح مسلم: ١٤٧ - (٢٦٢٩)، سنن الترمذي (١٩١٣)

[3] صحيح مسلم: ١٤٨ - (٢٦٣٠)

[4] صحيح مسلم: ١٤٩ - (٢٦٣١)

[5] سنن الترمذي (١٩١٤)، وصححه الألباني

[6] مسند أحمد (١٢٤٩٨)، صحيح ابن حبان (٤٤٧)، وانظر: الصحيحة (٢٩٦)

[7] مسند أحمد (١٢٥٩٣)، وصححه الأرنؤوط

وعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): «مَنْ كُنَّ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ، أَوْ بِنْتَانِ أَوْ أُخْتَانِ، **اتَّقَى اللَّهَ فِيهِنَّ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ** حَتَّى يَبِنَّ أَوْ يَمُتْنَ، كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ»[1]

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ)، قَالَ: "مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ، أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ، أَوِ ابْنَتَانِ، أَوْ أُخْتَانِ، **فَأَحْسَنَ صُحْبَتَهُنَّ، وَاتَّقَى اللَّهَ فِيهِنَّ (وفي رواية: فَيَتَّقِي اللَّهَ فِيهِنَّ وَيُحْسِنُ إِلَيْهِنَّ)**، دَخَلَ الْجَنَّةَ"[2].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «مَنْ عَالَ ثَلَاثَ بَنَاتٍ **فَأَدَّبَهُنَّ، وَرَحِمَهُنَّ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ** فَلَهُ الْجَنَّةُ»[3]

وعن عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يَقُولُ: "مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ **فَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ، وَأَطْعَمَهُنَّ، وَسَقَاهُنَّ، وَكَسَاهُنَّ مِنْ جِدَتِهِ** كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[4]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): "مَا مِنْ رَجُلٍ (وفي رواية: مسلم) تُدْرِكُ لَهُ **ابْنَتَانِ، فَيُحْسِنُ إِلَيْهِمَا مَا صَحِبَتَاهُ (أَوْ صَحِبَهُمَا)** إِلَّا أَدْخَلَتَاهُ الْجَنَّةَ"[5]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ)، قَالَ: "مَنْ كَانَتْ لَهُ **أُخْتَانِ، فَأَحْسَنَ صُحْبَتَهُمَا مَا صَحِبَتَاهُ**، دَخَلَ بِهِمَا الْجَنَّةَ"[6]

---

[1] مسند أحمد (٢٣٩٩١)، وصححه الأرنؤوط لغيره

[2] مسند أحمد (١١٣٨٤)، صحيح ابن حبان (٤٤٦)، وانظر: الصحيحة (٢٩٤)

[3] مسند أحمد (١١٩٢٤)، وصححه الأرنؤوط لغيره

[4] سنن ابن ماجة (٣٦٦٩)، وصححه الألباني

[5] سنن ابن ماجة (٣٦٧٠)، مسند أحمد (٣٤٢٤)، وحسنه الألباني، وانظر: الصحيحة (٢٧٧٦)

[6] مسند أحمد (٢١٠٤)، وحسنه الأرنؤوط

وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «مَنْ كُنَّ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ **يُؤْوِيهِنَّ، وَيَرْحَمُهُنَّ، وَيَكْفُلُهُنَّ**، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ الْبَتَّةَ»، قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: فَإِنْ كَانَتْ اثْنَتَيْنِ؟ قَالَ: «وَإِنْ كَانَتْ اثْنَتَيْنِ»، قَالَ: فَرَأَى بَعْضُ الْقَوْمِ، أَنْ لَوْ قَالُوا لَهُ وَاحِدَةً، لَقَالَ: «وَاحِدَةً»[1]

وقَالَ (ﷺ): «مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ، **فَصَبَرَ عَلَى لَأْوَائِهِنَّ، وَضَرَّائِهِنَّ، وَسَرَّائِهِنَّ**، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ **بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُنَّ**»، فَقَالَ رَجُلٌ: أَوْ ثِنْتَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَوِ اثْنَتَانِ»، فَقَالَ رَجُلٌ: أَوْ وَاحِدَةٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَوْ وَاحِدَةٌ»[2]

وعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَكُونُ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ، **فَأَنْفَقَ عَلَيْهِنَّ** حَتَّى يَبِنَّ أَوْ يَمُتْنَ، إِلَّا كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ» فَقَالَتْ امْرَأَةٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْ اثْنَتَانِ؟ قَالَ: «أَوْ اثْنَتَانِ»[3]

وعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «مَنْ كَانَتْ لَهُ **(جَارِيَةٌ) فَعَالَهَا، فَأَحْسَنَ إِلَيْهَا (وفي رواية: فَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا) ثُمَّ أَعْتَقَهَا** وَتَزَوَّجَهَا كَانَ لَهُ أَجْرَانِ»[4]

وفي رواية: «إِذَا أَدَّبَ الرَّجُلُ (أَمَتَهُ) **فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا، وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا**، ثُمَّ أَعْتَقَهَا فَتَزَوَّجَهَا كَانَ لَهُ أَجْرَانِ»[5]

وفي رواية: «أَيُّمَا رَجُلٍ كَانَتْ عِنْدَهُ (وَلِيدَةٌ)، **فَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، وَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا**، ثُمَّ أَعْتَقَهَا ثُمَّ أَصْدَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ»[6]

---

[1] مسند أحمد (١٤٢٤٧)، وحسنه الأرنؤوط

[2] مسند أحمد (٨٤٢٥)، وحسنه الأرنؤوط

[3] مسند أحمد (٢٤٠٠٧)، وصححه الأرنؤوط لغيره

[4] صحيح البخاري (٢٥٤٤، ٢٥٤٧)

[5] صحيح البخاري (٣٤٤٦)

[6] صحيح البخاري (٥٠٨٣)

(١) حسن الاستقبال والاحتفاء الكبير

وَكَانَتْ فاطمة رضي الله عنها إِذَا دَخَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ (ﷺ) قَامَ إِلَيْهَا، فَرَحَّبَ بِهَا وَقَبَّلَهَا، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهَا فَجَاءَ بِهَا حَتَّى يُجْلِسَهَا فِي مَكَانِهِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا قَامَتْ إِلَيْهِ فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ، فَرَحَّبَتْ بِهِ وَقَبَّلَتْهُ، وَأَجْلَسَتْهُ فِي مَجْلِسِهَا، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ فِي مَرَضِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ، فَرَحَّبَ بِهَا (في صحيح البخاري [٣٦٢٣]: أنه ﷺ قال: «مَرْحَبًا بِابْنَتِي») وَقَبَّلَهَا[١].

وعلى الدرب سار الصحابة رضي الله عنهم فعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه عَلَى أَهْلِهِ أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَإِذَا عَائِشَةُ ابْنَتُهُ رضي الله عنها مُضْطَجِعَةٌ قَدْ أَصَابَتْهَا حُمَّى، فَأَتَاهَا أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ لَهَا: كَيْفَ أَنْتِ يَا بُنَيَّةُ؟ وَقَبَّلَ خَدَّهَا[٢].

(٢) العدل المادي والمعنوي معهن، والمطالبة لهن بحقوقهن

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) رَجُلٌ، فَجَاءَ ابْنٌ لَهُ، فَقَبَّلَهُ وَأَجْلَسَهُ عَلَى فَخِذِهِ، ثُمَّ جَاءَتْ بِنْتٌ لَهُ، ، قَالَ: "فَهَلَّا عَدَلْتَ بَيْنَهُمَا؟"[٣]

عَنْ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: «كَانُوا يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يُسَوُّوا بَيْنَ أَوْلَادِهِمْ حَتَّى فِي الْقُبَلِ»[٤]

(٣) لايستنكف من حملها وتقديرها، ومراعاة ما تحبه أمام الناس

وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ فِي الْمَسْجِدِ، نَنْتَظِرُ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) لِلصَّلَاةِ فِي الظُّهْرِ أَوْ الْعَصْرِ، وَقَدْ دَعَاهُ بِلَالٌ لِلصَّلَاةِ، إِذْ خَرَجَ إِلَيْنَا يَحْمِلُ أُمَامَةَ بِنْتَ أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ - وَأُمُّهَا زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) - وَهِيَ صَبِيَّةٌ يَحْمِلُهَا عَلَى عَاتِقِهِ، (وفي رواية: عَلَى عُنُقِهِ).

---

[١] رواه البخاري في الأدب المفرد (٩٤٧، ٩٧١)، وأبو داوود (٥٢١٧)، وصححه الألباني

[٢] صحيح البخاري (٣٧٠٤)، سنن أبي داوود (٥٢٢٢)

[٣] رواه الطحاوي (٥٨٤٧)، والبيهقي (١١٠٢٢)، وانظر: الصَّحِيحَة (٢٨٨٣، ٢٩٩٤)

[٤] النفقة على العيال لابن أبي الدنيا (١/ ١٧٤)

فَقَامَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) فِي مُصَلَّاهُ، وَقُمْنَا خَلْفَهُ، **وَهِيَ فِي مَكَانِهَا الَّذِي هِيَ فِيهِ،** قَالَ: فَكَبَّرَ، فَكَبَّرْنَا، حَتَّى إِذَا أَرَادَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) أَنْ يَرْكَعَ، **أَخَذَهَا فَوَضَعَهَا،** ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ سُجُودِهِ ثُمَّ قَامَ، **أَخَذَهَا فَرَدَّهَا فِي مَكَانِهَا،** فَمَا زَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) **يَصْنَعُ بِهَا ذَلِكَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ،** حَتَّى فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ[١].

(٤) لا يخجل من إشاعة محبته لهن وإعلانها بين الناس[٢]

- قال (ﷺ) عن خديجة رضي الله عنها: **"إنِّي قدْ رُزِقْتُ حُبَّها"**[٣]
- قال (ﷺ) عن فاطمة رضي الله عنها: "فاطِمَةُ **بَضْعَةٌ مِنِّي،** فمَن أغْضَبَها أغْضَبَنِي (يُرِيبُنِي ما أرابَها، ويُؤْذِينِي ما آذاها)"[٤]، وفي السلسلة الصحيحة (١٩٩٥): "يقبِضُني ما يقبِضُها، **ويُبسطني ما يُبسِطُها**"
- وقال (ﷺ) لَمَّا سُئِل عن **أحب الناس إليه:** "عائشة"[٥] رضي الله عنها.
- ورَأَى النبيُّ (ﷺ) **صِبْيانًا** وَنِساءً مُقْبِلِينَ مِن عُرْسٍ، **فَقامَ نَبِيُّ اللهِ (ﷺ) مُمْثِلًا،** فَقالَ: "اللَّهُمَّ **أَنْتُمْ مِن أَحَبِّ النّاسِ إلَيَّ،** اللَّهُمَّ أَنْتُمْ مِن أَحَبِّ النّاسِ إلَيَّ" يَعْنِي الأنْصارَ رضي الله عنهم (ثلاث مرار)[٦].
- وجاءَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الأنْصارِ إلى رَسولِ اللَّهِ (ﷺ) **ومعها صَبِيٌّ لَها،** فَكَلَّمَها رَسولُ اللَّهِ (ﷺ)، فَقالَ: "والذي نَفْسِي بيَدِهِ، **إنَّكُمْ أحَبُّ النّاسِ إلَيَّ**" مَرَّتَيْنِ[٧].

---

[١] البخاري (٤٩٤، ٥٦٥٠)، مسلم: ٤١، ٤٢ - (٥٤٣)، أبو داوود (٩١٨، ٩٢٠)، أحمد (٢٢٦٣٧).
[٢] نوصي بمراجعة: الاستراحة الأولى (إشاعة الحب)، والثانية (بث الأشواق) في هذا الكتاب
[٣] صحيح مسلم (٢٤٣٥)
[٤] صحيح البخاري (٣٧١٤، ٥٢٣٠)
[٥] صحيح البخاري (٣٦٦٢)
[٦] صحيح البخاري (٣٧٨٥)، صحيح مسلم (٢٥٠٨)
[٧] صحيح البخاري (٣٧٨٦)

(٥) لا يسمح بإرغامها أو ظلمها، ويكفل لها حق الاختيار

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: تُوُفِّيَ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ رضي الله عنه وَتَرَكَ ابْنَةً لَهُ مِنْ خُوَيْلَةَ بِنْتِ حَكِيمِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ الْأَوْقَصِ، قَالَ: وَأَوْصَى إِلَى أَخِيهِ قُدَامَةَ بْنِ مَظْعُونٍ رضي الله عنه قَالَ عَبْدُ اللهِ: وَهُمَا خَالَايَ. قَالَ: فَخَطَبْتُ إِلَى قُدَامَةَ بْنِ مَظْعُونٍ ابْنَةَ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ، فَزَوَّجَنِيهَا [وَلَمْ يُشَاوِرْهَا].

وَدَخَلَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ رضي الله عنه ... إِلَى أُمِّهَا، فَأَرْغَبَهَا فِي الْمَالِ، فَحَطَّتْ إِلَيْهِ، وَحَطَّتْ الْجَارِيَةُ إِلَى هَوَى أُمِّهَا، فَأَبَيَا، حَتَّى ارْتَفَعَ أَمْرُهُمَا إِلَى رَسُولِ اللهِ (ﷺ).

فَقَالَ قُدَامَةُ بْنُ مَظْعُونٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، ابْنَةُ أَخِي، أَوْصَى بِهَا إِلَيَّ، فَزَوَّجْتُهَا ابْنَ عَمَّتِهَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ، فَلَمْ أُقَصِّرْ بِهَا فِي الصَّلَاحِ وَلَا فِي الْكَفَاءَةِ، وَلَكِنَّهَا امْرَأَةٌ، وَإِنَّمَا حَطَّتْ إِلَى هَوَى أُمِّهَا.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): **"هِيَ يَتِيمَةٌ، وَلَا تُنْكَحُ إِلَّا بِإِذْنِهَا"**، قَالَ: فَانْتُزِعَتْ وَاللهِ مِنِّي بَعْدَ أَنْ مَلَكْتُهَا، فَزَوَّجُوهَا الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ[1].

وعن رَافِعِ بْنِ سِنَانٍ رضي الله عنه أَنَّهُ أَسْلَمَ وَأَبَتْ امْرَأَتُهُ أَنْ تُسْلِمَ، فَأَتَتِ النَّبِيَّ (ﷺ) فَقَالَتْ: ابْنَتِي، وَهِيَ فَطِيمٌ أَوْ شَبَهُهُ، وَقَالَ رَافِعٌ: ابْنَتِي. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ (ﷺ): «اقْعُدْ نَاحِيَةً»، وَقَالَ لَهَا: «اقْعُدِي نَاحِيَةً»، **فَأَقْعَدَ الصَّبِيَّةَ بَيْنَهُمَا، ثُمَّ قَالَ: «ادْعُوَاهَا»**، فَمَالَتْ إِلَى أُمِّهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): «اللَّهُمَّ اهْدِهَا» فَمَالَتْ إِلَى أَبِيهَا فَأَخَذَهَا[2].

(٦) يعتني بهن، ويتفاعل جيداً مع أوجاعهن وأمراضهن

وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) **رَأَى فِي بَيْتِهَا جَارِيَةً فِي وَجْهِهَا سَفْعَةٌ** (أي: صفرة وشحوب)، فَقَالَ: **«اسْتَرْقُوا لَهَا، فَإِنَّ بِهَا النَّظْرَةَ»**[3]

---

[1] سنن ابن ماجة (١٨٧٨)، ومسند أحمد (٦١٣٦)، وحسنه الألباني في الإرواء (١٨٣٥)

[2] رواه أحمد (٢٣٧٥٧)، وصححه الألباني، وفي الأمر تفصيل فقهي ليس هذا محل بسطه.

[3] صحيح البخاري (٥٧٣٩)، وصحيح مسلم: ٥٩ - (٢١٩٧)

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: جَوَّزَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) ذَاتَ يَوْمٍ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ، فَقَرَأَ بِأَقْصَرِ سُورَتَيْنِ فِي الْقُرْآنِ. فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ جَوَّزْتَ؟ قَالَ: "سَمِعْتُ بُكَاءَ صَبِيٍّ، فَظَنَنْتُ أَنَّ أُمَّهُ مَعَنَا تُصَلِّي، فَأَرَدْتُ أَنْ أُفْرِغَ لَهُ أُمَّهُ"[1]

وقال (ﷺ): "إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ وَأَنَا أُرِيدُ إِطَالَتَهَا فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ"[2]

(٧) يُهديهن ويراعي حبهن للزينة والجمال (السماح بالمُتاح من المباح)

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: أَهْدَى النَّجَاشِيُّ إِلَى رَسُول اللهِ (ﷺ) حِلْيَةً فِيهَا خَاتَمُ مِنْ ذَهَبٍ، فِيهِ فَصٌّ حَبَشِيٌّ، قَالَتْ: فَأَخَذَهُ رَسُول اللهِ (ﷺ) بِعُودٍ، أَوْ بِبَعْضِ أَصَابِعِهِ، وَإِنَّهُ لَمُعْرِضٌ عَنْهُ، ثُمَّ دَعَا بِابْنَةِ ابْنَتِهِ زَيْنَبَ (أُمَامَةَ بِنْتِ أَبِي الْعَاصِ)، فَقَالَ: "تَحَلِّي بِهَذَا يَا بُنَيَّةُ"[3]

عَنْ أُمِّ خَالِدٍ، قالت: أُتِيَ النَّبِيُّ (ﷺ) بِثِيَابٍ فِيهَا خَمِيصَةٌ سَوْدَاءُ صَغِيرَةٌ، فَقَالَ: «مَنْ تَرَوْنَ أَنْ نَكْسُوَ هَذِهِ» فَسَكَتَ القَوْمُ، قَالَ: «ائْتُونِي بِأُمِّ خَالِدٍ» فَأُتِيَ بِهَا تُحْمَلُ، فَأَخَذَ الخَمِيصَةَ فَأَلْبَسَنِيهَا بِيَدِهِ، وَقَالَ: «أَبْلِي وَأَخْلِقِي» مرتين، وَكَانَ فِيهَا عَلَمٌ أَخْضَرُ أَوْ أَصْفَرُ، مَرَّتَيْنِ، فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى عَلَمِ الخَمِيصَةِ، وَيُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَيَّ، وَيَقُولُ: «يَا أُمَّ خَالِدٍ هَذَا سَنَا، وَيَا أُمَّ خَالِدٍ هَذَا سَنَا [أي: حسن]»[4].

وعَنْ أُمِّ خَالِدٍ بِنْتِ خَالِدٍ، قَالَتْ: قَدِمْتُ مِنْ أَرْضِ الحَبَشَةِ، وَأَنَا جُوَيْرِيَةٌ، فَكَسَانِي رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) خَمِيصَةً لَهَا أَعْلاَمٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) يَمْسَحُ الأَعْلاَمَ بِيَدِهِ وَيَقُولُ: «سَنَاهْ سَنَاهْ» قَالَ الحُمَيْدِيُّ: «يَعْنِي حَسَنٌ، حَسَنٌ»[5]

---

[1] رواه أحمد (١٣٧٢٦) في المسند، وصححه الأرناؤوط، انظر: صفة الصلاة (١/ ٣٩١)

٢ البخاري (٦٧٧)، وابن ماجة (٩٨٩)، وابن خزيمة (١٦١٠)، وابن حبان (٢١٣٩).

[3] أخرجه أبو داود (٤٢٣٥)، وابن ماجه (٣٦٤٤)، وأحمد (٢٤٣٥٩)، وحسنه الألباني والأرنؤوط.

[4] صحيح البخاري (٥٨٢٣، ٥٨٤٥)، وفيه: "وَالسَّنَا بِلِسَانِ الحَبَشِيَّةِ الحَسَنُ"

[5] صحيح البخاري (٣٨٧٤)

(٨) يُثني على زينتها ومظهرها ويراعي اهتماماتها، ويدعو لها

عَنْ أُمِّ خَالِدٍ بِنْتِ خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ، قَالَتْ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) مَعَ أَبِي وَعَلَيَّ قَمِيصٌ أَصْفَرُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «سَنَهْ سَنَهْ» - قَالَ عَبْدُ اللَّهِ (أحد الرواة): وَهِيَ بِالحَبَشِيَّةِ حَسَنَةٌ - قَالَتْ: فَذَهَبْتُ أَلْعَبُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ، فَزَبَرَنِي أَبِي، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «دَعْهَا»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «أَبْلِي وَأَخْلِفِي ثُمَّ، أَبْلِي وَأَخْلِفِي، ثُمَّ أَبْلِي وَأَخْلِفِي»، وفي رواية: «أَبْلِي وَأَخْلِقِي، ثُمَّ أَبْلِي وَأَخْلِقِي، ثُمَّ أَبْلِي وَأَخْلِقِي» قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَبَقِيَتْ حَتَّى ذَكَرَ، يَعْنِي مِنْ بَقَائِهَا[1].

(٩) يراعي حبهن للفرح والمرح (السماح بالمُتاح من المباح)

وعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) قَالَ: "مَا فَعَلَتْ فُلَانَةُ؟"، لِيَتِيمَةٍ كَانَتْ عِنْدَهَا. فَقُلْتُ: أَهْدَيْنَاهَا إِلَى زَوْجِهَا.

قَالَ: "فَهَلْ بَعَثْتُمْ مَعَهَا بِجَارِيَةٍ تَضْرِبُ بِالدُّفِّ وَتُغَنِّي؟".

قُلْتُ: تَقُولُ مَاذَا؟ قَالَ: "تَقُولُ: أَتَيْنَاكُمْ أَتَيْنَاكُمْ ... فَحَيُّونَا نُحَيِّيكُمْ

وَلَوْلَا الذَّهَبُ الأَحْمَرُ ... مَا حَلَّتْ بِوَادِيكُمْ

وَلَوْلَا الْحَبَّةُ السَّمْرَاءُ ... مَا سَمِنَتْ عَذَارِيكُمْ"[2]

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) فِي أَيَّامِ مِنًى - وَرَسُولُ اللهِ (ﷺ) يَوْمَئِذٍ بِالْمَدِينَةِ - وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ مِنْ جَوَارِي الْأَنْصَارِ - وَلَيْسَتَا بِمُغَنِّيَتَيْنِ - تَضْرِبَانِ بِدُفَّيْنِ، وَتُغَنِّيَانِ بِمَا تَقَاوَلَتْ بِهِ الْأَنْصَارُ يَوْمَ بُعَاثَ، يَوْمٌ قُتِلَ فِيهِ صَنَادِيدُ (أي: السادة والزعماء) الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ، فَاضْطَجَعَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) عَلَى الْفِرَاشِ، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ، وَتَسَجَّى (أي: غطَّى وجهه) بِثَوْبِهِ.

---

[1] صحيح البخاري: (٣٠٧١، ٥٩٩٣)

[2] رواه أحمد (١٥٢٤٦)، وحسنه الألباني في الإرواء (١٩٩٥)، وآداب الزفاف (ص: ١٠٩)

فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ فَانْتَهَرَهُمَا، وَقَالَ: أَمَزَامِيرُ الشَّيْطَانِ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللهِ (ﷺ)؟ فَكَشَفَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) عَنْ وَجْهِهِ وَقَالَ: "دَعْهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّهَا أَيَّامُ عِيدٍ، إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا ، وَهَذَا عِيدُنَا" قَالَتْ ﷺ: فَلَمَّا غَفَلَ، غَمَزْتُهُمَا فَخَرَجَتَا[1].

وعن خَالِدِ بْن ذَكْوَانَ، عَنِ الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ ﷺ، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ (ﷺ) غَدَاةَ بُنِيَ عَلَيَّ، فَجَلَسَ عَلَى فِرَاشِي كَمَجْلِسِكَ مِنِّي، وَجُوَيْرِيَاتٌ يَضْرِبْنَ بِالدُّفِّ، يَنْدُبْنَ مَنْ قُتِلَ مِنْ آبَائِهِنَّ يَوْمَ بَدْرٍ، حَتَّى قَالَتْ جَارِيَةٌ: وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): «لاَ تَقُولِي هَكَذَا، وَقُولِي مَا كُنْتِ تَقُولِينَ»[2]

عَنْ أَبِي الْحُسَيْنِ خالدٍ الْمَدَنِيُّ، قَالَ: كُنَّا بِالْمَدِينَةِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَالْجَوَارِي يَضْرِبْنَ بِالدُّفِّ، وَيَتَغَنَّيْنَ، فَدَخَلْنَا عَلَى الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ، فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهَا، فَقَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) صَبِيحَةَ عُرْسِي، وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ يَتَغَنَّيَانِ، وَتَنْدُبَانِ آبَائِي الَّذِينَ قُتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ، وَتَقُولَانِ، فِيمَا تَقُولَانِ: وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ، فَقَالَ: "أَمَّا هَذَا فَلَا تَقُولُوهُ، مَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللَّهُ"[3]

(١٠) يراعي حبهن للعب ومشاهدته (السماح بالمُتاح من المباح)

عَنْ عَائِشَةَ ﷺ قَالَتْ: كَانَ الْحَبَشُ يَلْعَبُونَ بِالدَّرَقِ (أي: التُّرس إذا كانت من جلد ليس فيه خشب ولا عصب) وَالْحِرَابِ، يَوْمَ عِيدٍ، فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) وَأَنَا جَارِيَةٌ، فَزَجَرَهُمْ عُمَرُ، فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): «دَعْهُمْ أَمْنًا بَنِي أَرْفِدَةَ» يَعْنِي مِنَ الأَمْنِ.

فَدَعَانِي رَسُولُ اللهِ (ﷺ)، فَقَالَ: "يا حميراء! تَشْتَهِينَ تَنْظُرِينَ؟"، فَقُلْتُ: نَعَمْ.

---

[1] صحيح البخاري: (٩٠٧، ٩٠٩، ٩٤٤، ٩٨٨، ٢٧٥٠)، صحيح مسلم: ١٦، ١٧ - (٨٩٢)، سنن النسائي (١٥٩٧)، مسند أحمد (٢٥٠٧٢)

[2] صحيح البخاري (٥/ ٨٢)

[3] سنن ابن ماجة (١٨٩٧)، وصححه الألباني

فَجِئْتُ أَنْظُرُ، فَأَقَامَنِي وَرَاءَهُ عَلَى الْبَابِ، فَطَأْطَأَ لِي رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) مَنْكِبَيْهِ، خَدِّي عَلَى خَدِّهِ، ذَقْنِي عَلَى مَنْكِبَيْهِ، وَسَتَرَنِي بِرِدَائِهِ، يَقُومُ مِنْ أَجْلِي، حَتَّى أَكُونَ أَنَا الَّتِي أَنْصَرِفُ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى لَعِبِهِمْ.

فَمَا زِلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، حَتَّى إِذَا مَلِلْتُ قَالَ (ﷺ): "حَسْبُكِ؟"، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: "فَاذْهَبِي"، (وفي رواية: ولقد رأيته يرواح بين قدميه، فجعل يقول: "يا عائشة! ما شبعت؟" فأقول: لا، لأنظر منزلتي عنده، ما بي حب النظر إليهم ولكن أحببت أن يبلغ النساء مقامه لي ومكاني منه)

فَاقْدُرُوا قَدْرَ الْجَارِيَةِ الْعَرِبَةِ الْحَدِيثَةِ السِّنِّ، الْحَرِيصَةِ عَلَى اللَّهْوِ[1].

- قَالَتْ عائشة رضي الله عنها: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) يَوْمَئِذٍ: "**لِتَعْلَمَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى أَنَّ فِي دِينِنَا فُسْحَةً، إِنِّي أُرْسِلْتُ بِحَنِيفِيَّةٍ سَمْحَةٍ**"[2]

- وبَيْنَا الحَبَشَةُ يَلْعَبُونَ عِنْدَ النَّبِيِّ (ﷺ) بِحِرَابِهِمْ فِي المَسْجِدِ، دَخَلَ عُمَرُ رضي الله عنه فَأَهْوَى إِلَى الحَصَى فَحَصَبَهُمْ بِهَا، فَقَالَ (ﷺ): «**دَعْهُمْ يَا عُمَرُ**»[3]

- وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ، - وَهُنَّ اللُّعَبُ - عِنْدَ النَّبِيِّ (ﷺ) وَكَانَتْ لِي صَوَاحِبُ يَلْعَبْنَ مَعِي، فَرُبَّمَا دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) وَعِنْدِي الْجَوَارِي، فَإِذَا رَأَيْنَ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) تَعَمَّقْنَ مِنْهُ (أي: اختفين حياءً وهيبة)، فَإِذَا دَخَلَ خَرَجْنَ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) **يَأْخُذُهُنَّ فَيَرُدُّهُنَّ إِلَيَّ، فَيَلْعَبْنَ مَعِي**[4].

---

[1] صحيح البخاري: (٩٠٧، ٩٤٤، ٢٧٥٠، ٤٨٩٤)، صحيح مسلم: ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠ - (٨٩٢)، مسند أحمد (٢٤٨٥٤، ٢٤٨٥٥)، وانظر: آداب الزفاف للألباني (ص: ٢٧٤)

[2] مسند أحمد (٢٤٨٩٩، ٢٦٠٠٤)، وانظر: الصحيحة (١٨٢٩)

[3] متفق عليه: صحيح البخاري (٢٩٠١)، صحيح مسلم: ٢٢ - (٨٩٣)

[4] رواه البخاري (٥٧٧٩)، ومسلم (٢٤٤٠)، وأبو داوود (٤٩٣١)، وأحمد (٢٥٣٧٣)

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: خَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ (ﷺ) فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ ، وَأَنَا جَارِيَةٌ لَمْ أَحْمِلِ اللَّحْمَ، وَلَمْ أَبْدُنْ، **فَقَالَ لِلنَّاسِ: "تَقَدَّمُوا"**، فَتَقَدَّمُوا، **ثُمَّ قَالَ لِي: "تَعَالَيْ أُسَابِقْكِ"، فَسَابَقْتُهُ** عَلَى رِجْلَيَّ فَسَبَقْتُهُ، فَسَكَتَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا حَمَلْتُ اللَّحْمَ وَبَدُنْتُ وَنَسِيتُ، خَرَجْتُ مَعَهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، **فَقَالَ لِلنَّاسِ: "تَقَدَّمُوا"**، فَتَقَدَّمُوا، **ثُمَّ قَالَ لِي: "تَعَالَيْ حَتَّى أُسَابِقَكِ"**، قَالَتْ: فَسَابَقْتُهُ، فَسَبَقَنِي، **فَجَعَلَ يَضْحَكُ وَهُوَ يَقُولُ: "هَذِهِ بِتِلْكَ"**[1]

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ (ﷺ) بِخَزِيرَةٍ[2] قَدْ طَبَخْتُهَا لَهُ، فَقُلْتُ لِسَوْدَةَ - وَرَسُولُ اللهِ (ﷺ) بَيْنِي وَبَيْنَهَا -: كُلِي، فَأَبَتْ، فَقُلْتُ: لَتَأْكُلِنَّ، أَوْ لَأُلَطِّخَنَّ وَجْهَكِ، فَأَبَتْ، فَوَضَعْتُ يَدِي فِي الْخَزِيرَةِ، فَطَلَيْتُ وَجْهَهَا، **فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ)، فَوَضَعَ بِيَدِهِ لَهَا وَقَالَ لَهَا: "الْطَخِي وَجْهَهَا"، فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) لَهَا**، فَمَرَّ عُمَرُ رضي الله عنه فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ، يَا عَبْدَ اللهِ. فَظَنَّ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) أَنَّهُ سَيَدْخُلُ، فَقَالَ: "قُومَا فَاغْسِلَا وُجُوهَكُمَا"، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَمَا زِلْتُ أَهَابُ عُمَرَ، لِهَيْبَةِ رَسُولِ اللهِ (ﷺ)[3].

(١١) الممازحة والملاعبة وإدخال السرور عليها (السماح بالمُتاح من المباح)

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ (ﷺ) **يُلاعِبُ زَيْنَبَ بِنْتَ أُمِّ سَلَمَةَ**، وَهُوَ يَقُولُ: "يَا زُوَيْنِبُ، يَا زُوَيْنِبُ" مِرَارًا[4].

---

[1] رواه أحمد (٢٤١٦٥، ٢٦٣٢٠)، وأبو داوود (٢٥٧٨)، وانظر: الصحيحة (١٣١)

[2] الخَزيرَة: لَحْمٌ يَقطَّع صغارا، ويُصَبُّ عليه ماءٌ كَثِير، فإذا نَضِج، ذُرَّ عليه الدَّقيق، فإن لم يكن فيها لحم، فهي عَصِيدَة، وقيل: هي حَساء من دقيق ودَسَم، وقيل: إذا كان من دَقيق، فهي حَرِيرَة، وإذا كان من نُخَالة، فهو خَزِيرَة. النهاية في غريب الأثر (٢/٧٢)

[3] رواه أبو يعلى (٤٤٧٦)، وانظر: الصَّحِيحَة (٣١٣١)

[4] الضياء (١٧٣٣)، انظر: صَحِيح الْجَامِع (٥٠٢٥)، الصَّحِيحَة (٢١٤١)

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: كَانَتْ عِنْدَ أُمِّ سُلَيْمٍ ﷺ يَتِيمَةٌ، فَرَأَى رَسُولُ اللهِ (ﷺ) الْيَتِيمَةَ ، فَقَالَ: "أَأَنْتِ هِيَهْ؟، لَقَدْ كَبِرْتِ لَا كَبِرَ سِنُّكِ".

فَرَجَعَتِ الْيَتِيمَةُ إِلَى أُمِّ سُلَيْمٍ تَبْكِي، فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: مَا لَكِ يَا بُنَيَّةُ؟ ، فَقَالَتِ الْجَارِيَةُ: دَعَا عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) أَنْ لَا يَكْبَرَ سِنِّي، فَالْآنَ لَا يَكْبَرُ سِنِّي أَبَدًا.

فَخَرَجَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ مُسْتَعْجِلَةً تَلُوثُ خِمَارَهَا[1] حَتَّى لَقِيَتْ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ (ﷺ): "مَا لَكِ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ؟". فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللهِ ، أَدَعَوْتَ عَلَى يَتِيمَتِي؟ قَالَ: "وَمَا ذَاكِ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ؟"، قَالَتْ: زَعَمَتْ أَنَّكَ دَعَوْتَ أَنْ لَا يَكْبَرَ سِنُّهَا.

فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) ثُمَّ قَالَ: "يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، أَمَا تَعْلَمِينَ أَنِّي اشْتَرَطْتُ عَلَى رَبِّي فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَرْضَى كَمَا يَرْضَى الْبَشَرُ، وَأَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ، وَإِنِّي قَدْ اتَّخَذْتُ عِنْدَكَ عَهْدًا لَنْ تُخْلِفَنِيهِ، فَأَيُّمَا أَحَدٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ سَبَبْتُهُ، أَوْ شَتَمْتُهُ، أَوْ لَعَنْتُهُ، أَوْ آذَيْتُهُ، أَوْ جَلَدْتُهُ، أَوْ دَعَوْتُ عَلَيْهِ بِدَعْوَةٍ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ، أَنْ تَجْعَلَهَا لَهُ طَهُورًا، وَزَكَاةً، وَرَحْمَةً وَقُرْبَةً تُقَرِّبُهُ بِهَا مِنْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[2]

(١٢) يُقَدِّرُ اهتماماتهن، ولا يُهَوِّن منها، ويتحاور معهن حولها

وَعَنْ عَائِشَةَ ﷺ قَالَتْ: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَفِي سَهْوَتِهَا (السهوة تجويف في داخل بالحائط) سِتْرٌ، فَهَبَّتْ رِيحٌ فَكَشَفَتْ نَاحِيَةَ السِّتْرِ عَنْ بَنَاتٍ لُعَبٍ لِي، فَقَالَ (ﷺ): "مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ؟".

قُلْتُ: بَنَاتِي.

وَرَأَى بَيْنَهُنَّ فَرَسًا لَهُ جَنَاحَانِ مِنْ رِقَاعٍ، فَقَالَ: "مَا هَذَا الَّذِي أَرَى وَسْطَهُنَّ؟".

قُلْتُ: فَرَسٌ.

---

[1] أَيْ: تُدِيرهُ عَلَى رَاسِهَا.

[2] صحيح البخاري (٦٠٠٠)، مسلم (٢٦٠١، ٢٦٠٣)

قَالَ: "وَمَا هَذَا الَّذِي عَلَيْهِ؟".

قُلْتُ: جَنَاحَانِ. قَالَ: "فَرَسٌ لَهُ جَنَاحَانِ؟".

قُلْتُ: أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ لِسُلَيْمَانَ خَيْلًا لَهَا أَجْنِحَةٌ؟ فَضَحِكَ حَتَّى رَأَيْتُ نَوَاجِذَه"[1]

(١٣) تكليفهن بالمهام ثقةً فيهن، واحتراماً لقدراتهن، وتطويراً لإمكانياتهن

عَنِ الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ، قَالَتْ: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ (ﷺ) نَسْقِي وَنُدَاوِي الجَرْحَى، وَنَرُدُّ القَتْلَى إِلَى المَدِينَةِ»[2]

[1] سنن أبي داوود (٤٩٣٢)، وصححه الألباني ، (النواجذ): أواخُر الأسنان، وقيل: التي بعد الأنياب.

[2] صحيح البخاري (٢٨٨٢)

ثانياً: التعامل مع الأيتام الكِرام

- قال (ﷺ): "أنَا وكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ"، وَأَشَارَ بِأُصْبُعَيْهِ يَعْنِي السَّبَّابَةَ وَالْوُسْطَى[1]. وفي رواية: "كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ، أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ" وَأَشَارَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى وَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا قَلِيلًا"[2]
- وقال (ﷺ): "وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَى يَتِيمَةٍ أَوْ يَتِيمٍ عِنْدَهُ كُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ"، وَقَرَنَ بَيْنَ أُصْبُعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى[3]
- وقال (ﷺ) أيضًا: "مَنْ ضَمَّ يَتِيمًا بَيْنَ أَبَوَيْنِ مُسْلِمَيْنِ إِلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ حَتَّى يَسْتَغْنِيَ عَنْهُ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ الْبَتَّةَ"[4].
- عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: أتى النبيَّ (ﷺ) رجلٌ يشكو قَسوةَ قلبِهِ. قال: "أتُحِبُّ أنْ يلينَ قلبُك، وتُدرِكَ حاجتَك؟ ارْحَمِ اليتيمَ، وامسَحْ رأْسه، وأطْعِمْهُ مِنْ طَعامِك؛ يَلِنْ قلبُكْ، وتُدرِكْ حاجتَك"[5]. وفي رواية: «أدنِ اليتيم منك، وألطِفه، وامسح برأسه، وأطعمه من طعامك، فإن ذلك يلين قلبك، وتدرك حاجتك»[6].
- وقَالَ (ﷺ): "أَنَا وَامْرَأَةٌ سَفْعَاءُ الْخَدَّيْنِ كَهَاتَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"، وَجَمَعَ بَيْنَ أُصْبُعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى، "امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ آمَتْ مِنْ زَوْجِهَا، حَبَسَتْ نَفْسَهَا عَلَى أَيْتَامِهَا حَتَّى بَانُوا أَوْ مَاتُوا"[7]

---

[1] صحيح البخاري (٥٦٥٩).
[2] صحيح البخاري (٥٦٥٩)، ومسلم (٤٢ - ٢٩٨٣)، الصحيحة (٨٠٠)
[3] مسند أحمد ط الرسالة (٣٦/ ٤٧٤) وصححه الأرنؤوط
[4] صحيح الترغيب والترهيب (٦٧٦/٢)
[5] صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٦٧٦)
[6] صحيح الجامع (١/ ١٠٨)
[7] مسند أحمد ط الرسالة (٣٩/ ٤٣٢) وحسنه الأرنؤوط

(١) يواسيهم ويرحمهم ويقدر أحزانهم ويشاركهم وجدانيا

وَعَنْ بَشِيرِ بْنِ عَقْرَبَةَ ﵁ قَالَ: اسْتُشْهِدَ أَبِي مَعَ النَّبِيِّ (ﷺ) فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ، فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللهِ (ﷺ) وَأَنَا أَبْكِي، فَقَالَ لِيَ: "اسْكُنْ، أَمَا تَرْضَى أَنْ أَكُونَ أَنَا أَبُوكَ وَعَائِشَةُ أُمُّكَ؟"، قُلْتُ: بَلَى بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ[١].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ﵄، أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) أَمْهَلَ آلَ جَعْفَرٍ ثَلَاثًا أَنْ يَأْتِيَهُمْ، ثُمَّ أَتَاهُمْ، فَقَالَ: "لَا تَبْكُوا عَلَى أَخِي بَعْدَ الْيَوْمِ"، ثُمَّ قَالَ: "ادْعُوا لِي بَنِي أَخِي"، فَجِيءَ بِنَا كَأَنَّا أَفْرُخٌ، فَقَالَ: "ادْعُوا لِي الْحَلَّاقَ"، فَأَمَرَهُ فَحَلَقَ رُءُوسَنَا.

ثُمَّ قَالَ: "أَمَّا مُحَمَّدٌ فَشَبِيهُ عَمِّنَا أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ فَشَبِيهُ خَلْقِي وَخُلُقِي" ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَأَشَالَهَا، فَقَالَ: "اللَّهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَرًا فِي أَهْلِهِ، وَبَارِكْ لِعَبْدِ اللَّهِ فِي صَفْقَةِ يَمِينِهِ"، قَالَهَا ثَلَاثَ مِرَارٍ.

قَالَ: فَجَاءَتِ أُمُّنَا فَذَكَرَتْ لَهُ يُتْمَنَا، وَجَعَلَتْ تُفْرِحُ لَهُ، فَقَالَ: "الْعَيْلَةَ تَخَافِينَ عَلَيْهِمْ وَأَنَا وَلِيُّهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ"[٢]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ﵄، قَالَ: لَمَّا جَاءَ نَعْيُ جَعْفَرٍ حِينَ قُتِلَ، قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): "اصْنَعُوا لِآلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا، فَقَدْ أَتَاهُمْ أَمْرٌ يَشْغَلُهُمْ (أَوْ أَتَاهُمْ مَا يَشْغَلُهُمْ)"[٣]

وعن عبد الله بن جعفر ﵄، قال: لَوْ رَأَيْتَنِي وَقُثَمَ وَعُبَيْدَ اللَّهِ ابْنَيْ عَبَّاسٍ، وَنَحْنُ صِبْيَانٌ نَلْعَبُ، إِذْ مَرَّ النَّبِيُّ (ﷺ) عَلَى دَابَّةٍ، فَقَالَ: "ارْفَعُوا هَذَا إِلَيَّ" قَالَ: فَحَمَلَنِي أَمَامَهُ ... ثُمَّ مَسَحَ عَلَى رَأْسِي ثَلَاثًا، وَقَالَ كُلَّمَا مَسَحَ: "اللَّهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَرًا فِي وَلَدِهِ"[٤].

---

[١] انظر: السلسلة الصَّحِيحَة (٣٢٤٩).

[٢] سنن أبي داوود (٤١٩٢)، مسند أحمد (١٧٥٠، ١٧٥١)، وصححه شاكر والألباني

[٣] مسند أحمد (١٧٥٠، ١٧٥١)، وصححه شاكر والألباني

[٤] مسند أحمد (١٧٦٠)، وانظر: صحيح الأدب المفرد (ص: ٧٥)

(٢) يحسن العناية بهم والتفاعل المتكامل معهم في مرضهم

وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ﵂: أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) رَأَى فِي بَيْتِهَا جَارِيَةً فِي وَجْهِهَا سَفْعَةٌ (أي: صفرة وشحوب)، فَقَالَ: «اسْتَرْقُوا لَهَا، فَإِنَّ بِهَا النَّظْرَةَ»[1]

وقَالَ النبي (ﷺ) لأَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ ﵂ (زوج جعفر بن أبي طالب ﵁): «مَا لِي أَرَى أَجْسَامَ بَنِي أَخِي ضَارِعَةً (أي: نحيفة)! تُصِيبُهُمُ الْحَاجَةُ؟» قَالَتْ: لاَ وَلَكِنِ الْعَيْنُ تُسْرِعُ إِلَيْهِمْ. قَالَ: «ارْقِيهِمْ». قَالَتْ فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: «ارْقِيهِمْ»[2].

(٣) لا يستنكف من حملهم وإدخال السرور عليهم، ومراعاة مشاعرهم

وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ ﵁ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ فِي الْمَسْجِدِ، نَنْتَظِرُ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) لِلصَلَاةِ فِي الظُّهْرِ أَوْ الْعَصْرِ، وَقَدْ دَعَاهُ بِلَالٌ لِلصَلَاةِ، إِذْ خَرَجَ إِلَيْنَا يَحْمِلُ أُمَامَةَ بِنْتَ أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ - وَأُمُّهَا زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) - وَهِيَ صَبِيَّةٌ يَحْمِلُهَا عَلَى عَاتِقِهِ، (وفي رواية: عَلَى عُنُقِهِ).

فَقَامَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) فِي مُصَلَّاهُ، وَقُمْنَا خَلْفَهُ، وَهِيَ فِي مَكَانِهَا الَّذِي هِيَ فِيهِ، قَالَ: فَكَبَّرَ، فَكَبَّرْنَا، حَتَّى إِذَا أَرَادَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) أَنْ يَرْكَعَ، أَخَذَهَا فَوَضَعَهَا، ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ سُجُودِهِ ثُمَّ قَامَ، أَخَذَهَا فَرَدَّهَا فِي مَكَانِهَا، فَمَا زَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) يَصْنَعُ بِهَا ذَلِكَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، حَتَّى فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ[3].

(٤) يستقبلهم أحسن استقبال

يقول عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ﵁: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، تُلُقِّيَ بِصِبْيَانِ أَهْلِ بَيْتِهِ ... وَإِنَّهُ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، فَسُبِقَ بِي إِلَيْهِ، فَحَمَلَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ جِيءَ بِأَحَدِ ابْنَيْ فَاطِمَةَ، فَأَرْدَفَهُ خَلْفَهُ ... فَأُدْخِلْنَا الْمَدِينَةَ ثَلَاثَةً عَلَى دَابَّةٍ[4].

---

[1] صحيح البخاري (٥٧٣٩)، وصحيح مسلم: ٥٩ - (٢١٩٧)

[2] صحيح مسلم: ٦٠ - (٢١٩٨)

[3] البخاري (٤٩٤، ٥٦٥٠)، مسلم: ٤١، ٤٢ - (٥٤٣)، أبو داوود (٩١٨، ٩٢٠)، أحمد (٢٢٦٣٧).

٤ مسلم (٢٤٢٨)، والنسائي في سننه الكبرى (٤٢٤٦).

(٥) يخالطهم ويتواضع لهم ويتبسط معهم في الأكل والشرب وغيرها

عَنْ أَنَسٍ ﵁، دَخلَ النَّبِيُّ (ﷺ)، عَلَى أُمِّ سُلَيْمٍ ﵂، فَأَتَتْهُ بِتَمْرٍ وَسَمْنٍ، قَالَ: «أَعِيدُوا سَمْنَكُمْ فِي سِقَائِهِ، وَتَمْرَكُمْ فِي وِعَائِهِ، فَإِنِّي صَائِمٌ».

ثُمَّ قَامَ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ البَيْتِ، [فَقَالَ: «قُومُوا فَلِأُصَلِّي لَكُمْ»]، [فَأَقَامَ أُمَّ حَرَامٍ، وَأُمَّ سُلَيْمٍ خَلْفَنَا، وَأَقَامَنِي عَنْ يَمِينِهِ]، فَصَلَّى غَيْرَ المَكْتُوبَةِ، [فَصَلَّيْنَا بِصَلَاتِهِ]، **فَدَعَا لِأُمِّ سُلَيْمٍ وَأَهْلِ بَيْتِهَا** [بِكُلِّ خَيْرٍ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ]، فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ ﵂: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي خُوَيْصَّةً، قَالَ: «مَا هِيَ؟»، قَالَتْ: خَادِمُكَ أَنَسٌ، فَمَا تَرَكَ خَيْرَ آخِرَةٍ وَلاَ دُنْيَا إِلَّا دَعَا لِي بِهِ، وَكَانَ فِي آخِرِ مَا دَعَا لِي بِهِ أَنْ قَالَ: **«اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ مَالًا وَوَلَدًا، وَبَارِكْ لَهُ فِيهِ** (وفي رواية: اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ، وَوَلَدَهُ، وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتَهُ)»، فَإِنِّي لَمِنْ أَكْثَرِ الأَنْصَارِ مَالًا، وَحَدَّثَتْنِي ابْنَتِي أُمَيْنَةُ: أَنَّهُ دُفِنَ لِصُلْبِي مَقْدَمَ حَجَّاجٍ البَصْرَةَ بِضْعٌ وَعِشْرُونَ وَمِائَةٌ[1].

(٦) يسأل عنهم ويتفقدهم ويزورهم في بيوتهم ويدعو لهم.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) **أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا**، إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) **لَيُلَاطِفُنَا كَثِيرًا**، وَكَانَ **يَدْخُلُ عَلَيْنَا** (وفي رواية: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) **يُخَالِطُنَا**)، وَلِي أَخٌ صَغِيرٌ (فَطِيمًا)، يُكْنَى: أَبَا عُمَيْرٍ، فَكَانَ النَّبِيُّ (ﷺ) **يُضَاحِكُهُ** (وفي رواية: **يُمَازِحُهُ**)، وَكَانَ لَهُ نُغَرٌ[2] يَلْعَبُ بِهِ، وَكَانَ (ﷺ) إِذَا جَاءَ قَالَ: **«يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟»**، فَمَاتَ (أَي: النُغَر)، فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) ذَاتَ يَوْمٍ فَرَآهُ حَزِينًا، فَقَالَ: مَا شَأْنُهُ؟، قَالُوا: مَاتَ نُغَرُهُ، فَقَالَ: **"يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟"**، وَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَنَضَحْنَا بُسَاطًا لَنَا، **فَصَلَّى عَلَيْهِ وَصَففْنَا خَلْفَهُ**[3].

---

[1] البخاري (١٩٨٢، ٦٣٣٤)، ومسلم: ١٤٢ – (٢٤٨١)، مسند أحمد (١٢٩٣٥، ١٣٠١٣، ١٣٥٩٤)

[2] قال في عون المعبود (١١/٢): "طَائِر يُشْبِه الْعُصْفُور، أَحْمَر الْمِنْقَار ... أَهْل الْمَدِينَة يُسَمُّونَهُ الْبُلْبُل"

[3] البخاري (٥٨٥٠)، مسلم: ٣٠ - (٢١٥٠)، أبو داوود (٤٩٦٩)، الترمذي (٣٣٣)، أحمد (١٢١٣٧).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) أَمْهَلَ آلَ جَعْفَرٍ ثَلاثًا أَنْ يَأْتِيَهُمْ، ثُمَّ أَتَاهُمْ، فَقَالَ: "لَا تَبْكُوا عَلَى أَخِي بَعْدَ الْيَوْمِ"، ثُمَّ قَالَ: "ادْعُوا لِي بَنِي أَخِي"، فَجِيءَ بِنَا كَأَنَّا أَفْرُخٌ، فَقَالَ: "ادْعُوا لِي الْحَلَّاقَ"، فَأَمَرَهُ فَحَلَقَ رُءُوسَنَا.

ثُمَّ قَالَ: "أَمَّا مُحَمَّدٌ فَشَبِيهُ عَمِّنَا أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ فَشَبِيهُ خَلْقِي وَخُلُقِي" ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَأَشَالَهَا، فَقَالَ: "اللَّهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَرًا فِي أَهْلِهِ، وَبَارِكْ لِعَبْدِ اللَّهِ فِي صَفْقَةِ يَمِينِهِ"، قَالَهَا ثَلَاثَ مِرَارٍ.

قَالَ: فَجَاءَتِ أُمُّنَا فَذَكَرَتْ لَهُ يُتْمَنَا، وَجَعَلَتْ تُفْرِحُ لَهُ، فَقَالَ: "الْعَيْلَةَ تَخَافِينَ عَلَيْهِمْ وَأَنَا وَلِيُّهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ"[1]

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) قَالَ لأَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ (زوج جعفر بن أبي طالب) رضي الله عنه: «مَا لِى أَرَى أَجْسَامَ بَنِى أَخِى ضَارِعَةً (أي: نحيفة)! تُصِيبُهُمُ الْحَاجَةُ؟» قَالَتْ: لاَ وَلَكِنِ الْعَيْنُ تُسْرِعُ إِلَيْهِمْ. قَالَ: «ارْقِيهِمْ». قَالَتْ فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: «ارْقِيهِمْ»[2].

(٧) يُهديهم ويراعي حبهم للجمال والزينة

أَهْدَى النَّجَاشِيُّ إِلَى رَسُول اللهِ (ﷺ) حِلْيَةً فِيهَا خَاتَمُ مِنْ ذَهَبٍ، فِيهِ فَصٌّ حَبَشِيٌّ، قَالَتْ: فَأَخَذَهُ رَسُول اللهِ (ﷺ) بِعُودٍ، أَوْ بِبَعْضِ أَصَابِعِهِ، وَإِنَّهُ لَمُعْرِضٌ عَنْهُ، ثُمَّ دَعَا بِابْنَةِ ابْنَتِهِ زَيْنَبَ (أُمَامَةَ بِنْتِ أَبِي الْعَاصِ)، فَقَالَ: "تَحَلِّي بِهَذَا يَا بُنَيَّةُ"[3]

(٨) يُقدِّر حاجتهم للعب، ويسمح لهم، ولا يُكدِّر عليهم سعادتهم

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: "أَتَى عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَسَلَّمَ عَلَيْنَا، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَأَرْسَلَنِي بِرِسَالَةٍ، وَقَعَدَ فِي ظِلِّ جِدَارٍ حَتَّى رَجَعْتُ إِلَيْهِ.

[1] سنن أبي داوود (٤١٩٢)، مسند أحمد (١٧٥٠، ١٧٥١)، وصححه شاكر والألباني

[2] صحيح مسلم: ٦٠ - (٢١٩٨)

[3] أخرجه أبو داود (٤٢٣٥)، وابن ماجه (٣٦٤٤)، وأحمد (٢٤٣٥٩)، وحسنه الألباني والأرنؤوط.

فَبَلَّغْتُ الرِّسَالَةَ الَّتِي بَعَثَنِي فِيهَا، فَأَبْطَأْتُ عَلَى أُمِّي، فَلَمَّا جِئْتُ قَالَتْ: مَا حَبَسَكَ؟، قُلْتُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ (ﷺ) لِحَاجَةٍ، قَالَتْ: مَا حَاجَتُهُ؟، قُلْتُ: إِنَّهَا سِرٌّ، قَالَتْ: لَا تُحَدِّثَنَّ بِسِرِّ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) أَحَدًا[1].

(٩) يدخل السرور عليهم ويراعي محبتهم للفرح والبهجة والمرح

وَعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ﭬ، عَنْ عَائِشَةَ ﭫ أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) قَالَ: "مَا فَعَلَتْ فُلَانَةُ؟"، لِيَتِيمَةٍ كَانَتْ عِنْدَهَا.

فَقُلْتُ: أَهْدَيْنَاهَا إِلَى زَوْجِهَا.

قَالَ: "فَهَلْ بَعَثْتُمْ مَعَهَا بِجَارِيَةٍ تَضْرِبُ بِالدُّفِّ وَتُغَنِّي؟".

قُلْتُ: تَقُولُ مَاذَا؟

قَالَ: "تَقُولُ: أَتَيْنَاكُمْ أَتَيْنَاكُمْ ... فَحَيُّونَا نُحَيِّيكُمْ

وَلَوْلَا الذَّهَبُ الأَحْمَرُ ... مَا حَلَّتْ بِوَادِيكُمْ

وَلَوْلَا الْحَبَّةُ السَّمْرَاءُ ... مَا سَمِنَتْ عَذَارِيكُمْ"[2]

(١٠) يمازحهم ويضاحكهم ويتودد إليهم

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﭬ قَالَ: رُبَّمَا قَالَ لِيَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): "يَا ذَا الْأُذُنَيْنِ"، قَالَ أَبُو أُسَامَةَ (أحد الرواة): يَعْنِي: يُمَازِحُهُ[3].

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﭬ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ (ﷺ) يُلَاعِبُ زَيْنَبَ بِنْتَ أُمِّ سَلَمَةَ، وَهُوَ يَقُولُ: "يَا زُوَيْنِبُ، يَا زُوَيْنِبُ" مِرَارًا[4].

---

[1] والحديث بمجموع رواياته في: البخاري (٥٩٣١)، مسلم: (٢٤٨٢)، وأحمد (١٢٠٧٩، ١٣٠٥٤، ١٣٤٠٤)، وعن أبي داوود (٤٩٦/٧): أتى رسولُ الله (ﷺ) على غلمانٍ يلعبُونَ، فسلَّم عليهم.

[2] رواه أحمد (١٥٢٤٦)، وحسنه الألباني في الإرواء (١٩٩٥)، وآداب الزفاف (ص: ١٠٩)

[3] الترمذي (٣٨٢٨)، وأبو داوود (٥٠٠٢)، وحسنه الألباني في مختصر الشمائل (٢٠٠).

[4] الضياء (١٧٣٣)، انظر: صَحِيح الْجَامِع (٥٠٢٥)، الصَّحِيحَة (٢١٤١)

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ قَالَ: كَانَتْ عِنْدَ أُمِّ سُلَيْمٍ ﵂ يَتِيمَةٌ، فَرَأَى رَسُولُ اللهِ (ﷺ) الْيَتِيمَةَ ، فَقَالَ: "أَأَنْتِ هِيَهْ؟، لَقَدْ كَبِرْتِ لَا كَبِرَ سِنُّكِ".

فَرَجَعَتِ الْيَتِيمَةُ إِلَى أُمِّ سُلَيْمٍ تَبْكِي، فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: مَا لَكِ يَا بُنَيَّةُ؟ ، فَقَالَتِ الْجَارِيَةُ: دَعَا عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) أَنْ لَا يَكْبَرَ سِنِّي، فَالْآنَ لَا يَكْبُرُ سِنِّي أَبَدًا.

فَخَرَجَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ مُسْتَعْجِلَةً تَلُوثُ خِمَارَهَا[1] حَتَّى لَقِيَتْ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ (ﷺ): "مَا لَكِ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ؟".

فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللهِ ، أَدَعَوْتَ عَلَى يَتِيمَتِي؟ قَالَ: "وَمَا ذَاكِ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ؟"، قَالَتْ: زَعَمَتْ أَنَّكَ دَعَوْتَ أَنْ لَا يَكْبَرَ سِنُّهَا.

فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) ثُمَّ قَالَ: "يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، أَمَا تَعْلَمِينَ أَنِّي اشْتَرَطْتُ عَلَى رَبِّي فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَرْضَى كَمَا يَرْضَى الْبَشَرُ، وَأَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ، وَإِنِّي قَدْ اتَّخَذْتُ عِنْدَكَ عَهْدًا لَنْ تُخْلِفَنِيهِ، فَأَيُّمَا أَحَدٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ سَبَبْتُهُ، أَوْ شَتَمْتُهُ، أَوْ لَعَنْتُهُ، أَوْ آذَيْتُهُ، أَوْ جَلَدْتُهُ، أَوْ دَعَوْتُ عَلَيْهِ بِدَعْوَةٍ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ، أَنْ تَجْعَلَهَا لَهُ طَهُورًا، وَزَكَاةً، وَرَحْمَةً وَقُرْبَةً تُقَرِّبُهُ بِهَا مِنْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[2]

(١١) يتغاضي عن الأخطاء التي كان سببها التعلق الشديد باللعب

قال أنس ﵁: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا. أَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ ... فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ.

فَإِذَا رَسُولُ اللهِ (ﷺ) قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي. فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: "يَا أُنَيْسُ، أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟" فَقُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ يَا رَسُولَ اللهِ[3].

---

[1] أَيْ: تُدِيرهُ عَلَى رَاسِهَا.

[2] صحيح البخاري (٦٠٠٠)، مسلم (٢٦٠١، ٢٦٠٣)

[3] نفس المراجع في الهامش السابق.

(١٢) يأمر بالعدل معهم، ويمنع ظلمهم، ويقدمهم على غيرهم

عَنْ ضُبَاعَةَ بِنْتِ الزُّبَيْرِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنها قَالَتْ: أَصَابَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) سَبْيًا، فَذَهَبْتُ أَنَا وَأُخْتِي وَفَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) فَشَكَوْنَا إِلَيْهِ مَا نَحْنُ فِيهِ، وَسَأَلْنَاهُ أَنْ يَأمُرَ لَنَا بِشَيْءٍ مِنْ السَّبْيِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): "سَبقَكُنَّ يَتَامَى بَدْرٍ، لَكِنْ سَأَدُلُّكُنَّ عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَكُنَّ مِنْ ذَلِك، تُكَبِّرْنَ الله عَلَى إِثْرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ تَكْبِيرَةً، وَثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ تَسْبِيحَةً، وَثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ تَحْمِيدَةً، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"[1]

وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، مِمَّا أَضْرِبُ مِنْهُ يَتِيمِي؟ قَالَ: "مِمَّا كُنْتَ ضَارِبًا مِنْهُ وَلَدَكَ، غَيْرَ وَاقٍ مَالَكَ بِمَالِهِ، وَلَا مُتَأَثِّلٍ (أي: جامع) مِنْ مَالِهِ مَالًا"[2]

وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما، قال: لَوْ رَأَيْتَنِي وَقُثَمَ وَعُبَيْدَ اللَّهِ ابْنَيْ عَبَّاسٍ، وَنَحْنُ صِبْيَانٌ نَلْعَبُ، إِذْ مَرَّ النَّبِيُّ (ﷺ) عَلَى دَابَّةٍ، فَقَالَ: "ارْفَعُوا هَذَا إِلَيَّ" قَالَ: فَحَمَلَنِي أَمَامَهُ، وَقَالَ لِقُثَمَ: "ارْفَعُوا هَذَا إِلَيَّ" فَجَعَلَهُ وَرَاءَهُ، وَكَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ أَحَبَّ إِلَى عَبَّاسٍ مِنْ قُثَمَ، فَمَا اسْتَحَى مِنْ عَمِّهِ أَنْ حَمَلَ قُثَمًا وَتَرَكَهُ، قَالَ: ثُمَّ مَسَحَ عَلَى رَأْسِي ثَلاثًا، وَقَالَ كُلَّمَا مَسَحَ: "اللَّهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَرًا فِي وَلَدِهِ"[3].

ويقول عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، تُلُقِّيَ بِصِبْيَانِ أَهْلِ بَيْتِهِ ... وَإِنَّهُ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، فَسُبِقَ بِي إِلَيْهِ، فَحَمَلَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ جِيءَ بِأَحَدِ ابْنَيْ فَاطِمَةَ، فَأَرْدَفَهُ خَلْفَهُ ... فَأُدْخِلْنَا الْمَدِينَةَ ثَلَاثَةً عَلَى دَابَّةٍ[4].

---

[1] سنن أبي داوود (٢٩٨٧)، وانظر: الصَّحِيحَة (١٨٨٢)

[2] صحيح ابن حبان (٤٢٤٤)، وانظر: صحيح موارد الظمآن (١٧٢٠)

[3] مسند أحمد (١٧٦٠)، وانظر: صحيح الأدب المفرد (ص: ٧٥)

٤ مسلم (٢٤٢٨)، والنسائي في سننه الكبرى (٤٢٤٦).

(١٣) يشجعهم ويصنع طموحهم

فقد قَالَ رسول الله (ﷺ) عنه أمام أمه وإخوته لما زارهم في بيتهم: "أَمَّا مُحَمَّدٌ فَشَبِيهُ عَمِّنَا أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ فَشَبِيهُ خَلْقِي وَخُلُقِي" **ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ فَأَشَالَهَا**، فَقَالَ: "**اللَّهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَرًا فِي أَهْلِهِ، وَبَارِكْ لِعَبْدِ اللَّهِ فِي صَفْقَةِ يَمِينِهِ**"، **قَالَهَا ثَلَاثَ مِرَارٍ**"[١]

فقد تضمنت تلك الدعوات والكلمات **ثناءً ضمنياً عليه، وتشجيعاً له**، وتأكيداً على ما ينبغي أن يحرص عليه من التميز ومن أن يكون **خير خَلَفٍ لوالده**.

وعلى الدرب سار الصحابة ﷺ فعَنِ الشَّعْبِيِّ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ ﷺ، كَانَ إِذَا سَلَّمَ عَلَى ابْنِ جَعْفَرٍ ﷺ، قَالَ: «**السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ ذِي الجَنَاحَيْنِ**»[٢]

(١٤) يقبل هداياهم، ويشجعهم عملياً على التشبه بالكبار في الإنجاز

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: كُنْتُ غُلَامًا حَزَوَّرًا **فَصِدْتُ أَرْنَبًا فَشَوَيْتُهَا**، فَبَعَثَ مَعِي أَبُو طَلْحَةَ ﷺ بِعَجُزِهَا إِلَى النَّبِيِّ (ﷺ): "**فَأَتَيْتُهُ بِهَا فَقَبِلَهَا**"[٣]

(١٥) يخاطبهم خطابات تدبرية حكيمة كالكبار، احتراماً لعقولهم

قال رسول الله (ﷺ) يوماً لأنس بن مالكٍ ﷺ: «يَا بُنَيِّ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ فَسَلِّمْ **فتكُونُ بَرَكَةً عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِك**»[٤]. فلم يكتفِ (ﷺ) بمجرد التوجيه أو التوصية "فَسَلِّمْ"، بل **شفع ذلك، بالعواقب الحسنة** للاستجابة لتلك الوصية والمحفزات التي تجعل استجابته **أسرع وأيسر وأتم وأدوم**.

---

[١] سنن أبي داوود (٤١٩٢)، مسند أحمد (١٧٥٠، ١٧٥١)، وصححه شاكر والألباني

[٢] صحيح البخاري: (٣٧٠٩)

[٣] سنن أبي داوود (٣٧٩١)، وصححه الألباني

[٤] صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٦٦)

(١٦) يزرع في نفوسهم الثقة، ويحملهم الأسرار، ويُقَرِّبهم كالكبار

عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ ﵁، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ قَالَ: "أَتَى عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَسَلَّمَ عَلَيْنَا، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَأَرْسَلَنِي بِرِسَالَةٍ، وَقَعَدَ فِي ظِلِّ جِدَارٍ حَتَّى رَجَعْتُ إِلَيْهِ. فَبَلَّغْتُ الرِّسَالَةَ الَّتِي بَعَثَنِي فِيهَا، فَأَبْطَأْتُ عَلَى أُمِّي، فَلَمَّا جِئْتُ قَالَتْ: مَا حَبَسَكَ؟، قُلْتُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ (ﷺ) لِحَاجَةٍ، قَالَتْ: مَا حَاجَتُهُ؟، قُلْتُ: إِنَّهَا سِرٌّ، قَالَتْ: لَا تُحَدِّثَنَّ بِسِرِّ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) أَحَدًا.

فَقُلْتُ: يَا أَبَا حَمْزَةَ، أَتَحْفَظُ تِلْكَ الْحَاجَةَ الْيَوْمَ؟ أَوْ تَذْكُرُهَا؟، قَالَ ﵁: إِي وَاللهِ إِنِّي لَأَذْكُرُهَا، وَلَوْ كُنْتُ مُحَدِّثًا بِهَا أَحَدًا مِنْ النَّاسِ، لَحَدَّثْتُكَ بِهَا يَا ثَابِتُ[1].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ ﵁، قَالَ: أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللهِ (ﷺ) ذَاتَ يَوْمٍ خَلْفَهُ. فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ[2]. وفي مسند أحمد (١٧٥٤): قال الْحَسَن بْن سَعْدٍ: فَحَرَّجْنَا عَلَيْهِ أَنْ يُحَدِّثَنَا، فَقَالَ عَبْد اللهِ بْن جَعْفَرٍ: لَا أُفْشِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) سِرَّهُ حَتَّى أَلْقَى اللَّه.

(١٧) تكليفهم بالمهام ثقةً فيهم، واحتراماً لقدراتهم، وتطويراً لإمكانياتهم

عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ ﵁، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ قَالَ: "أَتَى عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَسَلَّمَ عَلَيْنَا، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَأَرْسَلَنِي بِرِسَالَةٍ، وَقَعَدَ فِي ظِلِّ جِدَارٍ حَتَّى رَجَعْتُ إِلَيْهِ. فَبَلَّغْتُ الرِّسَالَةَ الَّتِي بَعَثَنِي فِيهَا، فَأَبْطَأْتُ عَلَى أُمِّي، فَلَمَّا جِئْتُ قَالَتْ: مَا حَبَسَكَ؟، قُلْتُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ (ﷺ) لِحَاجَةٍ، قَالَتْ: مَا حَاجَتُهُ؟، قُلْتُ: إِنَّهَا سِرٌّ، قَالَتْ: لَا تُحَدِّثَنَّ بِسِرِّ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) أَحَدًا[3].

---

[1] البخاري (٥٩٣١)، مسلم: (٢٤٨٢)، وأحمد (١٢٠٧٩، ١٣٠٥٤، ١٣٤٠٤)، وأبي داوود (٥٢٠٣)

[2] صحيح مسلم: ٧٩ - (٣٤٢)

[3] البخاري (٥٩٣١)، مسلم: (٢٤٨٢)، وأحمد (١٢٠٧٩، ١٣٠٥٤، ١٣٤٠٤)، وأبي داوود (٥٢٠٣)

وقال أنس ﷺ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا. أَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ ... فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ.

فَإِذَا رَسُولُ اللهِ (ﷺ) قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي. فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: "يَا أُنَيْسُ، أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟" فَقُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ يَا رَسُولَ اللهِ[1].

(١٨) يكفل لهم حق الاختيار، ويمنع من الظلم والإجبار

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: تُوُفِّيَ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ ﷺ وَتَرَكَ ابْنَةً لَهُ مِنْ خُوَيْلَةَ بِنْتِ حَكِيمِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ الْأَوْقَصِ، قَالَ: وَأَوْصَى إِلَى أَخِيهِ قُدَامَةَ بْنِ مَظْعُونٍ ﷺ قَالَ عَبْدُ اللهِ: وَهُمَا خَالَايَ. قَالَ: فَخَطَبْتُ إِلَى قُدَامَةَ بْنِ مَظْعُونٍ ابْنَةَ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ، فَزَوَّجَنِيهَا [وَلَمْ يُشَاوِرْهَا].

وَدَخَلَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ ﷺ ... إِلَى أُمِّهَا، فَأَرْغَبَهَا فِي الْمَالِ، فَحَطَّتْ إِلَيْهِ، وَحَطَّتْ الْجَارِيَةُ إِلَى هَوَى أُمِّهَا، فَأَبَيَا، حَتَّى ارْتَفَعَ أَمْرُهُمَا إِلَى رَسُولِ اللهِ (ﷺ).

فَقَالَ قُدَامَةُ بْنُ مَظْعُونٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، ابْنَةُ أَخِي، أَوْصَى بِهَا إِلَيَّ، فَزَوَّجْتُهَا ابْنَ عَمَّتِهَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ، فَلَمْ أُقَصِّرْ بِهَا فِي الصَّلَاحِ وَلَا فِي الْكَفَاءَةِ، وَلَكِنَّهَا امْرَأَةٌ، وَإِنَّمَا حَطَّتْ إِلَى هَوَى أُمِّهَا.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): "هِيَ يَتِيمَةٌ، وَلَا تُنْكَحُ إِلَّا بِإِذْنِهَا"، قَالَ: فَانْتُزِعَتْ وَاللهِ مِنِّي بَعْدَ أَنْ مَلَكْتُهَا، فَزَوَّجُوهَا الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ[2].

(١٩) يوجههم ويعالج أخطاءهم برفق وحكمة واحترامٍ لعقولهم

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: خَدَمْتُهُ عَشْرَ سِنِينَ، فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، وَأَنَا غُلَامٌ ، لَيْسَ كُلُّ أَمْرِي كَمَا يَشْتَهِي صَاحِبِي أَنْ أَكُونَ عَلَيْهِ.

---

[1] البخاري (٢٦١٦، ٥٦٩١)، مسلم: ٥١، ٥٢، ٥٤ - (٢٣٠٩، ٢٣١٠)، أحمد (١٣٣٤١، ١٣٤٤٣)

[2] سنن ابن ماجة (١٨٧٨)، ومسند أحمد (٦١٣٦)، وحسنه الألباني في الإرواء (١٨٣٥)

وَاللهِ مَا قَالَ لِي أُفٍّ قَطُّ، وَمَا قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ، لِمَ صَنَعْتَ هَذَا هَكَذَا؟، وَلَا لِشَيْءٍ لَمْ أَصْنَعْهُ، لِمَ لَمْ تَصْنَعْ هَذَا هَكَذَا؟.

وَمَا أَمَرَنِي بِأَمْرٍ فَتَوَانَيْتُ عَنْهُ، أَوْ ضَيَّعْتُهُ، فَلَامَنِي، فَإِنْ لَامَنِي مِنْ أَهْلِهِ قَالَ: "دَعُوهُ، فَلَوْ قُدِّرَ أَوْ قُضِيَ أَنْ يَكُونَ كَانَ.

وَكَانَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا. أَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لَا أَذْهَبُ - وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللهِ (ﷺ) فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ.

فَإِذَا رَسُولُ اللهِ (ﷺ) قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي. فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: "يَا أُنَيْسُ، أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟" فَقُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ يَا رَسُولَ اللهِ[1].

وعَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ ﵁ (وَهُوَ ابْنُ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ) قَالَ: كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللهِ (ﷺ)، فَأَكَلْتُ يَوْمًا مَعَ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) طَعَامًا، فَجَعَلْتُ آكُلُ مِنْ نَوَاحِي الصَّحْفَةِ (وفي رواية: فَجَعَلْتُ آخُذُ مِنْ لَحْمٍ حَوْلَ الصَّحْفَةِ، وفي رواية: وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ).

فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ (ﷺ) وَأَنَا آكُلُ: "ادْنُ يَا بُنَيَّ (وفي رواية: يَا غُلَامُ، وفي رواية: يَا عُمَرُ)، وَسَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ"، فَمَا زَالَتْ تِلْكَ أُكْلَتِي بَعْدُ[2].

(٢٠) يوصي بحفظ حقوقه وأمواله، ويمنع من ظلمه وإهماله

عَنْ جَابِرٍ ﵁ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، مِمَّا أَضْرِبُ مِنْهُ يَتِيمِي؟ قَالَ: "مِمَّا كُنْتَ ضَارِبًا مِنْهُ وَلَدَكَ، غَيْرَ وَاقٍ مَالَكَ بِمَالِهِ، وَلَا مُتَأَثِّلٍ (أي: جامع) مِنْ مَالِهِ مَالًا"[3]

---

[1] الحديث بمجموع رواياته، انظر: البخاري (٢٦١٦، ٥٦٩١)، مسلم: ٥١، ٥٢، ٥٤ - (٢٣٠٩، ٢٣١٠)، أبو داوود (٤٧٧٣، ٤٧٧٤)، أحمد (١٣٣٤١، ١٣٤٤٣).

[2] البخاري: (٥٣٧٦، ٥٣٧٧)، ومسلم: ١٠٨، ١٠٩ - (٢٠٢٢)، وأحمد (١٦٣٣٠)

[3] صحيح ابن حبان (٤٢٤٤)، وانظر: صحيح موارد الظمآن (١٧٢٠)

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ (ﷺ) فَقَالَ: إِنِّي فَقِيرٌ لَيْسَ لِي شَيْءٌ، وَلِي يَتِيمٌ لَهُ مَالٌ، قَالَ (ﷺ): "كُلْ مِنْ مَالِ يَتِيمِكَ، **غَيْرَ مُسْرِفٍ، وَلَا مُتَأَثِّلٍ مَالًا، وَلَا مُبَذِّرٍ، وَلَا مُبَادِرٍ** (أي: مبادر بإنفاق ماله كله قبل أن يبلغ)، **وَمِنْ غَيْرِ أَنْ تَقِيَ مَالَكَ**"، أَوْ قَالَ: "تَفْدِيَ مَالَكَ بِمَالِهِ"[1]

قَالَ (ﷺ): "اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ"، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: "الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، **وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ**، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ"[2].

---

[1] رواه أحمد (٧٠٢٢)، وابن ماجة (٢٧١٨)، وأبي داوود (٢٨٧٢)، وحسنه الألباني.
[2] صحيح البخاري (٢٦١٥)، ومسلم (٨٩).

ثالثاً: التعامل مع الطفل العامل (الخادم)

- قَالَ (ﷺ): "إِذَا صَنَعَ لِأَحَدِكُمْ خَادِمُهُ طَعَامَهُ ثُمَّ جَاءَهُ بِهِ، فَلْيُجْلِسْهُ فَلْيَأْكُلْ مَعَهُ، فَإِنْ أَبَى (وفي رواية: فَإِنْ كَانَ الطَّعَامُ مَشْفُوهًا قَلِيلًا) فَلْيُنَاوِلْهُ لُقْمَةً أَوْ لُقْمَتَيْنِ، أَوْ أُكْلَةً أَوْ أُكْلَتَيْنِ، فَإِنَّهُ قَدْ أَغْنَى عَنْكُمْ عَنَاءَ حَرِّهِ وَدُخَانِهِ وَمَشَقَّتِهِ وَعِلَاجِهِ"[1]
- وفي رواية: "الْمَمْلُوكُ أَخُوكَ، فَإِذَا صَنَعَ لَكَ طَعَامًا، فَأَجْلِسْهُ مَعَكَ، فَإِنْ أَبَى فَأَطْعِمْهُ [فِي يَدِهِ]، وَلَا تَضْرِبُوا وُجُوهَهُمْ"[2]
- وَقَالَ (ﷺ): "مَنْ ضَرَبَ عَبْدًا لَهُ حَدًّا لَمْ يَأْتِهِ، أَوْ لَطَمَهُ، فَإِنَّ كَفَّارَتَهُ أَنْ يُعْتِقَهُ"[3]
- قَالَ (ﷺ): "لِلْمَمْلُوكِ طَعَامُهُ وَكِسْوَتُهُ، وَلَا يُكَلَّفُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا يُطِيقُ"، وزاد في رواية: "فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ، وَلَا تُعَذِّبُوا عِبَادَ اللَّهِ خَلْقًا أَمْثَالَكُمْ"[4]
- وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه قَالَ: ... لَقِينَا أَبَا الْيَسَرِ رضي الله عنه صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) وَمَعَهُ غُلَامٌ لَهُ، مَعَهُ ضِمَامَةٌ مِنْ صُحُفٍ، وَعَلَى أَبِي الْيَسَرِ بُرْدَةٌ (شَمْلَةٌ مخططة) وَمَعَافِرِيٌّ (نوع من الثياب اليمنية) وَعَلَى غُلَامِهِ بُرْدَةٌ وَمَعَافِرِيٌّ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا عَمِّ، لَوْ أَنَّكَ أَخَذْتَ بُرْدَةَ غُلَامِكَ وَأَعْطَيْتَهُ مَعَافِرِيَّكَ، أَوْ أَخَذْتَ مَعَافِرِيَّهُ وَأَعْطَيْتَهُ بُرْدَتَكَ، فَكَانَتْ عَلَيْكَ حُلَّةٌ (إِزار وَرِدَاء مِنْ جِنْس وَاحِد) وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، فَمَسَحَ رَأْسِي وَقَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيهِ يَا ابْنَ أَخِي، بَصُرَ عَيْنَيَّ هَاتَيْنِ، وَسَمِعَ أُذُنَيَّ هَاتَيْنِ، وَوَعَاهُ قَلْبِي هَذَا - وَأَشَارَ إِلَى مَنَاطِ قَلْبِهِ - رَسُولَ اللهِ (ﷺ) وَهُوَ يَقُولُ: "أَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَأَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ"، وَكَانَ أَنْ أُعْطِيَهُ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ حَسَنَاتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ[5].

---

[1] رواه البخاري (٢٤١٨، ٥١٤٤)، ومسلم (١٦٣٣)، وأحمد (٧٧٩٢، ٩٥٥٤)

[2] رواه أحمد (١٠٥٧٤)، وحسنه الأرنؤوط، وانظر: الصَّحِيحَة (٢٥٢٧)

[3] صحيح مسلم: ٣٠ - (١٦٥٧)

[4] انظر بالترتيب: صحيح مسلم: ٤١ - (١٦٦٢)، صحيح ابن حبان (٤٣١٣) وحسنه الألباني

[5] صحيح مسلم (٣٠٠٦، ٣٠٠٧)، الأدب المفرد (١٨٧، ٧٣٨)

يرجى مطالعة ما يخص معاملته (ﷺ) لأنس بن مالك وزيد بن حارثة وغيرهما ممن كان يخدمه في المباحث السابقة؛ لأننا لن نتمكن من إعادته هنا، إيثاراً للاختصار، وفراراً من التكرار. ونزيد على ذلك التالي:

- قَالَتْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: "مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا"، وقَالَتْ: «مَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يُؤْتَى إِلَيْهِ قَطُّ، حَتَّى تُنْتَهَكَ حُرُمَاتُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمُ لِلَّهِ»[1]

- وعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيّ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي بِالسَّوْطِ، فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ خَلْفِي: "اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ"، فَلَمْ أَفْهَمْ الصَّوْتَ مِنْ الْغَضَبِ، فَلَمَّا دَنَا مِنِّي، إِذَا هُوَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) فَإِذَا هُوَ يَقُولُ: "اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ"، فَسَقَطَ السَّوْطُ مِنْ يَدِي مِنْ هَيْبَتِهِ، فَقَالَ: "اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ أَنَّ اللهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ"، فَقُلْتُ: هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ، فَقَالَ: "أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ، لَمَسَّتْكَ النَّارُ"، فَحَلَفْتُ أَنْ لَا أَضْرِبَ مَمْلُوكًا أَبَدًا[2].

- وعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ سُوَيْدِ بْنِ مُقَرِّنٍ رضي الله عنهما قَالَ: لَطَمْتُ مَوْلًى لَنَا، فَهَرَبْتُ، ثُمَّ جِئْتُ قُبَيْلَ الظُّهْرِ فَصَلَّيْتُ خَلْفَ أَبِي فَدَعَاهُ وَدَعَانِي، ثُمَّ قَالَ: امْتَثِلْ مِنْهُ، فَعَفَا، ثُمَّ قَالَ أَبِي: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الصُّورَةَ مُحَرَّمَةٌ؟ لَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مِنْ بَنِي مُقَرِّنٍ مَا لَنَا خَادِمٌ إِلَّا وَاحِدَةٌ، لَطَمَهَا أَصْغَرُنَا، فَأَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ (ﷺ) أَنْ نُعْتِقَهَا". قَالُوا: لَيْسَ لَهُمْ خَادِمٌ غَيْرُهَا، قَالَ: "فَلْيَسْتَخْدِمُوهَا، فَإِذَا اسْتَغْنَوْا عَنْهَا، فَلْيُخَلُّوا سَبِيلَهَا"[3]

- وجَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ (ﷺ) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمْ أَعْفُو عَنِ الْخَادِمِ؟ ... فَقَالَ: "كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً"[4]، والمراد الكثرة لا العدد تحديداً.

---

[1] انظر بالترتيب: صحيح مسلم: ٧٩ - (٢٣٢٨)، صحيح البخاري (٦٧٨٦)

[2] صحيح مسلم: ٣٤ - (١٦٥٩)

[3] صحيح مسلم: ٣١ - (١٦٥٨)، ٣٢ - (١٦٥٨)

[4] رواه الترمذي (١٩٤٩)، وصححه الألباني، قال في تحفة الأحوذي (١٨٠/٥): "والمراد ... الكثرة دون التحديد".

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَجُلًا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) فقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي خَادِمًا يُسِيءُ وَيَظْلِمُ أَفَأَضْرِبُهُ؟ قَالَ: "تَعْفُو عَنْهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً"[1]

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَعَدَ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ (ﷺ) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِي مَمْلُوكِينَ يَكْذِبُونَنِي، وَيَخُونُونَنِي، وَيَعْصُونَنِي، وَأَشْتُمُهُمْ، وَأَضْرِبُهُمْ، فَكَيْفَ أَنَا مِنْهُمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): "يُحْسَبُ مَا خَانُوكَ وَعَصَوْكَ وَكَذَبُوكَ، وَعِقَابُكَ إِيَّاهُمْ، فَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِمْ، كَانَ كَفَافًا، لَا لَكَ وَلَا عَلَيْكَ، وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ دُونَ ذُنُوبِهِمْ، كَانَ فَضْلًا لَكَ، وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ فَوْقَ ذُنُوبِهِمْ، اقْتُصَّ لَهُمْ مِنْكَ الْفَضْلُ"، قَالَتْ: فَتَنَحَّى الرَّجُلُ فَجَعَلَ يَبْكِي وَيَهْتِفُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): "أَمَا تَقْرَأُ كِتَابَ اللهِ: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا، وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ؟}"، فَقَالَ الرَّجُلُ: وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَجِدُ لِي وَلِهَؤُلَاءِ شَيْئًا خَيْرًا مِنْ مُفَارَقَتِهِمْ، أُشْهِدُكُمْ أَنَّهُمْ أَحْرَارٌ كُلُّهُمْ[2].

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) أَقْبَلَ مِنْ خَيْبَرَ وَمَعَهُ غُلَامَانِ "، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ رضي الله عنه: يَا رَسُولَ اللهِ أَخْدِمْنَا (أَيْ: أعطِنا خادمًا)، فَقَالَ: "خُذْ أَيَّهُمَا شِئْتَ"، فَقَالَ: خِرْ لِي، قَالَ: "خُذْ هَذَا وَلَا تَضْرِبْهُ، فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُهُ يُصَلِّي مَقْبَلَنَا مِنْ خَيْبَرَ، وَإِنِّي قَدْ نَهَيْتُ عَنْ ضَرْبِ أَهْلِ الصَّلَاةِ"، وَأَعْطَى أَبَا ذَرٍّ رضي الله عنه الْغُلَامَ الْآخَرَ، فَقَالَ: "اسْتَوْصِ بِهِ خَيْرًا"، ثُمَّ قَالَ: "يَا أَبَا ذَرٍّ، مَا فَعَلَ الْغُلَامُ الَّذِي أَعْطَيْتُكَ؟"، قَالَ: أَمَرْتَنِي أَنْ أَسْتَوْصِيَ بِهِ خَيْرًا، فَأَعْتَقْتُهُ[3].

---

[1] مسند أحمد (٥٦٣٥)، وصححه الأرنؤوط

[2] رواه الترمذي (٣١٦٥)، وأحمد (٢٦٤٤٤)، وانظر: صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب (٢٢٩٠)

[3] مسند أحمد (٢٢٢٨١)، وانظر: صَحِيح الْجَامِع (٨٦٠)، الصَّحِيحَة (١٤٢٨، ٢٣٧٩)

أهم ما ينبغي أن تخرج به من هذا الكتاب

كان لدي افتراضٌ - مِن وَحي إيماني الجازم - يقول: "لا شك أن رسولنا محمدٌ (ﷺ) هو أفضل الخلق تعاملاً مع الأطفال، ولابد أن يكون في سنته (ﷺ) علاجٌ لكل المشكلات التعاملية، وحلٌ لكل التحديات التواصلية مع الأطفال"

لكنني لَمَّا انتقلتُ من ذلك الإيمان (المُجمل) إلى الإيمان (المُفَصَّل)، وجدتُ أن الأمر قد فَاقَ بكثير سقف توقعاتي وافتراضاتي السابقة، وجدتُ نفسي أمام أنموذج مبهرٍ فريد، لا غنى لأحدٍ عنه أبداً ولو كان كافراً به.

لقد كان هديه (ﷺ) في هذا الباب سمواً فوق السمو، وعلواً فوق العلو، كان ترجمة عملية حقيقية للعلو والسمو الذي أشار إليه قوله تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: ٤]

والعجيب أن ذلك السمو الفريد، تعانق مع واقعية تطبيقية، وكان أبعد ما يكون عن تلك المثالية الخرافية.

لَمَّا تتبعتُ بعض مواقفه (ﷺ) في التعامل مع الأطفال (جمعاً واستقراءً) واجتهدتُ في تأصيلها، ثم شرعتُ في محاولة تحليلها وتعليلها، وبدأتُ في تنزيلها وتفعيلها، ندمتُ ندماً كبيراً على ما فات، وعزمتُ على خدمة سنته (ﷺ) في هذا الباب فيما هو آت.

لقد أسهمتْ مكابدتي الواقعية في باب التعامل مع الأطفال، واقترابي الكبير من مشكلات وتحديات ذلك المجال في زيادة مساحة انبهاري وإكباري لِما جاء في السنة النبوية فيما يخص التعامل مع الأطفال.

لقد شعرتُ فعلاً بذاك الأمان من الضلال والشقاء والمخاوف والأحزان، الذي أشار إليه قوله تعالى: {فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} [طه: ١٢٣]، وقوله تعالى: {فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: ٣٨].

كُلُّ مَرَّةٍ أَتَّصل بذلك الهدي النبوي في باب التعامل مع الأطفال (علماً أو عملاً أو تعليماً) أستحضرُ أن (برنارد شو) لم يكن مبالغاً قط حين أخبرَ أن نبينا محمداً (ﷺ) بإمكانه أن "يحل مشاكل العالم كله وهو يحتسي كوباً من القهوة".

شعرتُ بالحزن والأسى على إخواني وأخواتي المسلمين الذين تلظوا بنيران مشكلات كبيرة وتحديات خطيرة في باب التعامل مع الأطفال، فأنفقوا مِن أَنْفَس أموالهم وأوقاتهم وجهودهم وأفكارهم للوصول إلى حلول ولو عند أعدائهم، **فعادوا** بِخُفَّيّ حُنين، **وكانوا** كالمستجير من الرمضاء بالنار.

رغم أن الحلول كانت أقرب ما تكون منهم، والوصول كان أيسر ما يكون عليهم، لكنهم للأسف قد **(نَحَّوا الوحي)** في محاريب الحياة **(اختياراً)**، **ولم يعتمدوا (مركزية الوحي وحاكميته) إطاراً**.

بل أخذتني الرحمة (بأطفال اليوم) الذين صَدَّر لهم الآباء والأمهات والمعلمين والمعلمات على غير قصد منهم، **صورةً ظالمةً عن (الوحي)**، **تختصره في** مجموعة طقوس وترانيم في محاريب الذكر والصلاة، **وتُنَحيِّه عن** محاريب البناء والحياة.

فَتَمَّت **(تنحية الوحي على مستوى المصدرية والمشروعية والمنهجية)** من حياة الأطفال العملية **(اضطراراً)**، ثم قاموا أولئك الأطفال بعد ذلك بتنحيته على ذات المستويات **(اختياراً)**.

لم يَعُد الأطفال يحبون رسول الله (ﷺ) كما ينبغي، **لم يعودوا يعظمونه** (ﷺ) كما ينبغي، وكيف سيحصل ذلك؟ وهم لا يعرفون – حتى - كيف أحبهم؟

ولا كيف عَامَلَهم؟

ولا كيف أوصى بحقوقهم وأرساها ودافع عنها؟

كلما كنتُ أباشر الحديث عن هديه (ﷺ) في باب التعامل مع الأطفال، **كنتُ أتمنى أن أنادي كل المهتمين في العالم** (بحقوق الأطفال وقواعد ومهارات التواصل معهم) قائلاً: "لا ترهقوا أنفسكم كثيراً، فقد **كفاكم - وكفى البشرية كلها -** محمد (ﷺ) في هذا الباب، **لَيْتَكُم تعرفون ما جاء به!** ستكتشفون - **لو أنكم تُنصِفون** - أنه قد **سبقكم بسنينَ ضوئية،** ستجدون - **لو كنتم منصفين** - سُمُواً ليس فوقه سمو، وعلواً ليس فوقه علو"

لكنني **أعود حسيراً كسيراً حين أستحضر** أن المسلمين الذين كان يفترض لهم وينتظر منهم أن يُعَرِّفوا العالم كله بما جاء به محمد (ﷺ) في هذا الباب، قد **هجروا كنوزه وأهدروها،** وراحوا يسبحون في فلك أعدائهم مُسَبِّحين بحمدهم.

يطير المسلمون - قبل غيرهم - **فرحاً، ويتيهون فخراً،** بما جاءت به المؤسسات والمُنظمات الغربية في باب (مهارات التعامل مع الأطفال وقواعد التواصل معهم)، **ويفرضون علينا دراسته وتطبيقه وتدريسه في جامعاتنا ومؤسساتنا،** رغم أنه - أقسمُ بالله – **لا يعدل ذرةً** في بحر ما جاء به محمدٌ (ﷺ).

وللأسف الشديد فإن بعض الغيورين حين يشرع في تقديم ما جاء به النبي (ﷺ) يقدمه **بطريقة لا يعيها ولا يعنيها،** ضارباً بوصية رسول الله (ﷺ) **"فَوَعَاها"** عرض الحائط، فيخذل السنة من حيث أراد **نصرتها،** ويهبط بها رغم أنه أراد **رفعتها، ولربما كان أمثال هؤلاء سبباً** في إعراض بعض المتخصصين من المسلمين عما جاء به الدين، وإيثارهم لما جاء به الغربيون.

لقد **آن الأوان** لنبعث أنوار ما جاء به محمد (ﷺ) في العالم من جديد، لقد **آن الأوان** لِرَدِّ الأمور إلى نِصابها، وإعطاء كل ذي حَقٍّ حقه، لقد **آن الأوان** لأن نَرُدَّ لرسول الله (ﷺ) بعض مكانته التي ينبغي أن يتبوأها لو كُنَّا نحبه حقاً.

لقد آن الأوان لإحياء ما مات واستعادة ما فات بالوحي، وآن الأوان للتوبة المنهاجية من تنحية الوحي على مستوى المصدرية والمشروعية والمنهجة.

إنها لجريمة نكراء أن يتم حرمان أطفال (العالم كله) مما كَفَله لهم رسول الله (ﷺ)، وإنها لجريمة أنكر وأكبر بكثير أن يتم حرمانهم من التَّعرف على نظرة رسول الله (ﷺ) لهم، وحِرْصِه (ﷺ) على حقوقهم.

جريمة أنكر وأكبر أن يتم حرمانهم من التعرف على تعامل رسول الله (ﷺ) مع الأطفال الذي سيجعلهم ولاشك يَقْدُرُونه حَقَّ قدره، فيحبونه حَقَّ الحب، ويعظمونه حَقَّ التعظيم، ويتبعونه حَقَّ الاتباع.

بل إن ذلك سيجعلهم يَقْدُرُون الرب الكريم سبحانه وبحمده - الذي أرسل لهم ذلك الرسول العظيم (ﷺ) - حَقَّ قدره، فيحبونه حَقَّ الحب، ويعظمونه حَقَّ التعظيم، ويطيعونه حَقَّ الطاعة.

ومن الرائع في الهدي النبوي أنه يُقَدِّم لنا نسخة تطبيقية منظورة مما أوصى به ربنا في القرآن مسطورا، حتى لتشعر كأنك تقرأ القرآن لكن من زاوية تطبيقية.

ولو تعاملنا مع الهدي النبوي بمنهاج سليم يتجاوز الانبهار والإكبار إلى التأسي والاعتبار، ويتجاوز التركيز على التفاصيل إلى التركيز على الأصول، والتركيز على الدقائق إلى التركيز على الحقائق، والتركيز على آحاد المعلومات إلى التركيز على المنهجيات.

فإن الهدي النبوي حينها سيساعدنا على إدراك الأهمية (الشرعية والواقعية) التي ستساعدنا على تسديد النية وتوليد الدافعية.

كما سيساعدنا على إدراك المنهجية (التطبيقية) التي ستساعدنا على معرفة الآلية التي تُمدنا بأكمل الطرائق والوسائل لتحقيق أكمل تعاملٍ وتواصلٍ.

واجبات عملية

- وددتُ لو تَمَكنتُ من توفير شرح يليق بتلك الكنوز التي جاءت عن النبي (ﷺ)؛ وإني لأطمع في أن يكرمني الله بذلك عاجلاً غير آجل.

لكن خوفاً من أن يداهمني الموت، أنصحك بمطالعة الموسم الثاني من حلقات البرنامج التلفزيوني (أطفالنا والقرآن) بدءً من الحلقة ()؛ لأنك ستجد فيه شرحاً تفصيلياً، وتناولاً علمياً وعملياً لما جاء في هذا الكتاب، يفي بالغرض وأكثر بعون الله تعالى.

لكن يُستحسن أن تقرأ الكتاب كله قراءةً إجمالية سريعة قبل متابعة الحلقات؛ لتتمكن من إضافة التعليقات والتوضيحات على النصوص في مكانها الصحيح من الكتاب.

وتجد نسخةً (مرئية) من الحلقات على قناة (بالوحي نحيا القناة الرسمية) على اليوتيوب على هذا الرابط:

ونسخة (صوتية) على قناة (بالوحي نحيا) على الساوند كلاود على هذا الرابط:

- إن أَشْكَلَ عليك فَهم أي كلمة أو جملة في الأحاديث؛ فإياك أن تتكلم بما لا تتعلم أو تتجرأ على الخوض فيما لا تفهم، راجع (كتب شروح الأحاديث) أو اسأل المتخصصين.
- احرص على مراعاة الوصايا المنهاجية التي أشرنا إليها كثيراً في التعامل مع تلك المواقف النبوية.
- قم بقراءة الكتاب قراءة منهاجية سليمة حسبما أوصينا، واشرع في محاولة تطبيق ما فيه بالتدريج، ومثل هذا الكتاب لا يكفي أن تقرأه مرة.

- اعقد مجالس مدارسة (سليمة منهجيا) للهدي النبوي الذي جاء في هذا الكتاب مع غيرك (من أهلك أو أحبابك أو أصحابك أو جيرانك أو زملائك في العمل أو الدراسة).

لأن الجميع بحاجة مَاسَّةٍ لِما جاء عن رسول الله (ﷺ) في باب التعامل مع الأطفال، ولا يشترط أن يكون الآباء فقط هم الأحوج لذلك؛ لأنه لا ينفك أحدٌ عن تعامل مع الأطفال.

ولابد من التداول الاجتماعي للهدي النبوي في التعامل مع الأطفال؛ ومكافحة تنحية الوحي في هذا الباب، وإحياء مركزيته وحاكميته.

- إن لم تتمكن من عقد مجالس المدارسة، أو لم تتوفر لك المؤهلات العلمية أو المنهجية للقيام بذلك، فلابأس أن يكون المجلس عبارة عن متابعة لحلقة من حلقات (أطفالنا والقرآن) مع مناقشة تطبيقية بعد الحلقة لمحتواها، وأنشطة تفاعلية قبلها وبعدها، وأجواء تشجيعية أثناء المجلس.

- اعقد مجلساً مع أولادك أو طلابك من الأطفال تتدارسون فيه الكتاب أو تتابعون فيه الحلقات المرئية.

لأن أطفالنا اليوم بحاجة للتعرف التفصيلي على هدي رسول الله (ﷺ) في هذا الباب؛ ليعرفوا أنه كان يحبهم، فيحبوه، وكان يعظمهم ويراعي حقوقهم، فيعظمونه ويراعون حقه.

وخصوصاً في هذا الزمان الذي أصبح فيه أطفالنا (ميدان صراع حضاري بيننا وبين أعدائنا)، فأمطر أعداؤنا أطفالنا بوابل من **الشهوات والشبهات وفاسدِ وتافه القدوات**، ونجحوا في **غزونا في بيوتنا وسرقة أطفالنا** مِنَّا بمحض إرادتنا بل وبأموالنا.

إن لم تتمكن من أن تعقد مجلساً لمدارسة الكتاب أو متابعة الحلقات، **فلا تحرم نفسك من ثواب المجاهدة بالوحي ونصرة وإحياء المنهاج النبوي:**

قم **بإهداء نسخ من الكتاب** لأكبر عدد من الناس تقدر عليه.

قم **بنشر حلقات** (أطفالنا والقرآن).

قم **بنشر مقاطع** من الكتاب أو الحلقات.

قم **بترجمة** بعض محتويات الكتاب أو الحلقات.

قم **بإعداد تصميم أو مقطع مرئي.**

المهم، ألا تحرم نفسك من أن تضرب في هذا الباب بسهم.

ألا هل بَلَّغت، اللهم فاشهد

ورقة عمل

(حتى يكون الكتاب حجة لنا لا علينا)

كل واحد منا سَيُسْأل عن (علمه، ماذا عمل فيه؟)، ويقال له: "فماذا عملت فيما علمت؟". لذا من الضروري أن نخطط ونجهز للعمل بما تعلمناه.

ما هي أهم المعلومات التي خَرَجْتَ بها بعد قراءة الكتاب؟

....

....

....

....

....

ما الذي شَعُرْتَ به بعد قراءة الكتاب؟

....

....

تَفَكَّر في حالك، هل كُنْتَ تفعل ما أَوْصَى به الكتاب؟ أين أنتَ منه؟

....

ما الذي ستستفيده إن فعلتَ ما أوصى به الكتاب؟ (العواقب الحسنة "الثمرات")

....

....

....

ما الذي ستخسره إن لم تفعل ما أوصى به الكتاب؟ (العواقب السيئة "المغبات"؟)

....

....

ما هو **أبرز ما تنوي فِعْله** (هدفك) بعد أن قرأت الكتاب؟

....

....

....

....

كيف **ستتمكن** من فعل ما انتويته من التطوير؟

....

....

....

....

ما هي **مظاهر الخلل** التي انْتَبَهْتَ أنها كانت لديك؟

....

....

....

....

كيف **ستتمكن** من التطهر منها والتخلي عنها؟

....

....

....

مَن هو الذي **ستقوم بتعليمه** ما تعلمته من الكتاب؟ ولماذا؟

....

ماذا ستقول له؟ ....

....

إصدارات معهد العلم والعمل

(١) **اكتشاف** (مختصر جماهيري لكتاب رحلة اكتشاف ما يقدمه لنا القرآن)
(٢) **رحلة اكتشاف ما يقدمه لنا القرآن** (المرحلة الأولى)
(٣) **أركان المنهج النبوي** في التعامل مع القرآن.
(٤) **لا تسودوا وجهي** (المنهج النبوي في التعامل مع القرآن)
(٥) **الهروب من الفهم** (الأوهام التي تحول بيننا وبين فهم القرآن)
(٦) **دليل الوصايا العملية** (خطوات في طريق تيسير العمل بالآيات)
(٧) **ختمات الدراية** (الفهم والوصايا والمحبة)
(٨) **رحلة البحث عن أهل القرآن** (النسخة المسطورة [الأقوال])
(٩) **رحلة البحث عن أهل القرآن** (النسخة المنظورة [الأحوال])
(١٠) **مدارس العلم والعمل** (لأهل القرآن من الصحابة والتابعين)
(١١) **تيسير التدبر** (الخطوات العملية لتحرير التدبر وتأطيره وتقريبه)
(١٢) **تساؤلات الحياة الكبرى** (دراسة تدبرية للآية الثانية من سورة الملك بمنهجية العلم والعمل)
(١٣) **كيف نسعد بسورة النصر؟** (دراسة تدبرية بمنهجية العلم والعمل)
(١٤) **كيف نسعد بسورة الفلق؟** (دراسة تدبرية بمنهجية العلم والعمل)
(١٥) **النشرة التعريفية بمشروع** (القرآن علم وعمل)
(١٦) **النشرة التعريفية بمنهج** (المتدبر الصغير)
(١٧) **المنهج النبوي في تعليم الأطفال القرآن** (الإيمان قبل القرآن).
(١٨) **بالوحي نحيا** [٣ مجموعات] (قصص واقعية وتأملات إيمانية – مواقف تدبرية وخواطر فكرية)
(١٩) **آية استوقفتني** [مجموعتان] (ومضات لتيسير تدبر واتباع الآيات)
(٢٠) **الميلاد الجديد** (اعمل Restart لحياتك).
(٢١) **الطريق الميسور إلى الحج المبرور** (أسعد الناس بالحج)
(٢٢) **رعاية الميلاد الجديد** (واجبات ما بعد الحج)
(٢٣) **سباق المحبين** (الخطة العملية للاستمتاع بعشر الأضحى).
(٢٤) **أسعد أيامي** (رمضان والعشر الأواخر)

(٢٥) أطفالنا والصلاة (الطريق لإقامة الصلاة في حياة أطفالنا تمكيناً وتحسيناً وتحصيناً)

(٢٦) أصول التعامل مع الأطفال في ضوء السنة النبوية.

(٢٧) إصدارات الأطفال:

- الرسالة القرآنية: الحلقة الأولى (لبيب، والتعامل النجيب).
- الرسالة القرآنية: الحلقة الثانية (غريب، والتعامل العجيب).
- الرسالة القرآنية: الحلقة الثالثة (لبيب، وغريب، ورسائل القريب المجيب) ج١.
- الرسالة القرآنية: الحلقة الثالثة (لبيب، وغريب، ورسائل القريب المجيب) ج٢.
- كن أترجة.
- كن أحسن الناس عملا.
- رحلة اكتشاف ما يقدمه لنا القرآن.
- رحلة البحث عن أهل القرآن: الحلقة الأولى (أهل القرآن)
- رحلة البحث عن أهل القرآن: الحلقة الثانية (أصحاب القرآن)
- رحلة البحث عن أهل القرآن: الحلقة الثالثة (حَمَلَة القرآن)
- رحلة البحث عن أهل القرآن: الحلقة الرابعة (حَفَظَة القرآن).

***إصدارات تحت الإعداد والطبع:**

(١) تدبر التدبر (مختصر جماهيري لكتاب تيسير التدبر)

(٢) كيف نسعد بسورة الناس؟ (دراسة تدبرية بمنهجية العلم والعمل)

(٣) كيف نسعد بسورة العصر؟ (دراسة تدبرية بمنهجية العلم والعمل)

(٤) الحياة الجديدة (الخروج من الظلمات إلى النور)

(٥) الطريق إلى القلب السليم

(٦) دليل معلم القرآن (الدراية والرواية)

(٧) مشروع السُّنَّة علم وعمل (تدبر السنة)

(٨) مشروع القصص علم وعمل (تدبر القصص)

(٩) مشروع الإيمان علم وعمل (تدبر نصوص الإيمان)

(١٠) مشروع الأسماء الحسنى علم وعمل (تدبر الأسماء الحسنى)

الفهرس